وزارة التعليم و البحث العلمي
المدرسة العليا للآداب و العلوم الإنسانية – بوزريعة –
قسم البحث العلمي

الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية بالبليدة خلال العهد العثماني

942-1246هـ / 1535-1830م

مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالب:
مراد قبال

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمر بن خروف

السنة الدراسية: 2005/2004

الإهداء :

إلى كل هؤلاء:

- والدي الكريمين العطوفين اللذين أحسنا تربيتي.
- شقيقي و شقيقاتي، و أزواجهم , أبنائهم ، و بناتهم.
- أخوان لي لم تلدهما أمي : بودينة سعيد ، و نداث أحمد.
- كل الأصدقاء و الزملاء ، و بوجه خاص : مراد ، شفيق ، حليم ، رابح ، سفيان ، كمال .
- العاملين بالمكتبة الشعبية البلدية بالبليدة ، و على رأسهم الأستاذان : حراث سمير ، و يعيش عبد ا .
- ادارة ، و أساتذة ، و طلبة المدرسة العليا للأساتذة – ببوزريعة -.

أهدي هذا العمل المتواضع، مع خالص الشكر و التقدير .

مراد قبال.

كلمة شكر و تقدير:

إلى أستاذي الكريم الدكتور عمر بن خروف ، الذي منحني من وقته الثمين القدر الكثير ، و الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة ، و توجيهاته السديدة ، من أجل إخراج هذا العمل في أبهى مضمون و شكل ، أقدم خالص عبارات الشكر و الثناء و التقدير.

قائمة المختصرات :

1- باللغة العربية :

- أ.و.ج : الأرشيف الوطني الجزائري.
- س.م.ب : سجلات المحاكم الشرعية.
- س.ب : سجلات البايليك.
- ج : جزء.
- م : مجلد.
- ط : طبعة.
- ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر و الاشهار.
-

2- باللغة الفرنسية :

A.O.M :Archive d' outre mer.

E.I : Encyclopèdie de l'islam.

R.A: Revue Africaine.

T: Tome.

المـقـدمـــــــة:

كان القرن السادس عشر قرنا حافلا بالأحداث المحلية و الدولية، فقد كان شديد الوطء على بلاد المغرب و الأندلس عامة، والجزائر خاصة، إذ شهد اشتداد حملات الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب، و الحملات الاستعمارية الصليبية الأسبانية و البرتغالية على مدنها و سواحلها، كما اشتد فيه الصراع بين العثمانيين و الأسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

و في خضم الألم و المعاناة، بزغ للأندلسيين و المغاربة شعاع من الأمل، كان مصدره المشرق الإسلامي، تمثل في الدولة العثمانية، و بحارتها المجاهدين، الذين كان على رأسهم الإخوة بربروس، الذين ذادوا عن حمى الدين، فأنقذوا الأندلسيين من مخالب الصليبية، و دافعوا عن ساحل بلاد المغرب دفاع الأبطال.

و نتيجة هذا الأمر رغب الجزائريون في الاحتماء براية هذه الدولة الإسلامية، و كان ذلك عام 925هـ / 1519م.

في هذا الجو المفعم بالأحداث، تأسست مدينة قريب من مدينة الجزائر، تدعى البليدة، بفضل رجل من أبناء الأندلس يدعى سيدي احمد الكبير.

و مما شجعنا على اختيار موضوع الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في مدينة البليدة أثناء العهد العثماني (942 - 1246هـ / 1535 – 1830م) ، و الولوج في حيثياته، جملة من الأسباب ، و الاعتبارات ، أهمها :

1. غياب دراسة تاريخية شاملة عن مدينة البليدة خلال العهد العثماني 1830/1535 م، بحيث نستطيع القول بأن الموضوع لم يعالج إلا في جزء منه .

و قد شهدت سنة1535م، بناء النواة الأولى لمدينة البليدة، المتمثلة في المسجد، و الحمام، و الفرن العام – المخبزة - . و لم يكن هذا ليتحقق لولا إرادة رجلين مسلمين ، أولهما عالم دين أندلسي ، هو سيدي أحمد الكبير ، و ثانيهما رجل سياسة ، هو حاكم ايالة الجزائر خير الدين بربروس .أما سنة 1830 ، فقد شهدت فقدان الجزائر سيادتها ، و استقلالها ، عندما وقع حاكمها الداي حسين على وثيقة الاستسلام ، يوم 5 جويلية 1830 م .

2. التأثير الكبير الذي مارسته مدينة البليدة على كل من زارها ، من رحالة ، و مؤرخين، و غيرهم ، سواء كانوا عربا ، أو أجانب . يرجع سر هذا التأثير إلى جمال البليدة ، و خصوبة إقليمها ، و اعتدال مناخها . مما جعل العديد منهم يهتم بها ، و يصفها بصفات الإعجاب ، و الإطراء ، بل أن عددا من الرحالة و المؤرخين اخطأ في التأريخ لزمن ميلاد هذه المدينة ، حيث أرجعه البعض مثل الرحالة الإنكليزي شاو (SHAW) إلى الفترة

الرومانية ، بينما أرجعه البعض الآخر مثل الرحالة المغربي الزياني ، إلى الفترة الإسلامية الوسطى .

3. مقاومتها للمستعمر : فمما زادني اهتماما بموضوع بحثي هذا ، و إصرارا على التمسك به ، هو المقومة البطولية التي واجهتها الحملات الاستعمارية الفرنسية ، التي استهدفت إخضاع المدينة خلال أكثر من عقد ، إذ بالرغم من نجاحها في اختراق أسوارها أكثر من مرة ، كانت الأولى يوم 25 جويلية 1830 ، لم تكلل بالنجاح ، حيث طردت منها شر طرد ، و لم يستقر وجودها بالمدينة سوى في عام 1842م . و قد كان لموقع المدينة أهميته الكبيرة في تلك المقاومة ، مما يبرز حنكة و دهاء مؤسسها سيدي احمد الكبير ، في اختيار الموقع الملائم لبناء المدينة .

لذلك آليت على نفسي أن أبحث في مختلف جوانب تاريخ البليدة لسد الفراغ الملحوظ . و لقد كان للأستاذ المشرف دور كبير في توجيهنا و تشجيعنا على طرق هذا الموضوع ، و الذي أعتقد أنه سيساهم و لو بقسط ما في إحياء تاريخ هذه المدينة .

و الإشكالية التي تسعى المذكرة الى توضيحها هي: متى و كيف تأسست مدينة البليدة ؟ ، و ما هي أبرز التطورات التي شهدتها الحياة السياسية، و الاقتصادية ، و العمرانية ، والاجتماعية ، و الثقافية فيها خلال الفترة الممتدة من سنة 1535م إلى سنة 1830م / 942 – 1246هـ ؟ .

و قد عالجت الموضوع في ثلاثة فصول ، خصصت الفصل الأول للبحث في الحياة السياسية في مدينة البليدة خلال فترة البحث ، و قسمته إلى أربعة مباحث ، هي :

الأول : الظروف السياسية التي تأسست فيها مدينة البليدة .

الثاني : تأسيس مدينة البليدة .

الثالث: الجهازان الإداري و الشرعي في البليدة .

الرابع : العلاقة بين السلطة و القوى القبلية و الدينية .

فكان المبحث الأول بمثابة تمهيد أساسي للولوج في صلب الموضوع ، من خلال التطرق إلى أوضاع الجزائر خلال فترة تأسيس البليدة ، و تخلل ذلك من هجرة أندلسية إلى مدنها ، و أريافها . بعدها شرعت في التطرق إلى صلب الموضوع ، من خلال التطرق إلى تأسيس مدينة البليدة ، و استعراض الجهازين الإداري و الشرعي فيها ، ثم عرجت على علاقة القوى القبلية و الدينية بالبليدة و منطقتها ، بالسلطة السياسية العثمانية في الجزائر .

أما الفصل الثاني فخصصته إلى الحياة الاقتصادية والعمرانية بالبليدة ، و جزأته إلى أربعة مباحث ، هي :

الأول :الفلاحة.

الثاني : الصناعة .

الثالث : التجارة و طرق المواصلات.

الرابع : العمران .

المبحث الأول خصصته للفلاحة في البليدة و فحصها , إذ أن النشاط الفلاحي فرض نفسه بحكم موقع المدينة عند الطرف الجنوبي لسهل متيجة الخصيب . أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن النشاط الصناعي في المدينة والمناطق المجاورة لها ، حيث انتشرت صناعات كثيرة ، و متنوعة . أما المبحث الثالث فقد كان للحديث عن جانب ذي صلة كبيرة بالنشاطين الزراعي و الصناعي يتمثل في النشاط التجاري، الذي ساهمت عوامل كثيرة في تنشيطه . كما تحدثت في هذا المبحث عن الطرق و المواصلات، و أهمية موقع المدينة في الربط بين المناطق و الأقاليم المختلفة .وفي المبحث الرابع تعرضت إلى التطور العمراني للمدينة منذ الأيام الأولى للتأسيس، متعرضا إلى أهم الهياكل العمرانية فيها.

و قد تناولت في المباحث الثلاثة للفصل الأخير ، و الذي كان تحت عنوان : الحياة الاجتماعية و الثقافية ما يلي :

المبحث الأول : الفئات الاجتماعية .

المبحث الثاني : التضامن الاجتماعي .

المبحث الثالث : الحياة الثقافية .

فالمبحث الأول تناولت فيه الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع البليدي ، بعده استعرضت في المبحث الثاني التضامن الاجتماعي بين هذه الفئات ، و التي امتازت بروح التعاون والتكافل و التسامح ، كما تحدثت في هذا المبحث عن بعض العادات و التقاليد التي سادت المجتمع البليدي خلال فترة البحث . أما المبحث الثالث فقد تطرقت فيه إلى أهم مؤسسات التعليم بالمدينة ، وأمطت فيه اللثام عن بعض علماءها ، و ختمته بالحديث عن العلاقة الحميمة التي ربطت سكان البليدة بالموشحات و الموسيقى الأندلسية .

و لقد وضعت مخططا لكل فصل ، يشتمل على أهم العناصر المكونة له ، و التي كنت أنطلق منها في كتابة البحث .كما أنني ألحقت بهذه الفصول عددا من الخرائط و الصور ، و هذا للتوضيح أو الاستدلال .

و لما كنت أعرف أن المصادر هي أساس التاريخ ، فقد عملت ما في وسعي للوصول إليها و الحصول عليها . و لقد بدأت عملية التفتيش بل أحيانا التنقيب عنها في المكتبة الوطنية الجزائرية و المركز الوطني للأرشيف الجزائري و بعض المكتبات الجامعية الجزائرية ، و هي تختلف من حيث قيمتها و صلتها المباشرة بالموضوع . و قد ركزت عملي على الاعتماد على كتب الرحالة و المؤرخين الذين زاروا المدينة أو عايشوا فترة البحث . كما اعتمدت كذلك على عدد من وثائق الأرشيف الوطني الجزائري سواء وثائق البايليك أو سجلات المحاكم الشرعية ، التي أفادتني إفادة عظيمة في جوانب كثيرة من البحث . كما

حاولت سد النقائص الناتجة عن غياب الكثير من المصادر المتعلقة بتاريخ المدينة بكتب و مراجع عامة كثيرة .

و لقد اعترضت سبيلي كثير من الصعوبات في جميع مراحل البحث ، كان أبرزها افتقاد المكتبات التي زرناها لكثير من المصادر المتعلقة بتاريخ البليدة خاصة التاريخ الثقافي و هو ما انعكس بجلاء في هذا البحث إضافة إلى ضياع مصادر هامة من رفوف المكتبات خاصة الوطنية رغم تواجد أرقامها في أدرج قائمة الكتب . و ما حز في نفسي كثيرا العراقيل البيروقراطية و التفكير المادي لبعض الأشخاص مع الباحثين خاصة من طرف المسؤول عن قسم الأرشيف لبلدية البليدة الذي حاول حرماني من حقي في الإطلاع على ما يحتويه قسم الأرشيف بالبلدية و كاد مسعاه يتحقق لو لا تدخل بعض الأصدقاء و المتعاونين ... و على العموم فان هذه العقبات و العراقيل لم تحط من عزمي و صبري و هذا لأن أساتذتي الكرام –حفظهم ا - أعلموني بل أكدوا لي مسبقا أن طريق البحث العلمي شاقة و طويلة بل أحيانا شائكة و لكنها ممتعة مما كان لنا عونا و نبراسا أضاء لنا أياما كانت بحق سوداء و مظلمة. و على الرغم من المجهودات الجادة التي بذلتها للاحاطة بالموضوع فإنني أشعر بأنني لم أستوف كل ما كان يجب أن يكتب عن البليدة خلال العهد العثماني ، و بهذا فان باب البحث ما يزال مفتوحا وأرجوا أن يوفق غيرنا إلى ما لم أستطع الوصول إليه .

و قد أنجزت هذا العمل اعتمادا على كثير من المصادر و المراجع التي تتمحور فيما يلي :

1. ***الوثائق*** : و قد وجدتها في المركز الوطني للأرشيف الجزائري ، و أرشيف بلدية البليدة . و هي تختلف من حيث القيمة التاريخية ، و العلاقة المباشرة بصلب الموضوع ، و فترته التاريخية . فوثائق مركز الأرشيف الوطني الجزائري تضم مجموعتين :

الأولى : سجلات المحاكم الشرعية، ومنها العلبة رقم 104-105 ، و العلبة رقم 106 .أما الثانية : فتتعلق بسجلات البايليك ، و منها العلبة رقم 7 ، و العلبة رقم 20 ، و غيرهما . و قد أفادتنا هذه الوثائق إفادة عظيمة في معظم جوانب البحث ، خاصة في الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و العمرانية ، بما تضمنته من معلومات احتاجت إلى ترتيب و تنظيم قصد تكييفها بما يخدم موضوع البحث .

أما بخصوص وثائق أرشيف بلدية البليدة ، فقد كانت في عمومها خارجة عن فترة البحث ، لأنها متعلقة بالفترة الفرنسية إلى يومنا هذا ، ما عدا ما تعلق بشجرة عائلة مؤسس البليدة سيدي احمد الكبير،لذا كانت الاستفادة منها محدودة .

2. المصادر المكتوبة سواء العربية أو المترجمة أو باللغة الأجنبية : كانت كثيرة في عمومها غير أن الكثير منها لم يتطرق إلى مدينة البليدة خلال العهد العثماني إلا في جوانب جزئية و في فقرات قصيرة ، ما عدا كتاب العقيد تروملي:

- Blida, recites selon la légende, la tradition et l'histoire

الذي أورد لنا معلومات كثيرة و متنوعة حول تاريخ البليدة العثمانية خاصة السنوات الأخيرة من هذه الفترة ، غير أنه يعاب عليه الاعتماد الشبه كلي على الروايات الشفوية ، و إيراد الكثير من المعلومات الأسطورية و الخرافية لخدمة أغراض مشبوهة . غير انه بفضل الاستعانة بالنقد و التحليل و المقارنة تمكنت من الاستفادة من هذا المصدر الهام في كتابة تاريخ البليدة خلال الفترة العثمانية .

كما أني اعتمدت على مصادر أخرى تكلمت عن جزئيات من تاريخ البليدة ، منها :

- كتاب الطبيب الإنجليزي شاو (Shaw) : voyage dans la régence d'Alger ، الذي أبان جهل الكثير من المؤرخين في معرفة التاريخ الحقيقي لميلاد البليدة .

و كتب الرحالة و المؤرخين و الرحالة الآخرين سواء العرب أو الأجانب من ذلك :

- حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري):**المرآة(لمحة تاريخية و إحصائية على ايالة الجزائر)**.

- الحاج أحمد الشريف (الزهار): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**.

- هاينريش (فون مالستان): **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا** .

- shaler (William) **: Esquisse de l'ETAT d'Alger** .

- M (GAILLAD): **sur Alger, observations physiques** .

- Victor (Berard): **indicateur général de l'Algérie, description géographique, historique et statistique** .

3. <u>المراجع و الأبحاث</u> : ظهرت إلى جانب تلك المصادر مراجع كثيرة ، منها ما هو باللغة العربية ، و منها ما هو باللغة الأجنبية ، و يلاحظ فيها أنها خدمت الموضوع بشكل ، أو بآخر ، خاصة مؤلفات الدكتور سعيدوني ، و منها :

- دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني).

- مدونة المدن الجزائرية .

- ورقات جزائرية(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني).

- L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791- 1830).

كما استعنت بمراجع و أبحاث أخرى كثيرة ، أذكر منها :

- **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، لنور الدين عبد القادر .

- الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني، للأستاذ رابح كنتور.

- **urbanisation en Algérie, Blida processus et formes**, de joèlle Deluz.

- **la colonisation de la Mitidja** , de jules FRANC.

الفصل الأول: الحياة السياسية:

المبحث الأول: الظروف السياسية التي تأسست فيها مدينة البليدة:

المبحث الثاني: تأسيس مدينة البليدة.

المبحث الثالث: الجهازان الإداري و الشرعي في مدينة البليدة.

المبحث الرابع: العلاقة بين السلطة و القوى القبلية و الدينية.

خلاصة الفصل الأول .

الفصل الأول: الحياة السياسية :

المبحث الأول : الظروف السياسية التي تأسست فيها مدينة البليدة:

التقهقر و الفوضـى و الانحـلال, والتـدخل الخـارجي، و الهجـرة الداخليـة، و الخارجية، تلك هي الكلمات التي تلخص لنا حالة بلاد المغرب المؤلمة في أوائل القرن السادس عشر(1), فآنذاك كانت منقسمة إلى ثلاث دول قامت علـى أنقـاض دولة الموحدين، دولة بني أبي حفص بتونس و طرابلس و شرق الجزائر، و دولة بني عبد الواد (الزيانيين) بالوسط و الغرب من أرض الجزائر، و دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، و التي لحق كل منها الـضعف و الـوهن و الإضـطرابات، و سقطت كلها في وهدة الانقسامات و الحروب الداخلية الهوجاء، بـسبب تـزاحم رؤسائها و قادتها، و تنافسهم على كراسي الزعامة و الرئاسة(2).

و قد كان لضعف دولة بني زيان، و دولة بني أبي حفص، تأثير سيء على أوضاع الجزائر، فانقسمت على نفسها إلى ما لا يحصى من إمـارات و قبائـل، أو مجموعات مستقلة، و مناطق تحت نفوذ الأولياء، و ليست لها جميعـا حـدود واضحة(3)، أمثال إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، و الإمارة الحفصية بقـسنطينة، و إمارة الذواودة بالحضنة و الزاب، و إمارة بني جلاب بتقـرت و وادي ريـغ، و إمارة بني زناسن و فقيق بالحدود الغربية، و إمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة و متيجة(4).

و في ذات الوقت، كانت أسبانيا قد حطمت آخر ممالـك المـسلمين بـبلاد الأندلس -غرناطة- سنة 897هـ / 1492م، و كان نجم الدولة الإسلامية العثمانية

---

1 أحمد توفيق (المدني): **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و أسبانيا (1792/1492)**، ش.و.ن.ت،الجزائـر، دون تاريخ، ص 64.

2 عبد الرحمن (الجيلالي): **تاريخ الجزائر العام**، أربعة أجزاء ، ط السابعة، ديوان المطبوعـات الجامعيـة، الجزائر، 1994، ج الثالث، ص 13.

3 شارل أندري (جوليان): **تاريخ إفريقيا الشمالية**، جزآن، تعريب محمد مزالي و البشير بن سـلامة، الـدار التونسية للنشر تونس، و ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1978، ج الثاني، ص 321.

4 يحيى (بوعزيز): **الموجز في تاريخ الجزائر**، جزآن ، ديوان المطبوعـات الجامعيـة، الجزائـر، 1999، ج الثاني ، ص 252.

يعلو و يسطع فوق سماء القارات الثلاث(أوربا و آسيا و إفريقيا)، كما أن المعسكر المسيحي كان يجمع صفه، و يوحد قواه و يستعد للمعركة الحاسمة ضد الإسـلام و المسلمين[1]، فقد عجل سقوط غرناطة بانطلاق الطاقات الأسبانية نحو مغامرات ما وراء البحر، بعد أن كانت حتى ذلك الوقت مشلولة بالمعركة حول شبه الجزيرة الإيبيرية. و لقد كانت إفريقيا لقربها الشديد، الاختيار المنطقـي الأول لاسـترجاع الثروات الأسبانية[2]، متشجعة بحالة الانحلال و الضعف و الفوضى السائدة فـي بلاد المغرب، مما جعل أحد كتاب ملوك الكاثوليك المطلع على حقائق الأمور يقول سنة 900هـ / 1494 م:«إن الحالة النفسية في كامل الـبلاد بلغـت حـدا مـن الانهيار، يحمل على الاعتقاد أن ا أرادها في متناول أصحاب الجلالة»[3]. عندها هوجمت السواحل الجزائريـة، و احتلـت منهـا أهـم مواقعهـا ، و مراكزهـا الإستراتيجية ، و مرافئها ، و مدنها الممتازة. فاستولى الأسـبان علـى المرسـى الكبير 911هـ / 1505م، و وهران 914هـ / 1509م، و بجايـة 916هـ ـ / 1510م، و أفزعوا مدينة الجزائر بمدافعهم المنصوبة في قلعة (بينيـون) القائمـة بمرسى المدينة.و الذي جعل المغرب الأوسط فريسة مغرية، هو مـا أبـرم مـن اتفاقيات مع البرتغال، تمنع على أسبانيا التمركز في المغرب الأقـصى مـا عـدا مليلية[4]، و حجر بادس، و غساسة.

و قد أدى اشتداد الحملات الأسبانية المسيحية على السواحل و الموانئ المغربية الإسلامية، و مدى العنف الذي أظهرته الملاحقة الأسبانية لكل تحرك عثماني في البحر الأبيض المتوسط و على الجبهات الأوربية، هذا فضلا عن الأصداء المروعة لمأساة الموريسكيين، إلى رسوخ قناعة لدى القادة العثمانيين، باسم الخلافة الإسلامية التي يحملون لواءها، بشرعية الدفـاع عن المسلمين، و مساعدتهم، و إحباط مخططات أعدائهم، و إضفاء طابـع "الجهـ ـ ـاد" لكـل

---

[1] أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق ، ص64.

[2] وليام(سبنسر): **<u>الجزائر في عهد رياس البحر</u>**، تعريب و تعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1980، ص 27.

[3] شارل أندري (جوليان): المرجع السابق، ص323.

[4] عبد الرحمن (الجيلالي): المرجع السابق، ص15.

تحركاتهم و نشاطهم[1].

و قد رفع الأخوان عروج وخير الدين، لواء الدفاع عن سواحل المغـرب، ضد التحالف التقليدي بين الأسبانيين والعروش الحاكمة. كما تطلع المغاربة إلـى تكتيل مساعيهم مع البحارة العثمانيين، في محاولة منهم لإنقاذ البلاد من الـسقوط في يد المسيحيين الأسبان، فقد كتب سالم التومي شيخ بني مزغنـة فـي مدينـة الجزائر، إلى عروج يستنجده على الأسبانيول الواضعين يدهم على قلعة "بينيـون" خارج المدينة[2]، حيث أن الأهالي أرادوا أن يفسخوا الهدنـة، ويتخلـصوا مـن الخراج الذي كانوا يؤدونه لإسبانيا[3].

وكان عروج بجيجل عندما تلقى دعوة من سكان مدينة الجزائر، التي كانـت آنذاك "بلادة مستقلة"[4]، فجهز جيشا مـن الأتـراك والعـرب، وأكمـل عدتـه، وقبل أن يبارح "جيجل" أرسل إلى أخيه خير الدين بتونس يخبره بعزمه، ويـأمره بجمع كافة الأتراك المقيمين فيها، ويلحقه بهم إلى الجزائر، ثم أقلع قاصدا الجزائر، فتلقاه سالم التومي وأعيان البلادة، وأقام نحـو العـشرين يومـا محاصـرا قلعـة "بينيون"[5] دون أن ينجح في تحريرها[6]. وبعد وصول خير الدين تواجه الطرفان في معارك عنيفة، انتهت بانتصار الجزائريين ، وطرد الإسبان من مدينة الجزائر، وبذلك تم للأخوان بربروس فتحها ، وكان هذا سنة 923هـ/1517م.

وتأزم الوضع في وجه خيـر الـدين، بعـــد مقتـــل أخيـــه عـــروج

---

[1] عبد الجليل (التميمي): **الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين الأندلسيين**، ط الأولـى، منـشورات مركـز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان، تونس 1989، ص 83.

[2] محمد بن عبد القادر (الجزائري): **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، ط الثانيـة، شـرح و تعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر، 1964، ص 93.

[3] الحسن بن محمد (الوزان): المعروف بـ (ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، الطبعة الثانية، ترجمـه عـن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج الثاني، ص 38.

[4] أمل (ياسين): **نظرة المؤرخين و الرسامين الأتراك في القرنين السادس عشر و السابع عشر إلى خـضر رئيس الملقب غازي خير الدين باشا بربروس**، مقالة منشورة في كتاب الأصالة، وزارة الـشؤون الدينيـة، الجزائر، 1978، ج الثاني، ص143.

[5] محمد بن عبد القادر (الجزائري): المصدر السابق، ص 145.

[6] لم يسترجع البينيون إلا في عام 1529م .

سنة(924هـ/ 1518م) [1]، الأمر الذي جعله يوحي لسكان الجزائر بطلب مساعدة الدولة العثمانية مقابل إلحاق الجزائر بها[2]، و هذا بعد أن وضح لهم أن الحـرب الصليبية التي تشنها أسبانيا المسيحية ضد الجزائر، لا تبـشر بمـستقبل يـسوده الأمـن فيها. و أما ما يخصه هو، فإنه لا يتمكن من مواجهة زحـف العـدو إلا بمساعدة السلطة العثمانية[3]، هذا الأمر جعل الجزائريين يوجهون إلـى الـسلطان سليم الأول رسالة يطالبون فيها إلحاقهم بالدولة العثمانية، و تعيـين خيـر الـدين بربروس "بيلربايا" عليهم[4]. و قد قبل السلطان سليم الأول هذا الالتمـاس، الـذي حمله إليه صديق خير الدين"الحاج حنين"، و أرسل مع هذا الأخير العلم التركـي و "فرمان" [5] ، قرئ بصوت عال أمام المواطنين و رجال الميليـشيا المتجمعـين بمدينة الجزائر، في حفل رسمي. و قد نص ذلك المرسـوم علـى أن "باديـشاه" الإسلام [6] يقبل طلب المواطنين بالسماح لهم بإصـدار عملـة تحمـل خاتمـه، و باستعمال اسمه في الخطبة و الصلوات [7]، و بتعيين خير الدين بايلربايا علـى إيالة الجزائر، و السماح له بتوظيف المتطوعين من جيش الإمبراطورية[8].

إن الذي جعل الجزائريين يرتبطون معنويا و ماديا بالدولة العثمانيـة، هـو عنف الهجمة الصليبية على بلاد المغرب في بداية القرن السادس عشر، و عجـز و اهتراء الكيانات السياسية المحليـة، التي كانت موجودة، و التي لم تنبر للتصدي لهذا الخطر بجد و عزيمة، و إنما حاولت التواطؤ معه خدمة لأغراضها الأنانيـة،

---

[1] استشهد عروج شهر جمادى الأولى سنة924 هـ/ ماي 1518م ، و عمره يومئذ نيف و أربعون سنة خلال معركة خاضها رفقة جنوده ضد عدوه ابي حمو الثالث ، المدعوم من طرف الاسبان خلال معركة بطوليـة ، قرب مقطع الوادي المالح – RIO SALADO – ، على مسافة قريبة من مدينة وجدة المغربية .أنظر : عبد الرحمن (الجيلالي): المرجع السابق، ص44.

[2] محمد عبد العزيز (الشناوي): **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبـة الأنجلـو المـصرية، القاهرة، مصر 1980، ج الثاني، ص 906.

[3] أمل (ياسين): المرجع السابق، ص 145.

[4] عبد الجليل (التميمي): المرجع السابق، ص 82.

[5] MOULOUD (GAID): **L'ALGERIE sous les turcs** ، 2éme Editions; Edition MIMOUNI, ALGER, ALGERIE, 1991; P46.

[6] لقب من ألقاب السلطان العثماني.

[7] وليم (سبنسر): المرجع السابق، ص 63.

[8] MOULOUD (GAID): op cit, P 46.

التي فضلتها على المصلحة العامة و أمن المنطقة[1].

و لما كانت الهجرة الأندلسية نحو البلاد الجزائرية، قد عرفت تزايدا ملحوظـا في الفترة موضوع البحث، فقد ارتأيت أن أبحث أمرها بـشيء مـن التفـصيل، و لا سيما أن مدينة البليدة قد قامت أساسا على أيدي المهاجرين الأندلسيين.

وقد بدأ النزوح الأندلسي الجماعي إلى أقطـار المغـرب، و علـى رأسـها الجزائر، اثر سقوط حواضر الأندلس الكبرى في أيدي النـصارى الواحـدة تلـو الأخرى. و كان أكثرها وقعا و أشدها أثرا سقوط مدينة اشبيلية في يد الأسبان عام (776 هـ/ 1371 م)، الذي كان بداية للهجرة الجماعية[2].

و بعدما وقعت الكارثة الكبرى بالأندلس، بنجاح الأسبان في افتكاك غرناطـة سنة (897 هـ/1492 م) من المسلمين، لجأ من بقي هنالك من المضطهدين إلـى غربي البلاد، معتصمين ثمة بجبالها الشامخة المنيعة، ورغم ذلك فإن العـدو قـد لحق بهم، وضيق عليهم الخناق، فأنزلهم من معقلهم الطبيعي على شروط وعهـود أخذها كل جانب على نفسه، ملتزما بها أمام صاحبه[3]، حيث نصت معاهدة التسليم على أن يحتفظ المسلمون في غرناطة بكل حقوقهم، وأن تظل لهم مساجدهم، وأن يقيم منهم من أراد تحت العدل والإنصاف، ويهاجر منهم من أراد. ولكن النصارى ما كادوا يستولون على غرناطة حتى نسوا كل ما عاهـدوا المـسلمين عليـه[4]، إذ نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصير بالجملة ، فتنصروا على آخرهم بادية وحاضرة، وامتنع قـوم مـن ذلك، واعتزلوا النصارى، فلم ينفعهم ذلك[5]، فقد تعرضوا إلى مـؤامرات الإبـادة والسجن، والتنصير، بتخطيط الكنيسة وملوك النصارى الأسبان، الأمر الذي دفعهم

---

1 جمال (قنان): **قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1994، ص 25.

2 ناصر الدين (سعيدوني): **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثمـاني)**، المؤسـسة الوطنيـة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 129.

3 عبد الرحمن (الجيلالي):المرجع السابق، ص52.

4 حسين (مؤنس): **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ط الأولى، دار و مطابع المستقبل بالفجالـة بالقـاهرة، و صفية زغلول بالإسكندرية، 1980، ص 392.

5 أحمد بن محمد (المقري): **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج الخامس، ص279.

إلى الاستنجاد بإخوانهم على الـشواطئ المغربيـة المقابلـة[1]، كمـا اسـتجاب لاستغاثاتهم خير الدين، الذي حول كل قواه إلى شواطيء أسبانيا، وانتقم من أهلها على ما ارتكبوه من الفضائح والمنكرات مع المسلمين بعد سقوط غرناطـة فـي أيديهم. وساعد كثيرا ممن بقي ببلاد الأندلس على الرجوع إلى بـلاد المغـرب، والاستيطان بها فرارا من اضطهاد الإسبانيول، وإجبارهم على الخروج من ديـن الإسلام، واعتناق الدين المسيحي[2].

واشتدت حركة الهجرة بعد فشل ثورة جبـال البـشارات -Las apujarras- أعوام(1499-1502م) وتخيير أهالي غرناطة ونواحيها بين التنصير والنفـي[3]، "عندها خرجت ألوف بفاس، وألوف أخرى بتلمسان من وهـران، و جمهـورهم خرج بتونس" [4].

و قد تركزت جهود البحارة الأتراك, وعلى رأسهم خير الدين على تـسهيل هجرة الأندلسيين, و الإسراع بنقل المضطهدين منهم إلى الـسواحل الجزائريـة، بحيث تمكنوا في الفترة الممتدة بين سنتي 1528 و 1584 مـن شـن 33 غـارة بحرية ناجحة على السواحل الأسبانية، أنقذوا أثناءها كثيرا من الأندلسيين[5]. فقـد تمكن خير الدين سنة (936 هـ/ 1530م) عن طريق رحلات متكررة للأسطول المتكون من 15 سفينة، و من 36 سفينة من نقل سبعين ألف (70000) لاجـيء من الأندلس، و أقامهم بالسواحل الجزائرية[6].

هذا و قد بلغت الهجرة الجماعية لمسلمي أسبانيا أوجها، مع قرارات الطـرد الجماعية التي أصدرها الملك الأسباني (فيليب الثالث) عام(1016 هـ/ 1609 م)، إذ كانت أسبانيا النصرانية أبعد من أن تطمئن إلى مجتمع العرب المتنصرين، فقد كانوا في نظر الكنيسة أبدا كفرة مارقين. وكانت الدولة الأسبانية من جانبها تلتمس

---

1 محمد عبد العزيز (الشناوي): المرجع السابق، ص 899.

2 فريدبك (المحامي): **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط الثانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفـائس، بيـروت، 1983، ص 213.

3 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 130.

4 أحمد بن محمد (المقري): المصدر السابق، ص 280.

5 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 130.

6 أمل (ياسين): المرجع السابق ص 147.

المعاذير لاضطهاد هذا المجتمع الدخيل ومطاردته، فهي تخـشى أن يعـود إلـى الثورة، كما تخشى من صلاته المستمرة مـع مـسلمي إفريقيـة ومـع سـلطان الترك. كما ظل ملوك أسبانيا يحلمون بتطهيرها من الآثار الأخيرة للشعب الفاتح، والقضاء إلـى الأبد على تلك الصفحة من تاريخ أسبانيا[1]. و نفذ قرار النفي فـي كل مكان بصرامة و وحشية، و استمرت السفن شهورا، بل أعواما، تحمل أكداسا من تلك الكتل البشرية المعذبة، فتلقي بها هنا و هنالك في مختلف الثغور الإفريقية، في غمرة من المناظر المروعة المفجعة[2].

فلما نفذ أمر ا على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنهـا، تفرقـوا بـبلاد المغرب من بر العدوة مع بلاد إفريقية[3]، و تحولت أعداد كثيرة منهم للاسـتقرار بالمدن و الأقاليم الجزائرية الساحلية خاصة، فكانت أهم مراكز الاستقرار بالغرب الجزائري هي : وهران و نواحيها، و مستغانم ، و أرزيو و جهاتها، و تلمسان و قلعة بني راشد، و مازونة، و ندرومة. و بالشرق الجزائري استقرت جاليـات أندلسية ببجاية، و جيجل، و قسنطينة، و بونة(عنابة)، و القالة. أما فـي الوسـط فاختارت بعض الجاليات الثغرية القادمة مـن وشـقة، و سرقـسطة البيـضاء، و بطليوس بالغرب(البرتغال)، و التجمع في مدن الجزائر، و البليدة، و القليعـة، و شرشال، و تادلس، و مليانة، و المدية، و في إقليمي متيجة و الساحل القريـب منها[4]. فأهل البادية مالوا في البـوادي إلـى مـا اعتـادوه، و داخلـوا أهلهـا، و شاركوهم فيها، فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، و أحدثوا الأرحية الطاحنة بالماء، و غير ذلك، و أما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر و استوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء و الكتاب و العمال و جباة الأموال، و أمـا أهـل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد، و متى دخلوا في شغل عملوه فـي أقـرب مـدة،

---

[1] محمد عبد ا (عنان): **نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين**، ط الثالثـة، مطبعـة لجنـة التـأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1966، ص 382.

[2] محمد عبد ا (عنان): المرجع السابق، ص 401.

[3] أحمد بن محمد (المقري التلمساني): **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحـسان عبـاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص 152.

[4] ناصر الدين (سعيدوني): **الجالية الاندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية و نشاطها الاقتصادي و وضـعها الاجتماعي**(مجلة أوراق)، مدريد، أسبانيا، العدد الرابع، ص 111- ص 118.

و أفرغوا فيه من أنواع الحذق و التجويد ما يميلون به النفوس إليهم، و يصير الذكر لهم[1].

لقد كان من فضل الجالية الأندلسية على الجزائر, أن انتعشت بها حياة البلاد الاقتصادية و الاجتماعية, بما جاءت به معها من صناعات و فنون و آداب[2], و أدخلوا إلى البلاد بقايا حضارتهم العريقة، و صناعتهم، و فنونهم، و خبراتهم المختلفة[3]، حيث تؤكد الدراسات المنصفة أن الموريسكيين كانوا رجالا مهرة و فنيين في العديد من المهن، مثل صناعة الحديد و الذهب و الفضة، و النقش على اللوح، و البناء، و الفلاحة و أساليب السقي الفنية[4].

كما أن الهجرة الاندلسية كانت عامل تطور عمراني، و نمو بشري، إذ بفضل قدوم الاندلسيين بعثت مدن من أنقاضها بعد أن أصابها الاضمحلال، مثل برشك، وتنس، و دلس، و جيجل، و شرشال، كما أنشئت مدن جديدة كالقليعة[5]، و البليدة، التي أسست على يد سيدي أحمد الكبير عام 1535 م، بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة، بعد أن أقطع خير الدين بربروسة أراضيها للأندلسيين الذين بادروا ببناء حمام و فرن و مسجد[6]، و طوروا بعض المدن القديمة كتلمسان، و أرزيو، و مستغانم، و عنابة، كما ساهموا بقسط وافر في تنظيم الحكومة، و السير بركب المدنية قدما[7].

---

1 أحمد بن محمد (المقري التلمساني): المصدر السابق، ص 152.

2 عبد الرحمن (الجيلالي): المرجع السابق، 56.

3 أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق ص266.

4 عبد الجليل (التميمي): المرجع السابق، ص 60.

5 ناصر الدين (سعيدوني): **الجانب الاقتصادي و الاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجلة الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، العدد الرابع (العهد العثماني)، ص 98.

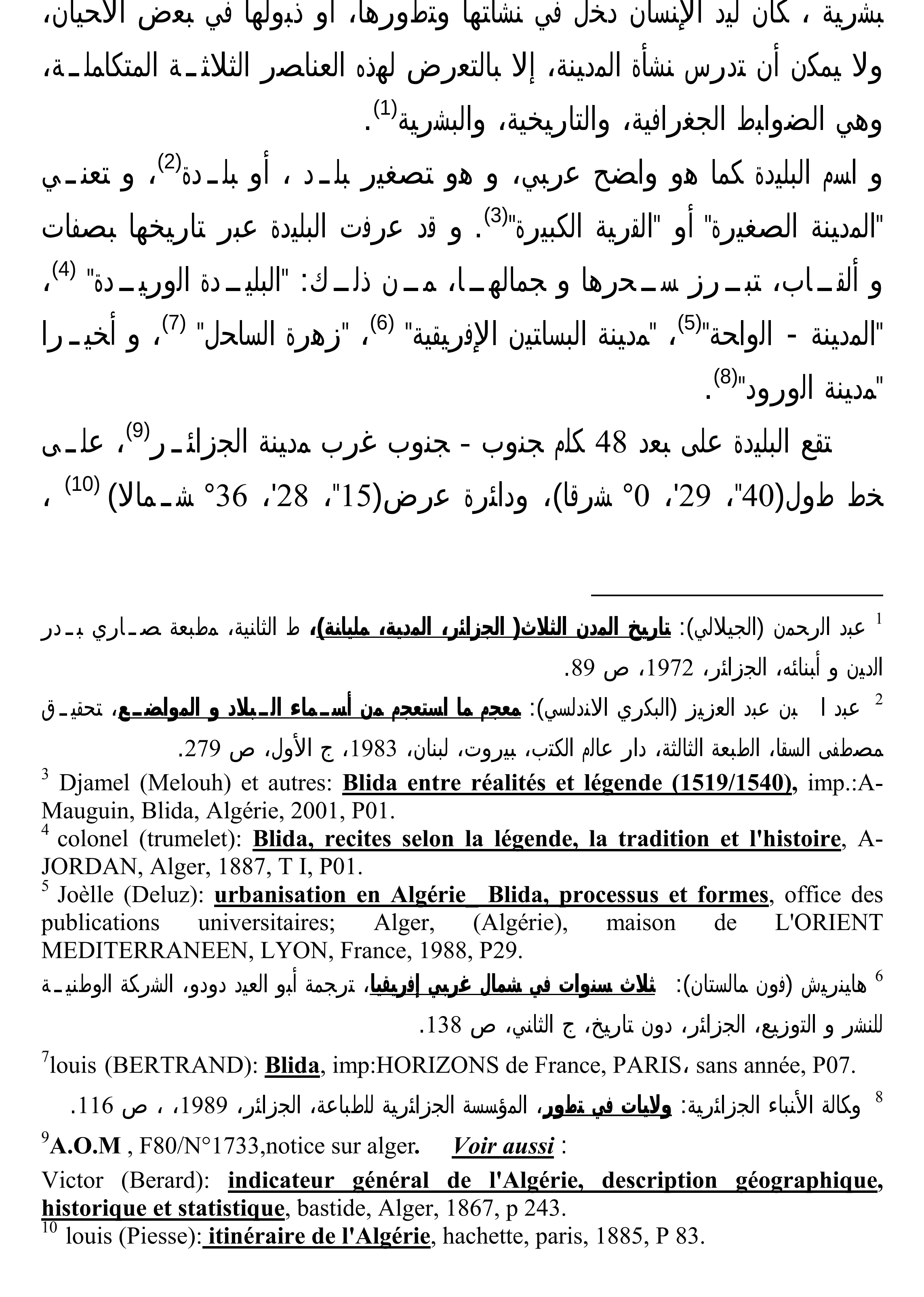
6 jean (MONLAU): **les états barbaresques, que-sais-je?** N° 109, paris, P-U-F, P108.

7 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري): **المرآة(لمحة تاريخية و إحصائية على ايالة الجزائر)،** ترجمة و تقديم و تعليق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1972، ص 86.

مما تقدم يمكن القول :

1 - تأسست مدينة البليدة في عصر شهد ارتباط الجزائر براية الدولة العثمانية ، بعد عهد من الفوضى و الانحلال الداخلي ، و التدخل الخارجي ، و قد كان هـذا عام 925هـ / 1519م .

2 - كما تميزت فترة التأسيس باشتداد حركة الهجـرة الأندلـسية نحـو الـبلاد الجزائرية ، خصوصا بعد نجاح الاسبان في افتكاك غرناطة من المـسلمين سـنة 897هـ/1492م . بل أن مدينة البليدة قامت أساسـا علـى أيـدي المهـاجرين الأندلسيين ، الذين بفضلهم انتعشت الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في البليـدة ، و كامل البلاد الجزائرية .



المبحث الثاني: تأسيس مدينة البليدة

تعد المدينة ظاهرة جغرافية، لأنها تشغل حيزا من سطح الأرض، و تتأثر بالطبقة السفلى من الغلاف الغازي، كما أن المدينة حادثة تاريخية لها بداية و قد تكون لها نهاية. كما تعتبر المدينة مركبا اجتماعيا و حضاريا، لأنها مستعمرة بشرية ، كان ليد الإنسان دخل في نشأتها وتطورها، أو ذبولها في بعض الأحيان، ولا يمكن أن تدرس نشأة المدينة، إلا بالتعرض لهذه العناصر الثلاثة المتكاملة، وهي الضوابط الجغرافية، والتاريخية، والبشرية(1).

و اسم البليدة كما هو واضح عربي، و هو تصغير بلد ، أو بلدة(2)، و تعني "المدينة الصغيرة" أو "القرية الكبيرة"(3). و قد عرفت البليدة عبر تاريخها بصفات و ألقاب، تبرز سحرها و جمالها، من ذلك: "البليدة الوريدة" (4)، "المدينة - الواحة"(5)، "مدينة البساتين الإفريقية" (6)، "زهرة الساحل" (7)، و أخيرا "مدينة الورود"(8).

تقع البليدة على بعد 48 كلم جنوب - جنوب غرب مدينة الجزائر(9)، على خط طول(40"، 29'، 0° شرقا)، ودائرة عرض(15"، 28'، 36° شمالا) (10) ،

---

[1] عبد الرحمن (الجيلالي): **تاريخ المدن الثلاث(الجزائر، المدية، مليانة)**، ط الثانية، مطبعة صاري بدر الدين و أبنائه، الجزائر، 1972، ص 89.

[2] عبد ا بن عبد العزيز (البكري الاندلسي): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع**، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983، ج الأول، ص 279.

[3] Djamel (Melouh) et autres: **Blida entre réalités et légende (1519/1540),** imp.:A-Mauguin, Blida, Algérie, 2001, P01.

[4] colonel (trumelet): **Blida, recites selon la légende, la tradition et l'histoire**, A-JORDAN, Alger, 1887, T I, P01.

[5] Joèlle (Deluz): **urbanisation en Algérie Blida, processus et formes**, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988, P29.

[6] هاينريش (فون مالستان): **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ج الثاني، ص 138.

[7] louis (BERTRAND): **Blida**, imp:HORIZONS de France, PARIS، sans année, P07.

[8] وكالة الأنباء الجزائرية: **ولايات في تطور**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1989، ، ص 116.

[9] **A.O.M** , F80/N°1733,notice sur alger. ***Voir aussi*** :

Victor (Berard): **indicateur général de l'Algérie, description géographique, historique et statistique**, bastide, Alger, 1867, p 243.

[10] louis (Piesse): **itinéraire de l'Algérie**, hachette, paris, 1885, P 83.

وعلى ارتفاع 260 متر عن مستوى سطح البحر [1]، رابضة عند قدمي الأطلس الشامخ[2]، عند الحافة الجنوبية لسهل متيجة (أم الفقراء) الخصيب [3].

فعلى الحافة الجنوبية لسهل متيجة، وعلى بعد 22 كلم عن ساحل البحر، تأسست مدينة البليدة، التي هي على اتصال تام بالجبل والسهل. ولقد بنيت على قمة ينبوع يتدفق منه وادي الرمان[4]، الذي يتشكل بدوره من اتحاد ثلاثة روافد، وهي وادي تامدا إفري، ووادي تاحسابت، ووادي تابركشنت. كما أن المدينة واقعة ضمن مناخ يمتاز بالاعتدال(مناخ البحر الأبيض المتوسط). وبهذا الموقع فإن البليدة تسيطر على سهل متيجة، وتهيمن عليها بدورها تلك المرتفعات الكثيفة الأشجار، ذات الألف وخمسمائة متر(1500 متر) من سلسلة جبال الأطلس المتيجي، المعروف بالأطلس البليدي، مما يجعلها على اتصال مع ثلاثة أوساط طبيعية في البلاد(باستثناء الشاطئ أو الساحل) وهي السهل، والهضبة، والجبل.

و قد عرفت منطقة البليدة(سهل متيجة) استقرار تجمعات سكانية منذ القديم، وقد أصبحت في الفترة الإسلامية تؤلف شبكة عمرانية مهمة، بين مدن المثلث الصنهاجي " الجزائر، والمدية ، ومليانة "، "فقد كان بسيط متيجة مستبحرا بالعمران، آهلا بالقرى والأمصار. ونقل الإخباريون أن أهل متيجة لذلك العهد - الفترة الاسلامية الوسطى - كانوا يجمعون في ثلاثين مصرا، فجاس خلالها، وأوطأ الغارات ساحتها، وخرب عمرانها، حتى تركها خاوية على عروشها"[5].

---

1 أحمد توفيق (المدني): **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 198.

2 أبو القاسم (سعد ا): **الحركة الوطنية الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ج الأول، القسم الأول، ص 29.

3 هاينريش(فون مالستان): المصدر السابق ، ج الثاني، ص 133.

4 تحول اسمه فيما بعد إلى وادي سيدي الكبير، نسبة إلى مؤسس البليدة سيدي أحمد الكبير، ينبع من جبال الأطلس على بعد 4 كلم جنوب البليدة، و ينصب في وادي جر قرب القليعة. ***أنظر:*** أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق، ص 171.

5 عبد الرحمن (ابن خلدون): **تاريخ ابن خلدون**، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، 1968، م السابع، ص 133. لعل الصراع الصنهاجي- الزناتي في القرن الرابع الهجري، ثم انتفاضة بني غانية ضد الموحدين في القرن السادس الهجري، وحلول العشائر الهلالية بجهات الجزائر، واشتداد المنافسة بين الزيانيين والحفصيين، كلها عوامل تظافرت للقضاء على الحياة العمرانية بمنطقة البليدة. ***أنظر:***

ناصر الدين (سعيدوني): **مدونة المدن الجزائرية**، في طريقه للنشر، ج الأول، ص 04.

و حسب المصادر التاريخية القديمة، وبعض الجغرافيين والرحالـة العـرب، فان موقع مدينة البليدة كان على أنقـاض مدينـة كانـت تـدعى خزرونـة[1] ، أو كزرونة، التي كانت تقع (حسب البكري) في الطريق الرابط بين المدية وجزائر بني مزغنة[2]. أما ابن خلدون فإنه لم يذكر مدينة البليدة عند حديثه عـن بـسيط متيجة[3].أما الرحالة المغربي "الزياني" فقد أخطأ عندما قال: "أن مدينـة البليـدة أسسها أمير صنهاجة عام 345هـ / 940م [4]". وأمـا المؤرخـون والرحالـة الغربيون، فقد أعطوا لمدينة البليدة تاريخا أبعد من ذلك، فقد كان هـواة التـاريخ الروماني يرون أن البليدة بنيت فوق آثـار(بيـدا كولونيـا) (Bida Colonia)، حيث أن الرحالة الإنجليزي الدكتور شـاو(SHAW) رأى فـي البليـدة مدينـة "بيدا كولونيا" الرومانية، التي كانت في عام 484 بعد ميلاد المسيح مقـرا لأحـد القساوسة [5]. وهذا التشابه في التسمية يلائم توقعاتهم،لأنه من بيدا (Bida) إلـى (BLIDA)، ليس هناك من فرق سوى سمك الحرف (ل. L). إلا أن هذا الاسـم يطلق على منطقة معروفة الآن باسم (جماعة صهريج) ، بهضبة سباو، بمنطقـة الزواوة (القبائل الكبرى)، وبها آثار رومانية تشهد علـى ذلـك [6] ، ممـا يـدد توقعاتهم. كما أن الغياب التام للآثار الرومانية على امتداد أرضها، زد على ذلـك عدم وجود بقايا أواني، ورؤوس تماثيل، وقطع نقدية أو أوسمة، كان سـببا آخـر لمحاربة هذا الرأي، كما أنه لم يكن مفترضا أن شعبا عسكريا كالرومان، يختـار موقع منطقة كالبليدة (طريق مسدود بالجبل), لوضع قاعـدة عـسكرية, أو إقامـة

---

[1] خزرونة: ضاحية من ضواحي مدينة البليدة اليوم، تبعد عن مركزها بحوالي 4 كلم إلى الشمال في الطريق المؤدي إلى مدينة الجزائر.

[2] أبو عبد ا (البكري): **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب**، و هو جـزء مـن كتـاب المـسالك و الممالك، ط باريس، أدريان ميزوفوف، 1965 . *أنظر أيضا:*

george (Yver): **"Blida" in E . I 2**, T I ،A-D, Paris, 1913 , P 754.

[3] المصدر السابق ، م السابع، ص 133.

[4] مولاي (بلحميسي): **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (رحلـة الزيـاني)**، الطبعـة الثانية، ش. و. ن.ت، الجزائر، ص 171.

[5] thomas (Shaw): **voyage dans la régence d'Alger**, traduit de l'Anglais par j- mac carthy, paris, malin, 1830, T II, P 105.

[6] محفوظ (قداش): **الجزائر في العصور القديمة**، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتـاب، الجزائـر، 1993، ص 128.

مستوطنة دفاعية [1].

أما الرحالة الألماني(هاينريش فون مالتسان) فيقول: "أما ما يتعلق بالآثار القديمـة في البليدة, فلعله من الممكن أن يبحث الإنسان في هذه المنطقة عن (تمريـسينوم) التي ورد ذكرها في الدليل الخاص بالطرق لأنطو نيتي اوغوسطي, فقد جاء فـي هذا الدليل أن (تمريسينوم) تبعد عن (نتارا موزاكاسترا)-موزاية اليوم –بستة عشر ميلا [2]، و المسافة بين البليدة و موزاية تقدر بأربعة عشر كيلـومترا، و هـذا لا يتناسب تماما مع ما ذكر في الدليل بطبيعة الحال، إلا أن الدليل غالبا مـا تعـوزه الدقة في ذكر المسافات. و على أية حال فإنه يكون من الغريب جدا ، أن يكـون القدماء قد جهلوا الموقع المناسب الذي تقوم عليه البليدة" [3] .

إذن الحقيقة التاريخية تؤكد أن البليدة لا يمكن أن تكون سوى مدينة عربية، ذات تاريخ غير بعيد، فأول لبنة تطبع هذه المرحلة المنيرة في تاريخ البليدة، كانت من طرف سيدي أحمد الكبير [4]. ففي بداية القرن الـسادس عـشر، و علـى أرض البليدة- مدينة المستقبل-، لم يكن يوجد سوى قريتين لفرق من قبيلة بنـي خليـل، همـا: قريــة هجــار ســيدي علــي فــي الــشمال، و إلــى الجنــوب قرية أولاد سلطان [5] . ففي عام 925هـ / 1519م ، لم تكن هجار سيدي علي سوى مساكن متواضعة على سفوح الأطلس، بحيث يمكن القول إنها لم تكن حينئذ إلا قرية صغيرة ، تتألف من نحو أحد عشر كوخا [6] .

وفي ذلك العام (925 هـ / 1519م)، حل بمنطقة البليدة رجل من الأندلس يدعى سيدي أحمد الكبير، فأعجبه المكان، ووضع كوخه عند الـضفة اليمنـى لـوادي الرمان[7]. وبعد سنوات من ذلك (942 هـ/1535 م) نزل عدد من المهـاجرين الأندلسيين في منطقة شنوة (نواحي تيبازة)، ثم زحفوا نحو هجار سيدي علـي[8]،

---

[1] Djamel (Melouh): et autres; op.cit, P 01.

[2] الميل يساوي 1609 متر.

[3] المصدر السابق، الجزء الثاني، ص138.

[4] jean (Bisgambliglia): **Blida petite ville et grand ban lieue**, la dépêche, samedi10/02/1962, P 10.

[5] colonel (trumelet): op.cit, T II , P 530 et suivante.

[6] **guide Blida- chrea et leur environs**, imp: A. Mauguin, , Blida, 1948, P 06.

[7] jean (Bisgambliglia): OP.cit, P10.

[8] i bid, P08.

تجنبا لمضايقات العشائر التي كانت تسكن فيها[1]. وقد أقام الأندلسيون في البليـدة تحت حماية الولي الصالح سيدي الكبير، و الباشا خير الدين بربروس، الذي ركب متون الأخطار لإنقاذهم بنفسه على سفائنه من مخالب الوحشية الإسبانية[2].و قـد تعهد هذا الأخير خلال زيارته للبليدة، و لقاءه بـسيدي أحمـد الكبيـر، بإنـشاء مسجد ، وفرن عام - مخبزة -، وحمام ، على نفقاته الخاصة، و أوفـى بتعهـده ، حيـث أنـه مـا حـل عـام (942هـ ـ/1535م) حتـى كانـت المؤسـسات الثلاث – المسجد والحمام و الفرن- قائمة[3]. و بعد ذلك بنـى النـاس مـساكنهم ودورهم الجميلة، التي تمتاز بشكلها الأندلسي الأنيق [4]، وأنشئوا حولهـا بـساتين ومزارع يانعة الثمار، زاهية الأزهار والنوار، واتخذها الأندلسيـون لأنفسهم دارا وملاذا، وجعلوها مركزا لصناعاتهم البديعة ، كالتطريز علـى الجلـد، و أجـروا حولها الميـ ـاه بصفة فنية [5] ، فكانت مدينة جامعة لأنواع الفواكه و الريـاحين الشذية، و الجو العبق الأريج، ممتازة بتدفق مياهها العذبة الباردة، و طيب هوائها النقي [6] ، حتى أصبحت واحدة من أجمل و أمتع مدن الإيالة الجزائرية في العهد العثماني[7].

و قد سحر جمال البليدة عقول و أفكار الرحالة و المؤرخين ، الذين تعرفـوا عليها منذ تاريخ تأسيسها. فقد سجلوا إعجابهم بها ، ونوهوا بمناظرها الخلابة التي تجلب الانشراح و البهجة، و توفر جوا رومانطيقيا يدفع إلى التأمل، و يثير فـي النفس الرغبة في تذوق الرائحة، و الاستمتاع بالحياة المريحة[8] . و من هـؤلاء،

---

1 colonel (trumelet): op.cit, T II، P 530 et suivante.

2 أحمد توفيق (المدني): كتاب الجزائر، ص 199.

3 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 582 et suivante.

4 عبد الرحمن (الجيلالي): تاريخ الجزائر العام، ج الثالث، ص 61.

5 أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق ، ص 199.

6 عبد الرحمن (الجيلالي) :المرجع السابق ، ج الثالث، ص 61

7 venture (de paradis) : **Alger AU XIIIe siécle**, in R . A, T 39, Année 1895, P276.

8 نور الدين (عبد القادر): **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركـي**، نشر كلية الاداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 62.

الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف الملياني[1]، الذي خصها بالكلمـة الطيبـة: " ***الناس سموك بليدة، وأنا أسميك وريدة*** " [2].

مما تقدم يمكن القول:

1 - في عام 942هـ/1535 ظهرت الى الوجود مدينة جزائرية جديدة ، سميت البليدة ، أي البلادة أو المدينة الصغيرة ، نتيجـة التقـاء جملـة مـن الظـروف و المصالح ، من طرف قوتين : أولاهما القوة الـسياسية العـسكرية المركزيـة العثمانية ، ممثلة في باشا الجزائر خير الدين بربروس العثماني، و ثانيهما القـوة الدينية المتمثلة في الولي الصالح سيدي أحمد الكبير الأندلسي .

2 - ساهم الأندلسيون الفارون بدور هام ، بل أساسي ، في بناء مدينة البليـدة ، و ذلك بفضل ما أحضروه معهم من بقايا حـضارتهم العريقـة ، و صـناعتهم ، و فنونهم ، و خبراتهم المختلفة ، خاصة تقنية السقي التي كان لها الدور الكبيـر في تطوير الزراعة في المنطقة ، و تحديد الهيكل العمراني للمدينة ، حيث أن هذه السواقي أصبحت تمثل فيما بعد طرقا و أزقة فيها[3] .

3 - أصبحت مدينة البليدة في ظرف وجيز، واحدة من أجمل و أمتع مدن الايالة الجزائرية في العهد العثماني ، فقد سحر جمالها ، و حسن موقعها ، عقول و أفكار الرحالة و المؤرخين الذين زاروها ، و تعرفوا عليها .

---

[1] **سيدي أحمد بن يوسف الملياني**: هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم أبو العبـاس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا، ودارا الملياني، ولد في منتصف القرن الخامس عشر باقليم وهران ، عاصـر سقوط غرناطة ، و احتلال الاسبان لأجزاء من بلاد المغرب ، و وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائـر ، كان من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، جمع ا له بين علم الحقيقة والشريعة، اجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين، واشتهر ذكره في الافاق شرقا وغربا، وأوقع ا له القبول العظـيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق، وقصده الزوار من كل حدب، توفي يوم 24 صفر 931هـ / 18 نـوفمبر 1524م سنة . ***أنظر***: أبو القاسم محمد (الحفناوي): **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ج الأول، ص 355، ص 357. و **أنظر** أيضا:

M (Bodin) :**notes et quistions sur ahmed ben youcef** in R . A, T 66, Année 1925 PP125 ,189

[2] هاينريش(فون مالستان): المصدر السابق، ج الثاني، ص135 .

[3] Joèlle (Deluz): OP CIT, P 26.

المبحث الثالث:الجهازان الإداري و الشرعي في البليدة:

أ- الجهاز الإداري لمدينة البليدة:

شهد الجهاز الإداري العثماني بإيالة الجزائر تطورا ملحوظا، و ذلك منذ اسـتقرار الحكم العثماني بها، حتى استكمل تنظيماته، و استقرت أجهزته مع نهايـة القـرن الثامن عشر[1] . فبداية رأى عروج أن يقسم الدولة الجديدة إداريا إلى مقـاطعتين: مقاطعة شرقية، يشرف عليها خير الدين، ومقرها الإداري مدينة دلس، ومقاطعـة غربية، ويشرف عليها عروج نفسه، ومقرها الإداري مدينة الجزائر[2]. وبعـد أن عين خير الدين بايلر بايا على الجزائر(عام 1519م)، احتفظ بمدينة الجزائر ومـا حولها لنفسه، وعين على الجزائر الشرقية، و الجزائر الغربية عمالا من قبلـه[3]، أولهما أحمد بن القاضي الغبريني- سلطان جبل كوكو- في الـشرق ، وثانيهمـا محمد بن علي في الغرب. و قد مر تقسيم الجزائر بمراحل، انتهـت فـي عـام 1567م ، بتقسيمها إلى أربع بايليكيات(مقاطعات)، ثلاثة منها كان يديرها بايـات، يعينهم الباشا[4]. فأولهم باي التيطري، وهو أكبر البايات اسما، لأنه أول من ولتـه الدولة العثمانية بهذا المحل، وقاعدته المدية. وثـانيهم بـاي الـشرق، وقاعدتـه قسنطينة. وثالثهم باي الغرب[5] ، وكان مقره في باديء الأمر في مازونة ، ثم نقل إلى تلمسان ، ثم الى غيرها ، كمدينة وهران بعد الفتح الأول عـام 1708م ، ثـم صار مستغانم ، ثم معسكر ، ليستقر في وهران بعد الفتح الثـاني عـام 1792م، و استمر الحال على ذلك إلى انقطاع حكم العثمانيين بالجزائر[6] . أما القسم الرابع الذي أطلق عليه اسم "دار السلطان"، فكان تحت الإدارة المباشرة للباشـا ، وكـان

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي و الاجتماعي... ص16.

2 أحمد توفيق (المدني): حرب الثلاثمائة سنة.....ص183.

3 يحي(بوعزيز): المرجع السابق، ص269.

4 نفسه ، ص269.

5 بن عودة (المزاري): **طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنـسا الـى اواخـر القرن التاسع عشر** ، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز، الطبعة الاولى، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت، 1990، ص270.

6 محمد بن يوسف (الزياني): **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1978، ص189.

يشتمل على المدن الساحلية الممتدة بين دلس شرقا، وشرشال وتنس غربا، ليضاف إلى ذلك شريط داخلي ضيق، يمتد خلف الساحل[1]. ويتكون البايليك من عدة مناطق تدعى أوطان، وكل وطن كان يتكون من عدة مناطق، أو أعراش، إضافة إلى عدة مدن[2]. وقد كانت المدن وأحوازها، تدار على يد قائد البلد، وتحته شيخ عرفي، يقال له شيخ البلد[3].

وتقع مدينة البليدة في إقليم دار السلطان، الذي يتكون من خمسة أوطان وهي: وطن بني خليل، و وطن الخشنة، و وطن السبت(أو موزاية)، و وطن بني موسى، ووطن يسر. أما أراضي المدينة وفحوصها ، فتقع بالتحديد في النطاق الجغرافي لوطن بني خليل[4]. ويعطينا " فانتور دي بارادي " venture de paradis بعض المعلومات التي تتعلق بإدارة إقليم دار السلطان في ذلك العهد فيقول: "...كان على رأس كل مدينة هامة، مثل البليدة، وبوفاريك، ومليانة، قائد تركي، يعين فيدفع- في مقابل التسمية- مبالغ من المال، وكميات من المنتوجات والهدايا للداي "[5]. وقد كان باشا الجزائر يحكم هذا الإقليم وممتلكاته، بواسطة آغا العرب الذي عين لإدارته [6] .

ويوجد في مدينة البليدة، بالإضافة إلى السلطة الرسمية، حاكمان ينظمان شؤونها، ويحافظان على الأمن فيها، ويراقبان المياه، و الشرطة، والمؤسسات العمومية[7]، وهما:

<u>أولا: حاكم المدينة:</u> ويعرف بعدة تسميات، منها شيخ البلد، قائد البلد، وقائد الدار. و كان يعين في الغالب من الأتراك العثمانيين ، أو من

---

[1] جون بابتست (وولف): **<u>الجزائر و أوربا</u>** ، ترجمة و تعليق أبوالقاسم سعد ا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 117.

[2] a (benachenhou) **<u>L'ETAT ALGERIENNE EN 1830</u>** E. P. A. ALGER . SANS ANNEE . P 20.

[3] بن عودة (المزاري):: المصدر السابق، ص 274.

[4] أنظر الخريطة المرفقة في الملاحق .

[5] op.cit, P 276.

[6] a (benachenhou): op.cit, P18.

[7] حمدان بن عثمان (خوجة): **<u>المرآة</u>**، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، ش.و.ن.ت، الجزائر ، 1982، ، ص 126.

الكراغلة[1]. وهو نائب الوالي، ويمثل سلطة مخزن البايليك[2]، و تماثل سلطته في المدينة وفحوصها، سلطة قائد الوطن[3].

و كان حاكم البليدة يقطن داخل المدينة، و بعد زلزال 1825، الذي أثـر علـى المقر، قرر نقل مقره إلى المحكمة الواقعة في شارع الباي، مستغلا المنزل الواقع في زاوية شارع الكراغلة، و هو المنـزل الـذي يـدعى دار البايليـك، أي دار الحكومة[4].

و كان الحاكم مكلفا بأداء الأعمال التالية:

- إدارة شؤون المدينة، و بسط نفوذه على النواحي القريبة منها.
- السهر على إقرار الهدوء، و حفظ الأمن، و تنفيذ الأحكام بالحواضر.
- مراقبة طائفة الحضر، و أخذ الرسوم و الضرائب من أمناء النقابات المهنيـة، و رؤساء المجموعة الجهوية(جماعة البرانية) المستقرة بالمدينة[5].
- مراقبة الشؤون الاقتصادية و الحرفية بالمدينة و ضواحيها[6].
- يكون على يده ما يلزم العساكر و الحنية، أي تموين رجال الميليشيا بـرواتبهم الشهرية[7].
- تمتد مسؤوليته إلى القسم الأكبر من أملاك البايليـك و عقاراتـه، و مخـازن الحبوب، و أئمة المساجد، و وعاظها، و القضاة، و المفاتي، الذين عليه أن يـدفع لهم أجورهم، و أرزاقهم المستحقة[8].
- كانت شرطة المدينة تحت تصرفه، وهو مكلف بتنفيذ الأحكام الـصادرة عـن القاضي[9].

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): **موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عـشر**، منـشورات ووزارة الثقافـة و السياحة، الجزائر، دون تاريخ، ص 38.

2 a (benachenhou): op.cit, P22.
3 colonel (trumelet): op.cit, T II, P780.
4 I bid, T II,P 953,P 955.

5 ناصر الدين (سعيدوني): موظفو الدولة الجزائرية....، ص 41.

6 a (benachenhou): op.cit, P22.

7 محمد الصالح (بن العنتري): **فريدة مؤنسة في حال دخـول التـرك بلـد قـسنطينة و اسـتيلائهم علـى أوطانها،المعروف بـ: تاريخ قسنطينة** ، مراجعة و تقديم و تعليق يحيـى بـوعزيز، ديـوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 58.

8 نفسه ، ص 20.

9 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 953, P 955

و قد مكنت المهام الاقتصادية الحاكم، من أن ينعم بالمرتبات المعتبرة، و الدخل الوفير الذي يستخلصه من الضرائب العينية التي يشرف على جمعها، فضلا عن الهدايا التي كان يحصل عليها في كثير من المناسبات، حيث كان يقوم بتقديم ضريبة فصلية "دنوش" مرتين في السنة، و في كل مرة يسلم لحاكم الجزائر 800 ريال فرنسي، مع الهدايا و الترضيات لكبار أعضاء الديوان، و مسؤولي الإدارة المركزية، فينال أغا العرب 333 دورو، و يخص باقي الموظفين بـ 1600 دورو أخر، أغلب هذه المبالغ تقتطع من التزامات المزوار المكلف باستخلاص رسوم الحمامات، والنساء العموميات المرخص لهن بممارسة الدعارة بحومة البقعة بالبليدة[1]. كما أن مهامه الإدارية أكسبته نفوذا حقيقيا، سمحت له في بعض الأحيان الاتصال المباشر بالداي، وباقي موظفي الحكومة السامين[2]، حيث أنه كان مستقلا عن قائد بني خليل، الذي يسكن(مقره) داخل هذه المدينة[3]. ومن الذين تولوا وظيفة الحاكم في مدينة البليدة، واعتمادا على بعض وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، (سجلات المحاكم الشرعية) نجد:

محمد عرب بن نعمان البجاوي(1180هـ - 1766م)، الحاج موسى بوناب(1202هـ - 1787م)، إسماعيل(1797-1801)، حسين خوجة(1824م-1825م)، وسيدي مصطفى شاوش الإنكشاري(1827) [4].

ثانيا: نقيب الأشراف: يتم اختياره من العائلات النبيلة للمرابطين بالمدينة [5]، مثل عائلة سيدي أحمد الكبير، وعائلة سيدي موسى بن ناصر، وعائلة سيدي الغريب، وعائلة سيدي مجبر، حيث يتم التأكد من صحة نسب الأشراف بالعودة إلى شجرة النسب . ومن مهام نقيب الأشراف:

-أنه مكلف عند جميع الحوادث الهامة, بأن يجمع في بيته شيخ البلد, مع جميع

1 ناصر الدين (سعيدوني):: مدونة المدن، ص 5.

2 ناصر الدين (سعيدوني):: موظفو الدولة الجزائرية....، ص 39.

3 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 780.

4 **أ . و . ج** : ***س.م.ش***: علبة 104-105، وثيقة(164)، و الوثيقة(140-16)/ علبة 34، وثيقة(6-27)، و الوثيقة(29-42)/ علبة 58، وثيقة(30-97)، (123-83)، (171-136)/ علبة 84، وثيقة(85-86).

5 حمدان بن عثمان (خوجة) : المصدر السابق، ص 125.

الأمناء الذين هم تحت سلطته, للتشاور في الوسائل اللازم اتخاذها [1].

- أن يتصل بالطوائف السكانية، عن طريق أمنائها، ويتصرف في النقابـات المهنية، باستخلاص ما يتوجب عليها من رسوم وعوائد.
- أن يبلغ أوامر البايليك إلى مختلف الطوائف والجمعيات العرقية والمهنيـة، كالعلماء والحرفيين، والوافدين على المدينة من سكان الأرياف[2].

فحاكم المدينة، ونقيب الأشراف فيها، هما القائمـان علـى شـؤون المدينـة، والمحافظان على كيان مختلف الطبقات الصناعية، والمراقبان لأعمال الشرطة المحلية، والساهران على نقاء البلاد، والقنوات، وتسيير المؤسـسات العامـة، والمشاريع الخيرية، وهلم جرا...وإليهما تتوجه السلطة فـي جميـع الأحـوال والظروف[3].

و بالإضافة إلى هذين المسؤولين الساميين، يتألف الجهاز الإداري للبليدة ، من عدد من الموظفين المساعدين، منهم:

- المحتسب: وهو المتولي أسعار البلاد، من الأمور الموزونة، والموكولة[4]، حيث ينبغي للوالي أن ينظر في أسواق رعيته، ويأمر بأوثق من يعرف ببلـده، أن يتعاهدوا على السوق، ويعبر عليهم صنجتهم، وموازينهم، ومكاييلهم كلهـا، فمن وجده غير من ذلك شيئا، عاقبه على قدر ما يرى من جرمه وإفتياته على الوالي، وأخرجه من السوق حتى تظهر منه التوبة والإنابـة إلـى الخيـر[5]. و كان للمحتسب دور مزدوج: مراقبة الأسعار، و مراقبة نوعيـة المنتوجـات الحرفية، و حتى الغذائية[6]، فقد كان يراقب كل مـا يبـاع فـي الأسـواق، و الدكاكين، من مأكول، و مشروب، و ملبوس، و مـصنوع، حـسب أحكـام القضاء و الإفتاء. و غالبا ما يتجول في الأسواق، و هو حامل الميزان، لمعاينة

---

1 حمدان بن عثمان (خوجة) : المصدر السابق، ص 125 .

2 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ...ص19.

3 حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق ، ص 126.

4 محمد الصالح (بن العنتري) : المصدر السابق، ص 58.

5 أحمد بن يحيى (الونشريسي): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علمـاء افريقيـة والأنـدلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمـد حجـي، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت، 1981، ج السادس، ص 406، ص 408.

6 a (benachenhou): op.cit, P22.

نوعية المعروضات، و التأكد من عدم تحايل التجار، و تدليسهم[1]، حتى لا يكتموا عيب البضاعة، و يغشوا المشتري عند المعاملة[2]. فإذا ثبت الغش في الأسعار، أو الموازين، فإن يد الغاش تقطع، أو يطاف به أمام العامة، على ظهر حمار، أما إذا ثبت غش الخباز، فان يده لا تقطع، و لكن المخبزة تصادر، و يضرب هو ضربا مبرحا على قدميه[3]. و قد استعان المحتسب لأداء هذه المهام بمساعدة القاضي و أمناء النقابات المهنية.

- **المزوار**: و هو مسؤول الحراسة الليلية بالمدينة[4]، و من مهامه أيضا تنفيذ أحكام القضاء بواسطة مساعديه ، من شنق إلى قطع اليد. كما كان عليه استخلاص رسوم الحمامات، و النساء المرخص لهن بممارسة الدعارة بحومة البقعة داخل مدينة البليدة[5].

- **وكيل بيت المال**: ومن مسؤولياته إعانة الفقراء و المساكين، و التصرف في المواريث التي لا صاحب لها، و حفر القبور، و حماية المقابر. وقد كان الحاكم يضع تحت تصرفه مبلغا من المال من الخزينة العامة، لمواجهة هذه المشاكل[6]. و من الذين تولوا إدارة وكالة بيت المال بالبليدة ، مصطفى آغا بن محمد التركي عام 1110هـ(1698م/ 1699م) [7].

- **مجموعة القياد**: و يزاولون وظائفهم في دائرة محددة بدقة، و هم متنوعون حسب المهام المنوطة بهم، فمنهم قائد الفحص الذي يقوم بمهام الشرطة في ضواحي المدينة [8] ، بإقرار الأمن بها، و تنفيذ أوامر الداي، و قرارات أغا

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي و الاجتماعي.....، ص 19.

2 ناصر الدين (سعيدوني): **ورقات جزائرية(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني)**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 279.

3 أبو القاسم (سعد ا): **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال** – ، ط الثالثة ، ش.و.ن.ت ، 1982، ص 54.

4 نفسه، ص 54.

5 ناصر الدين (سعيدوني): مدونة المدن.... ص 05.

6 حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص ص136،134. و **انظر أيضا:**
محمد الصالح (بن العنتري): المصدر السابق، ص 23.

7 عبد الجليل (التميمي): **الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان، 1990، ج الأول و الثاني، ص 186.

8 MOULOUD (GAID): OP CIT, P 180.

العرب المتصلة بسكانها، و هو بذلك يشكل حلقة وصل بين الإدارة الحضرية بالمدينة، و التجمعات السكانية الريفية المجاورة لها [1]. و هناك أيضا قائد الزبل، و هو مسؤول عن تنظيف الشوارع، و الأسواق، و الحارات، وتجميل المدينة[2]. و قياد الخدمات الاجتماعية هؤلاء يرتدون البرنوس الأحمر كـسمة أو دلالة، على مباشرتهم لوظيفتهم[3].

- البراح: يقوم بتبليغ أوامر الحاكم أو الباي ليك في الأسواق العامة للسكان[4]، كقضايا الاعدام ، و خبر انتشار وباء وكيفية الاحتـراز منـه ، و خبـر تعيـين موظفين جدد ، ... و هلم جرا .

ب-**الجهاز الشرعي بمدينة البليدة:**

يوجد بمدينة البليدة مفتي و قاضي مالكي لعموم الناس، و مفتي حنفـي للأتـراك و الكراغلة، و لكل قاض خوجاته، و شواشه، الذين ينفذون الأحكام التي يصدرها بمقتضى شريعة القرآن في الحين[5]. أما المجموعة اليهودية فقد كان مسموحا لها أن تسير شؤونها الخاصة، و أن تنظم قضاءها و محاكمها، باستثناء الحالات التي للمسلمين دخل فيها، فإذا حكمت محكمة إسلامية على أحد اليهود بـالموت، فإنـه يموت دائما حرقا عند عمود[6].

و كان الانكشاري الذي ارتكب جريمة يحاكم من قبل محكمة خاصة، وإذا وجـد مذنبا فإنه يحكم بخنقه، أو قطع رأسه في هدوء بعيدا عن أعين الناس[7]، وهذا لأن العسكريين لا يحاكمون أبدا بواسطة القوانين المدنية، وإنمـا بواسـطة القـوانين العسكرية[8]. أما الآخرون فجميعهم ينفذ فيهم الحكم أمام الملأ[9].

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات .... ص 276.

2 MOULOUD (GAID): OP CIT, P 180.

3 I.bid, P 181.

4 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 953, P 955.

5 سيمون (بفايفر): **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعـة و النـشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص 195.

6 جون بابتست (وولف): المرجع السابق، ص 169.

7 نفسه، ص 172.

8 حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق، ص 122.

9 جون بابتست (وولف): المرجع السابق، ص 172.

و يمتاز القضاء بالتنفيذ السريع، و العقاب الصارم إذا اقتضى الأمر ذلك[1]. و قد كان حاكم البليدة مكلفا بتنفيذ الأحكام الصادرة عن القاضـي، كجـرائم الـسرقة، و الأعمال الخطيرة، فكان قصاص اللص قطع يده اليمنى[2]، بعد أن يـشهر بـه البراح في الأسواق والأزقة العامة.

و نظرا لكون النظام القضائي كان يقتصر على المسائل الدينية و القضايا المدنية الصرفة، فإن الحكام لم يروا مانعا من السماح لبعض الحضر و الكراغلـة بتولي المناصب القضائية[3]. ومن الذين تولوا وظيفة القضاء و الإفتـاء بمدينـة البليدة[4] نذكر:

- بلقاسم بن أحمد بن هاني قاضي البليدة(دون تاريخ).
- سيدي محمد واد، قاضي البليدة و بني خليل(بداية شوال 1133 هـ/ 1721 م).
- الفقيه الحاج إبراهيم المفتي الحنفي بالبليدة(1136 هـ/ 1723 م-1724م).
- الحاج محمد أفندي قاضي البليدة(أواسط جمادى الثاني 1164هـ/ 1751 م).
- الحاج الفقيه حسين بن محمد بن سيدي أحمد الرموشي، قاضي البليـدة و بنـي خليل(رمضان 1191هـ/ 1777 م).
- أبي العباس سيدي أحمد منصور، قاضي البليدة و بنـي خليـل(بدايـة ربيـع الثاني1203هـ/ 1789 م).
- محمد بن ابراهيم بن الشيخ سيدي واد ، القاضي المالكي للبليدة(توفي في محرم 1261 هـ/ 24 جانفي 1845 م).
- سيدي بلقاسم حفيد سيدي أحمد الكبير، مفتي البليدة (1243هـ/ 1827م).
- محمد، المفتي الحنفي للبليدة(1243 هـ/ 1827 م).
- بلقاسم المفتي المالكي للبليدة(1243 هـ/ 1827 م).
- سيدي محمد قاضي البليدة(1243 هـ/ 1827 م) [5].

---

[1] أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 53.

[2] colonel (trumelet): op.cit, T II, P 953, P 955.

[3] ناصر الدين (سعيدوني) : الجانب الاقتصادي و الاجتماعي... ، ص 23.

[4] غياب المعلومات، و ندرة الوثائق المتعلقة بالقرنين السادس عشر و السابع عشر، جعلنا نقتصر على ذكـر القضاة و المفتيين ، خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر .

[5] NACEREDDINE (Saidouni): **L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791- 1830)**, DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, BEYROOTH, 2001, P313, 314.

و لكي نأخذ صورة عن الجو العام لسير جلسة قضائية، لا بأس أن نـستعين بما كتبه الرحالة الألماني " موريتس فاغنر" بقوله:« يعقد القاضي المالكي جلـسته في قاعة بسيطة، تغطي أرضها الزرابي، و يتميز عن غيـره مـن الحاضـرين بعمامته الكبيرة، التي تحتوي على ثنايا كثيرة، غير أنه لا يختص بهذه العمامـة، إذ يشاركه فيها رجال الدين من أئمة و علماء و قراء و مرابطين، بالإضافة إلـى معاونيه من الكتاب و المحررين. و يتخذ القاضـي مكانـه فـوق مقعـد عـال، عند مائدة بيضوية الشكل، و أمامه نسخة من القران مذهبة الجلد، و عـن يمينـه و شماله كتابه، الذين يقوم بتسجيل محاضر الجلسات، و يتولون إعـداد الوثـائق الخاصة بعقود البيع، و غيرها من الملفات الرسمية، و يتوجهون بالنصيحة إلـى القاضي في المسائل التي تشكل عليه. و حين يدخل الشاوش أو خـادم المحكمـة المتخاصمين ليمثلا أمام القاضي، يقفان في النهاية الأخرى من المائدة. أما إذا كانا من النساء فإنه لا يسمح لهن بالدخول إلى قاعة المحكمة، و إنمـا يتحـدثن إلـى القاضي من وراء قضبان نافذة الفناء... و ليس هناك حـادث يمكـن أن يخـرج القاضي عن هدوئه، فهو يستمع إلى الأصوات المتراشقة مطرقا في هـدوء تـام، و يلقي على أحد المتخاصمين بين الحين و الآخر سـؤالا، و يـستنطق الـشهود إن وجدوا، ثم يصدر حكمه في القضية بكل رزانة و وقار، فيقبل حكمـه دون أن يبدي أحد الطرفين رغبته في استئناف الحكم. ينحني الخصوم لتقبيل يده قبل الحكم و بعده، و ينفذ الحكم عادة في الحين، و في المكان نفسه»[1]. و قـد كـان مقـر محكمة البليدة موجودا في زنقة الباي[2].

هذا و يلتحق بالمجلس الشرعي بمدينة البليدة موظفون آخرون، كان على رأسـهم الوكلاء أو النظار المشرفين على الأوقاف، الدين كانوا ملزمين بتقديم حساب عن أعمالهم للوكلاء الرئيسيين للمؤسسات التابعين لها بمدينة الجزائر[3]. و كان علـى

---

[1] أبو العيد (دودو): **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمـان(1830-1850)،** المؤسـسة الوطنيـة للكتـاب، الجزائر، 1989، ص 108، 109، نقلا عن رحلة موريتس فاغنر" رحلات في الجزائر في سـنوات1836-1837-1838م ".

[2] colonel (trumelet): op.cit, T II, P 953, P 955.

[3] عبد الجليل(التميمي): الحياة الفكرية في الولايات العربية....، ص 180.

رأس هؤلاء وكلاء أوقاف الحرمين الشريفين، الذين نذكر منهم:

- الحاج محمد بن عمار: 1121 هـ (1709-1710 م).
- الحاج قاسم المقفولجي الأندلسي: 1133-1134 هـ (1720-1721 م).
- الحاج على بن الحسن: 1144-1146-1147-1149-1151 هـ ـ (1731-1732-1733-1735-1736-1737-1738-1739 م).
- الحاج محمد بن الشرقي: 1155 هـ (1742-1743 م).
- محمد شاوش: 1243 هـ (1827-1828 م).
- الحاج مصطفى: 1245-1246 هـ (1829-1831 م).
- الحاج علي بن مشظون: (دون تاريخ)[1].

و كان أعضاء المجلس الشرعي(القاضي و المفتي المالكي، والمفتي الحنفي، والنظار المشرفين على الأوقاف...)، يجتمعون في مجلس مشترك[2] ، للنظر في المظالم، و القضايا الشرعية.

مما تقدم يمكن القول:

1 - كانت إدارة مدينة البليدة محافظة، متمسكة بالتقاليد الاجتماعية و الدينية، وهي تقوم على نظام اجتماعي طبقي، يبدأ بالعبيد، و ينتهي بالوجق العثماني الأرستقراطي، مارا بطبقة وسطى يمثلها عادة الحضر من سكان المدينة، من المرابطين، و العلماء، و التجار والصناع، و أصحاب الحرف.

2 - قد كان لهذه الإدارة هدفان: الأول حفظ النظام الداخلي، و السلم الاجتماعي، بتوفير الحماية و الأمن للسكان، أما الثاني فيتمثل في ضمان تحصيل الضرائب للخزينة العمومية بمدينة الجزائر عاصمة الإيالة.

3 - اعتنى الأتراك العثمانيون بجهاز العدالة ، فعمدوا إلى إنشاء مجلس شرعي بمدينة البليدة، للنظر في المظالم التي يرفعها الناس ، و كذا دراسة المسائل

---

[1] عبد الجليل(التميمي): الحياة الفكرية في الولايات العربية... ، ص 186.

[2] أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 53.

الشرعية المعروضة عليه .

4 - نظرا لكون النظام القضائي كان يقتصر على المسائل الدينيـة و القـضايا المدنية الصرفة، فأن حكام الجزائر العثمانيين لم يروا مانعا من الـسماح لـبعض الحضر، و الكراغلة، بتولي المناصب القضائية، و الشرعية بمدينة البليدة .

المبحث الرابع : العلاقة بين السلطة و القوى القبلية و الدينية:

أ- **علاقة السلطة بالقوى القبلية في منطقة البليدة:**

لما دخلت الجزائر في حوزة الدولة العلية، و انتظمت في سلك ممالكها، و أقامت الحكومة فيها، لحماية البلاد، وحفظ حقوق العباد، كان نفوذها لا يتعدى المدن والقرى، أما الجبال و ظواعن العرب في البادية، فكان لهم إدارة تخصهم، موكول أمرها إلى زعمائهم[1]. وبعد أن وسع خير الدين حدود الإيالة، اتفق مع القبائل على أن يحلفوا يمين الطاعة للسلطان العثماني، بواسطة نائبه الجزائري[2]، حيث طلب سكان متيجة، من الباشا أن يعين لهم شخصا من الأتراك، ويسكنه بينهم، ليدفعوا له الضرائب، ويكون شاهدا على أعمالهم، وهمزة وصل بينهم و بين الباشا، فاستجاب الباشا لطلبهم، وعين لتلك الناحية رجلا يسمى قائدا، أو حاكما[3].

كما قام الأتراك العثمانيون بتقسيم إقليم دار السلطان إلى خمسة أوطان، على رأس كل واحد منها موظف برتبة قائد. ومنطقة البليدة و القوى القبلية فيها ، من قبائل بني صالح، وبني ميصرة، وبني خليل، تقع في النطاق الجغرافي لوطن بني خليل، وبالتالي فإنها خاضعة(أي القوى القبلية)، إلى تصرف قائد وطن بني خليل، الخاضع بدوره لسلطة آغا العرب.

و من هذه العلاقة المترابطة، يتبين لنا أن القوى القبلية في منطقة البليدة كانت خاضعة للسلطة الإدارية العثمانية التالية:

1- **آغا العرب:** و هي درجة سامية، إذ هو الذي يقود وحدات الفرسان، التي تتكون في معظمها من العرب أو القبائل، وعليه يتحتم على الآغا أن يتكلم العربية، ليتمكن من إعطاء أوامره، وتسيير جيوشه[4]، حيث كان يجمع إلى قيادة الجيش البري الشؤون الأهلية[5]، حيث أن له رعية من بحلوان إلى يسر، ومن تنس إلى

---

[1] محمد بن عبد القادر(الجزائري): **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، ط الثانية، شرح و تعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر، 1964، ج الأول، ص 146.

[2] وليم (سبنسر): المرجع السابق، ص 37.

[3] حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري):المصدر السابق، ص 91.

[4] حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق، ص 128.

[5] سعد ا (أبو القاسم): المرجع السابق، ص 50، ص 51.

بايلك التيطري[1]. ويعتبر آغا العرب المرجع الأول لكـل المـوظفين المتـولين لشؤون أهالي الريف بدار السلطان، و المتصرف الفعلي في شؤون السكان بهـذه المقاطعة، فهو ينظر في كل القضايا المهمة عن طريق القياد والشيوخ، من مقـره بحوش الآغا خارج باب عزون، عند المخرج الشرقي لمدينة الجزائـر[2]. ومـن أهدافه:

- المحافظة على الأمن بالأرياف والإبقاء على المواصلات مع الداخل.

- تسلم الضرائب المفروضة على القبائل، وعند الضرورة يتوجه على رأس فرق المحلة لإيقاع العقاب بالعصاة، ومعاقبة المتمردين، أو الرافضين لدفع ما يترتـب عليهم من مغارم و واجبات[3]، من ذلك ما قام به أفراد قبيلة بني صالح، في عهد الداي حسين(1818-1830)، حيث أعلنوا الثورة و التمرد على السلطة، ورفضوا دفع ما عليهم من مغارم، فقرر آغا العرب يحي معاقبة المتمردين، متسلقا جبـال بني صالح، برفقة فرق زواوة العسكرية، عندها أرغم بنو صالح على طلب السلم من الآغا، بوساطة مرابط القليعة " سيدي محمد بن سيدي مبارك "[4]، شريطة أن يدفعوا غرامة مالية قدرها 900 بوجو[5].

وقد ترك العديد ممن تولوا منصب آغا العرب بصماتهم واضحة في حياة القـوى القبلية ليس على منطقة البليدة فحسب، وإنما على مستوى إقليم دار السلطان ككل، مثـل علـي آغـا(1789-1791)، ومـصطفى آغـا(1809-1814)، ويحـي آغا(1818-1827)، وذلك بما قاموا به من حملات عسكرية، وما أدخلـوه مـن

---

[1] الحاج أحمد الشريف (الزهار): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيـق المـدني، ط الثانيـة، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1980، ص 48.

[2] ناصر الدين (سعيدوني): ورقات ....، ص 274.

[3] نفسه ، ص 274.

[4] هو حفيد الولي الصالح الأندلسي سيدي علي بن مبارك، ولي القليعة، و مؤسس زاوية شهيرة بها، في أوائل القرن السابع عشر.**أنظر:** ناصر الدين (سعيدوني):**الأندلسيون (الموريـسكيون) بمقاطعـة الجزائـر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر** ، مجلة حوليات جامعة الجزائر ، العـدد 7 ، الـسنة 1992-1993، ص 117.

[5] colonel (trumelet): op.cit, T I, P84, P 86.

تنظيمات إدارية، وما أحدثوه من إجراءات ضريبية[1].

2- **قائد وطن بني خليل:** ومقره مدينة البليدة[2]، حيث أن القائد لا يسكن بالقبيلة التي يسير شؤونها، وإنما مقره يوجد إما في مقر البايليك، أو في المدينة الأقرب إلى نطاق عمله، أو في برج محصن[3]. و يتصرف قائد هذا الوطن في جبل بني مسعود، وبني صالح، وبني ميصرة، إلى وادي الحراش[4]، وهذا على امتداد الرقعة الجغرافية لهذا الوطن، التي تمتد على طول الساحل، من فحوص مدينة الجزائر شمالا، إلى جبال بني صالح جنوبا، ومن وادي الحراش، ووادي تحمامين شرقا، إلى وادي شفة، ووادي مزافران غربا، ويحتوي الوطن على أربعة عشر مقاطعة، وهي: أولاد فايت، معالمة، الدويرة، بن شاوة، وطا بوفاريك، مرجة بوفاريك، حمادة بوفاريك، ملوان، بوينان، تفشة، عمروسة، بني كينة، سيدي موسى، زماقة[5].

ويعين القائد في الغالب من الأتراك، أو من الكراغلة[6]، وفي بعض الأحيان يعين من بين العائلات ذات النفوذ و الكلمة المسموعة لدى السكان[7]، باقتراح من الآغا، أو غيره من كبار الموظفين الذين يرجع إليهم بالنظر[8]، ويأتمر بأوامر آغا العرب، الذي كان يحرص على إعطاء تعليماته شخصيا للقياد، و لا يتقبل منهم حق التولية، و لا يسند إليهم مناصبهم، أو يقرهم بها، إلا بعد التأكد من مهارتهم، وتجربتهم، وقدرتهم على التحكم في الأمور[9].

تتمثل مهام قائد وطن بني خليل أساسا فيما يلي:

- جمع الضرائب، و إبقاء الأمن في المنطقة التي تعود إليه، و تمثيل السلطة

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات ... ص 274.

2 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 109, P 780.

3 a (benachenhou): op.cit, P21.

4 الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 48.

5 L (RINN): **le Royaume d'Alger sous le dernier dey**, in R.A , T 41, Année 1897, P 146.

6 a (benachenhou): op.cit, P21.

7 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 276.

8 شارل اندري (جوليان): المرجع السابق، ص 378.

9 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق ، ص 276.

المركزية[1].

- مراقبة التبادلات الاقتصادية بين القبائل، و حراسة الأسواق التـي تعقـد فـي إقليمه[2].

- رئاسة قضاء المخزن فـي القـضايا و المنازعـات الجنائيـة، و الجزائيـة، و التجارية[3]، في المناطق الريفية.

- التكفل بأمن الطرقات مختلف أنواعها، بإيعاز من السلطات، لحمايـة الأهـالي، و جعلهم يشعرون بالطمأنينة الضرورية، للاهتمام بالميـادين الحيويـة، و لرفـع الإنتاج و مضاعفته[4].

- يسهر على توزيع الأراضي، و إحيائها لضبط مقاييس توظيـف الأداءات، ثـم يسهر على استخلاصها[5].

- الحد من المنازعات، و المشاجرات بين أفراد القبائل، أو الشيوخ المتنافسين[6].

و كان القياد يلبسون الخلعة يوم عيد الأضحى، و يدفع كل واحـد مـنهم لزمـه الوطن، و عوائده، و هذه اللزمة يفرضها الأشياخ في كل وطن[7]، كمـا كـانوا يمتازون بلباس البرنس الأحمر[8]، الذي يخلعه عليهم الباشا في حفلة خاصة تقـام لهذا الغرض[9].

و تجنبا للكثير من المصاعب التي تنجم عن اتصال القياد اتـصالا مباشـرا بالأهالي، فإنهم إلتجـؤوا لتنفيـذ مهـامهم، إلـى الاسـتعانة بـشيوخ القبائـل، و الدواوير، و الأعراش[10]. و من أشهر الذين تولوا قيادة وطن بني خليل " القائد الحاج حمود"[11].

---

1 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 51.

2 a (benachenhou): op.cit, P21.

3 I.bid, P 21.

4 محمد العربي (الزبيري): المصدر السابق، ص 21.

5 شارل اندري (جوليان): المرجع السابق، 377.

6 ناصر الدين (سعيدوني):: ورقات .... ص 276.

7 الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 48.

8 MOULOUD (GAID): OP CIT, P 181.

9 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 52.

10 ناصر الدين (سعيدوني): موظفو ... ، ص 38.

11 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات...، ص 277.

3- الشيوخ: يتولون الإشراف على شؤون القبائل، و يعود تنصيبهم، أو إقرارهم في مهامهم، إلى قائد وطن بني خليل، بالرجوع إلى آغا العرب في بعض الأحيان، و غالبا ما يتم اختيارهم من أعيان القبائل(1)، و يعتمد الشيوخ بدورهم على رؤساء الدواوير، حيث يتكون الدوار في الغالب من نحو ثماني الى عشر خيـام سـوداء هوائية، مصنوعة من شعر الجمل(2)، أو من مجموعة من الأكواخ تسمى(قربي)، التي كانت مبنية من الوحل، و القش، و التبن(3).

و تتنوع مهام الشيخ حسب حاجات القبيلة التي يشرف علـى أمورهـا، فهـو مكلف بمراقبة مواسم الحرث و الحصاد، و تقسيم الأراضي بـين العـائلات- إذا كانت الأرض مشاعة-، و ينظر في قضايا توزيـع ميـاه الـري، و تخـصيص المراعي، و اختيار مكان استقرار " الدوار"، أو "الدشرة"، إذا كانت القبيلة تمارس حياة التنقل الموسمي بين مزارع سهل متيجة، و مراعي جبال الأطلس المتيجـي، كما يحق للشيخ في الجهات البعيدة عن نظر القائد، مراقبـة الأسـواق الريفيـة، و فرض الغرامات، و إلزام السكان بدفع المطالـب المخزنيـة، حـسب قـدرتهم و طاقتهم(4)،إذ يقوم بجمع الغرامات، حيث يسجل و يراقب بيانات إنتاج الحقـول، وعدد رؤوس الماشية، وعدد و نوعية الأشجار المثمرة. و في حالة وجود خطأ في الإحصاء، يقوم الشيوخ بالتدقيق الشخصي للأرقام(5).

و عندما تحدد الضرائب، فإن الشيخ يجمع الأعيان، و بالاتفاق يوزعونها حـسب الطاقة على الأعراش و الأسر، إذ أن القبيلة تسير تسييرا جماعيـا، لأن الأعيـان يقررون مع الشيخ في جميع المسائل الخطيرة(6)، فالقبائل يجلون شيوخهم، بصفتهم آباءهم، وقضاتهم(7). ومن آخر الشيوخ الذين تولوا الإشراف على قبائـل منطقـة البليدة بدار السلطان، نجد الشيخ علي بن عبد الرحمان في قبيلـة بنـي صـالح،

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات...، ص 277.

2 أبو العيد (دودو): المصدر السابق، ص 134.

3 NACEREDDINE (Saidouni) : op.cit , P291.

4 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات ...، ص 277.

5 a (benachenhou): op.cit, P24, P 25.

6 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص45، ص 46.

7 سيمون (بفايفر): المصدر السابق، ص 149.

و الشيخ العربي بن حميد في قبيلة بني ميصرة[1].

وتعد قبائل منطقة البليدة، وقبائل بني خليـل ككـل، قبائـل خاضـعة للبايليـك، أو ما يعرف بقبائل الرعية، حيث اعتمدت الإدارة العثمانية في فـرض سـلطتها، وإخضاع السكان، و ربطهم بالحكم المركزي بالجزائر، على إقامة نظام دفـاعي، يستند على الحاميات العسكرية(النوبات)، وقبائل المخزن الموزعة علـى النقـاط الاستراتيجية، بالقرب من الطرق العسكرية، و بجوار المراكز العسكرية، و علـى إجراءات عسكرية عاجلة، مثل الحملات الفصلية(المحلات)، و شن الهجومـات الانتقامية المفاجئة(الغارات) [2].

هذا و قد أدى الضغط المتزايد الذي كانت تتعـرض لـه قبائـل الرعيـة ، إلى تفككها إلى مجموعات صغيرة من السكان، تخضع مباشرة للشيوخ، و تعرف في العادة باسم الجماعة[3]، أو الفرقة التي تتكون من عدة جماعات فقبيلـة بنـي صالح[4]، أصبحت تتكون من عشر فرق هي: كراشة - أمـشيش – سـعاودة – ترجونة – بني عمراس – المنشار – بوغدو – تيزا – حمليلي – تزرجون[5].

وبدورها انقسمت قبيلة بني ميصرة[6]، إلى فرق هي: بني مويسي- بوكنانة- أولاد عابد-تيقرت- ودغار- بن كينة- بني منص الواد- بني إرباح- شرفة- زوغاية- زاوية بومان- تيبرانين[7]. أما قبيلة بني خليل فانقسمت إلى جماعـات صـغيرة، نذكر منها: أولاد الطاهر, أولاد عيسى، أولاد سيدي عبد الدايم، أولاد يعيش، أولاد شبل...الخ[8].

---

1 NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P134.

2 ناصر الدين (سعيدوني) : ورقات ...،ص 279.

3 نفسه ، ص 279.

4 تحتل هذه القبيلة القسم الأوسط للأطلس المتيجي، بين البليدة و المدية، يحد أراضيها من الشمال النقاط الأخيرة لجبال الأطلس، و من الجنوب بني مسعود، و من الشرق جماعات غلاي، و من الغرب موزاية.

انظر: NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P109.

5 colonel (trumelet): op.cit, T I, P 109.

6 تحتل هذه القبيلة المنطقة الواقعة بين سهل متيجة من الشمال، و أراضي قبائل بني موسى، و بني خليفة من الشرق، و أراضي قبائل بني يعقوب، و بني مسعود من الجنوب، و غلاي، فروحة، بني صالح من الشرق.

انظر: NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P109

7 I BID , P109.

8 I BID, P 336, P 337.

و لم تعد هذه الفرق، أو الجماعات، تعتمد في تجانسها و تلاحمها علـى الأصـل المشترك، و الانتساب العرقي، كما هو شائع في القبائل الأخـرى، إنمـا أصـبح انسجامها و تلاحمها يرتكز على الظروف المعاشة، و معاملتها مع الحكام[1].

و لقد أبقيت هذه القبائل تشتغل بالفلاحة، و تربية الحيوانـات، و بقيـة الأعمـال الأخرى، بالأراضي التابعة للبايلك، فعلى سبيل المثال: كانت الأعمال و البنـاءات في أحواش بني خليل غرب بوفاريك, و الأربعاء, عبءا مفروضا مـن طـرف البايليك على بني صالح[2]. و بهذا الأسلوب استقرت الأوضـاع فـي المنـاطق الخصبة بسهل متيجة، و بإقليم دار السلطان الذي يعتبر المقاطعة المركزيـة فـي إيالة الجزائر.

ب- علاقة السلطة بالقوى الدينية بمنطقة البليدة:

لما وقع الاحتكاك بين العثمانيين و الأهالي في الجزائر، كشف المواطنون للحـاكم العثماني "خير الدين" ، النقاب عن طبائع السكان، وأروه الجانب الضعيف فـيهم، أي أعلموه بأنهم قد جعلوا ثقتهم التامة بالمرابطين، و أن التعيس هو الذي يعاكسهم في هذا الاعتبار، فهم يقتلون أصدقاءهم، بل أقرباءهم، إذا بلغهم أنهم يسخرون من المرابطين، أو ينظرون إليهم بعين الحقـارة [3] ، فـالمرابطون و علمـاء الـدين محترمون في الجزائر، أحياء و أمواتا، حتى أنه لو هرب مجرم إلى تربة ولـي، و كان عليه قصاص شرعي، لا يخرج من التربة، بل يترصد خروجـه بنفـسه، احتراما لذاك الولي، و تعظيما لمن أطاع ا ، فهي بمنزلة الجوامع في الاحتـرام، و اشتراك الناس في زيارتها، و الاحتماء بها[4].و هذا الاحترام و التقدير، يجعلهم يوقفون الخصومات بين القبائل، و التي كانت منتشرة بكثرة[5]. و منذ ذلك الحين، لم يكتف الأتراك العثمانيون بأن فرضوا على أنفسهم احترام هـؤلاء المـرابطين،

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي و الاجتماعي....، ص 108.

2 colonel (trumelet): op.cit, T I, P 82 .

3 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري): المصدر السابق، ص 88.

4 عبد الجليل (التميمي): بحوث و وثائق... ، ص 152.

5 colonel (trumelet): op.cit, T I, P 243, P 289.

و انما صاروا يقدمون لهم أكبر الإمتيازات و أثمنها، و صارت أماكن سـكناهم، و ضرائحهم بعد الموت مقدسة. كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها، فالأتراك كانوا يظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين، و يمتنعون عن القيام بكل مـا هـو مناف للقوانين[1].

فهذا السلطان العثماني(الغازي مراد خان الثاني) يصدر مرسوما فـي غـرة ذي القعدة979 هجرية / 16 مارس 1572، أمر فيه بأن:" لا يدخل أحد من الـولاة، و الحكام، و القادة ، و الأمراء الكرام، و غيرهم ممن في يده حكومة على الأنام، في الزوايا المكانية التي بأيدي الشيوخ، و تحت تصرفهم، المنتقلة إليهم من آبائهم و أجدادهم، ممن يتصرفون فيها كما تصرفوا من قبل، و لم يتعرض لهـم أحـد، و يكون كل منهم محميا، مصونا، مرفها، مطمئنا، فيدعوا لنا بالخير، فـي أبـرك الأمكنة و الأقطار، و أشرف الأزمنة و الأعصار، بالعشي و الإبكار، و الليـالي و الأسحار"[2].

و كان لرجال الدين بمدينة البليدة، و المناطق المجاورة لها، حظوة كبيـرة لـدى الولاة الأتراك، كان من بين مظاهره احتضانهم، وإجلالهم، وتقديرهم، سواء كانوا مفتين، أو قضاة، أو أئمة مساجد، أو علماء تدريس، وفقهاء تشريع[3]، إضافة إلى منحهم إمتيازات عديدة، مثل إسقاط المطالب المخزنية، ومنح الإقطاعات، وتقـديم الهدايا، وإصدار الفرمانات[4]، خاصة منهم أولئك الذين لهم نصيب مـن الـشهرة، فهذا خير الدين حاكم الجزائر، ومعه ابنه حسن، زارا عـام 942هـ ـ/ 1535م، سيدي أحمد الكبير، ولي البليدة ومؤسسها، الذي كان ساكنا بكوخ، بوادي الرمان، وبني له في مقابل دعاء صالح، مسجدا، وفرنا، وحماما[5].

و في مقابل ذلك ظل سيدي أحمد الكبير الأندلسي طيلة حياته، مؤيـدا للأتـراك،

---

1 حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق، ص 111.

2 عبد الجليل (التميمي): الدولة العثمانية...، ص 102.

3 يحيى (بوعزيز): المرجع السابق ، ص 311.

4 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات و أبحاث...، ص 272.

5 محمد (حاج الصادق): **مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعيـة، الجزائـر، 1989، ص 158.

ومناصرا لخير الدين بربروسة[1]، حيث تعامل مـع الـسلطة الـسياسية العليـا العثمانية، بحكمة و تعقل، فكسب ود الدولة الجديدة، التي أطلقت يده في توجيـه، وتدعيم حالة المدينة اقتصاديا، و سياسيا، مما يدل على حكمته، و علـو سـلطته الروحية، فلم يثر على السلطة الجديدة، و لم يصطدم بها، بل تعامل معها بصورة سليمة، أعانت المدينة على البروز و النمو، و الحصول على امتيازات لـم تكـن تحلم بها[2].

و نظرا لقوة تأثير المرابطين، أو شيوخ الزوايا على موقف الـسكان، و إقنـاعهم بضرورة تنفيذ قرارات و أوامر السلطة، فإن هذه الأخيرة أخذت بعـين الاعتبـار الواقع الاجتماعي، و الوضع الاقتصادي للزاوية[3]، و تلبيـة مطالـب شـيوخها و مقدميها[4]، فالمرابط الذي يعرف أغراض دينه، يعرف كيف يـسخر تـسخيرا مثمرا و ذكيا، جميع الوسائل الموجودة بين يديه، إنه لن يقول للقبائـل: يجـب أن تطيعوا القانون، و عليكم بالاستماع إلى الموعظة، وإنما يقول لهم: لعن ا من لا يفعل كذا، و هكذا يجعلهم يطيعون، ويحصل منهم على كل ما يريد[5].

إذ بفضل ما كان لهم من نفوذ على السكان، يسكتون أسلحة الخصوم، و يمنعـون إراقة الدماء[6]، فمثلا ولد ولي القليعة الصالح الأندلسي(سيدي علي بن مبـارك)، هو الذي تدخل للصلح بين الأتراك و بني صالح الذين ثاروا ضدهم[7].

كما أنه و نظرا لمكانته و سلطته الروحية المستمدة من نفوذ زاويتـه، و ارتبـاط السكان بها، أصبح المرابط أو مقدم الزاوية شخصية رئيسية في التنظيم الإداري، و الجهاز القضائي[8]. ففي التنظيم الإداري يوجد في مدينة البليـدة، حـاكم ثـان

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون(الموريسكيون)....،ص 177.

2 محمد الأمين (بلغيث): **المرابطون و المتصوفة بمتيجة**، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الثالث" متيجة عبر العصور"، من 27 ماي إلى 31 ماي 2003، بالبليدة، ص 06.

3 يوجد بالبليدة زاوية شهيرة للولي الصالح سيدي أحمد الكبير، أما في المناطق المجاورة لها، فتوجد عدة زوايا أهمها زاوية سيدي مجبر ببني تامو.

4 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات ...، ص 284.

5 حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص 60.

6 نفسه ، ص 57.

7 colonel (trumelet): op.cit, T I, P 84, P 86.

8 ناصر الدين (سعيدوني): ورقات ....ص 284.

مختار من بين الأسر الشريفة التي تنتمي إلى عائلة أحد المرابطين، يسمى نقيب الأشراف. أما في المناطق المجاورة للبليدة، فإن السلطة العثمانية عمدت إلى تعيين بعض علماء الدين، كشيوخ مقدمين في جماعاتهم، و قبائلهم. أما في الجهاز القضائي، فقد عمد الأتراك إلى تعيين كبار رجال الدين في وظائف الإفتاء، و القضاء، و كأعضاء في المجالس العلمي لمدينة البليدة، فعلى سبيل المثال تولى سيدي بلقاسم حفيد سيدي أحمد الكبير، وظيفة مفتي الأتراك بالمدينة[1].

لم يخف على حكام الجزائر العثمانيين، أن زعماء الدين الذين نشأوا في الزوايا هم الذين تولوا جذب الناس نحو العثمانيين، و أنهم هم من ساعدهم على أخذ الحكم، رغم الصعوبات الجادة و الكبيرة التي واجهتهم[2]، و أن أبناءهم، و حفدتهم، الذين مازالوا على الوفاء للنظام العثماني قادرون على إعانتهم، في توطيد سلطتهم على القبائل، و من أجل هذا، بذل العثمانيون جهودهم للحفاظ على ذكراهم، و تقوية نفوذهم روحيا، حتى يكونوا كالقطب الجاذب، المساعد على تهدئة الفتن بين سكان الجبل، و على كبح الفوضى بين قبائل السهل، و لأجل هذا شيدوا على قبورهم أضرحة و مساجد بأشكال فاخرة، فالمرابطون و شيوخ الزوايا بمنطقة البليدة كانوا سداد أمان للمجتمع، يحذرونه من الظلم و ارتكاب المنكرات، و يعلمون الأخلاق، و يهدون الناس إلى مكارمها، كما أنهم لم يبخلوا بإسداء النصائح للحكام، كما أن الحكام استمعوا إليهم، و قربوهم، و أخذوا بآرائهم و نصائحهم، و بهذا السلوك تبادل الطرفان(علماء الدين و السلطة) الاحترام، و التقدير، و التعاون.

مما تقدم يمكن القول :

1- أن التنظيم الإداري العثماني بالبليدة و منطقتها، اعتمد نظام الاستقلالية النسبية للمدينة و الريف، فالمدينة كانت مسيرة إداريا من طرف جهاز إداري محكم التنظيم، يرأسه موظف سام يدعى الحاكم. و بالمقابل كان الوسط الريفي للبليدة مسيرا، و مراقبا من طرف السلطة المركزية، عن طريق سلم إداري هرمي،

---

[1] الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 156.

[2] Addi (Laroui): <u>**"l'histoire du Maghreb" un essai de synthèse**</u>, Maspero, Paris, 1970, P 233.

يرأسه آغا العرب، ثم قائد الوطن، ثم شيوخ القبائل.

2- لقد لعبت مدينة البليدة دورا بارزا في الحفاظ على سؤدد الـسلطة العثمانيـة بسهل متيجة، والوقوف جدارا دفاعيا متقدما و منيعا، في وجه تمرد القبائل المحلية على سلطة البايليك، و هذا بفضل احتوائها على حاميـة عـسكرية قويـة داخـل أسوارها.

3- أدى الضغط المتزايد الذي تعرضت له قبائل منطقة البليدة (بنـي صـالح ، و بني خليل ، و بني ميصرة)، و التي كانت تعرف بقبائل الرعية ، إلى تفككهـا إلى مجموعات صغيرة من الـسكان ، تعـرف فـي العـادة باسـم الجماعـة ، أو الفرقة. و لم تعد هذه الفرق أو المجموعات ، تعتمد في تجانسها و تلاحمهـا ، على الأصل المشترك ، و الانتساب العرقي ، كما هو شائع في القبائل الأخرى ، إنما أصبح ذلك الأمر يرتكز على الظروف المعاشة ، و معاملتها مع الحكام .

4- لم يخف على حكام الجزائر الأتراك، أن زعماء الدين الذين نشأوا في الزوايا هم الذين تولوا جذب الناس نحو العثمانيين، و أنهم هم من سـاعدهم علـى أخـذ الحكم، رغم الصعوبات الجادة و الكبيرة التي واجهتهم، و أن أبنائهم، و حفـدتهم، الذين مازالوا على الوفاء للنظام العثماني قادرون على إعانتهم، في توطيد سلطتهم على القبائل، و من أجل هذا، بذل العثمانيون جهودهم للحفـاظ علـى ذكـراهم، و تقوية نفوذهم روحيا، حتى يكونوا كالقطب الجاذب، المساعد على تهدئة الفـتن بين سكان الجبل، و على كبح الفوضى بين قبائل السهل، و لأجل هذا شيدوا على قبورهم أضرحة و مساجد بأشكال فاخرة، فالمرابطين و شيوخ الزوايـا بمنطقـة البليدة كانوا سداد أمان للمجتمع، يحذرونه مـن الظلـم و ارتكـاب المنكـرات، و يعلمون الأخلاق، و يهدون الناس إلى مكارمها، كما أنهم لـم يبخلـوا بإسـداء النصائح للحكام، كما أن الحكام استمعوا إلـيهم، و قربـوهم، و أخـذوا بـآرائهم و نصائحهم، و بهذا السلوك تبادل الطرفان(علماء الدين و الـسلطة) الاحتـرام، و التقدير، و التعاون.

خلاصة الفصل الأول:

1- تأسست مدينة البليدة في عصر شهد ارتباط الجزائر براية الدولة العثمانية، بعد عهد من الفوضى و الانحلال الداخلي ، و التدخل الخارجي ، و قد كان هذا عـام 925هـ / 1519م .

2- كما تميزت فترة التأسيس باشتداد حركـة الهجـرة الأندلـسية نحـو الـبلاد الجزائرية ، خصوصا بعد نجاح الأسبان في افتكاك غرناطة من المـسلمين سـنة 897هـ/1492م . بل أن مدينة البليدة قامت أساسـا علـى أيـدي المهـاجرين الأندلسيين ، الذين بفضلهم انتعشت الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في البليـدة ، و كامل البلاد الجزائرية .

3- في عام 942هـ/1535 ظهرت إلى الوجود مدينة جزائرية جديدة ، سـميت البليدة ، أي البلدة أو المدينة الصغيرة ، نتيجـة التقـاء جملـة مـن الظـروف و المصالح ، من طرف قوتين : أولاهما القوة الـسياسية العـسكرية المركزيـة العثمانية ، ممثلة في باشا الجزائر خير الدين بربروس العثماني، و ثانيهما القـوة الدينية المتمثلة في الولي الصالح سيدي أحمد الكبير الأندلسي .

4- ساهم الأندلسيون الفارون بدور هام ، بل أساسي ، في بناء مدينـة البليـدة ، و ذلك بفضل ما أحضروه معهم من بقايا حـضارتهم العريقـة ، و صـناعتهم ، و فنونهم ، و خبراتهم المختلفة ، خاصة تقنية السقي التي كان لها الدور الكبيـر في تطوير الزراعة في المنطقة ، و تحديد الهيكل العمراني للمدينة ، حيث أن هذه السواقي أصبحت تمثل فيما بعد طرقا و أزقة في المدينة .

5- أصبحت مدينة البليدة في ظرف وجيز ، واحدة من أجمل و أمتع مدن الايالـة الجزائرية في العهد العثماني ، فقد سحر جمالها ، و حسن موقعها ، عقول و أفكار الرحالة و المؤرخين الذين زاروها ، و تعرفوا عليها .

6- أن التنظيم الإداري العثماني بالبليدة و منطقتها، اعتمد نظام الاستقلالية النسبية للمدينة و الريف، فالمدينة كانت مسيرة إداريا من طـرف جهـاز إداري محكـم التنظيم، يرأسه موظف سام يدعى الحاكم. و بالمقابل كان الوسط الريفـي للبليـدة مسيرا، و مراقبا من طرف السلطة المركزية، عن طريق سـلم إداري هرمـي،

يرأسه آغا العرب، ثم قائد الوطن، ثم شيوخ القبائل.

7- لقد لعبت مدينة البليدة دورا بارزا في الحفاظ على سؤدد السلطة العثمانية بسهل متيجة، والوقوف جدارا دفاعيا متقدما و منيعا، في وجه تمرد القبائل المحلية على سلطة البايليك، و هذا بفضل احتوائها على حامية عسكرية قوية داخل أسوارها.

8- أدى الضغط المتزايد الذي تعرضت له قبائل منطقة البليدة (بني صالح ، و بني خليل ، و بني ميصرة)، و التي كانت تعرف بقبائل الرعية ، إلى تفككها إلى مجموعات صغيرة من السكان ، تعرف في العادة باسم الجماعة ، أو الفرقة. و لم تعد هذه الفرق أو المجموعات ، تعتمد في تجانسها و تلاحمها ، على الأصل المشترك ، و الانتساب العرقي ، كما هو شائع في القبائل الأخرى ، إنما أصبح ذلك الأمر يرتكز على الظروف المعاشة ، و معاملتها مع الحكام .

9- لم يخف على حكام الجزائر الأتراك، أن زعماء الدين الذين نشأوا في الزوايا هم الذين تولوا جذب الناس نحو العثمانيين، و أنهم هم من ساعدهم على أخذ الحكم، رغم الصعوبات الجادة و الكبيرة التي واجهتهم، و أن أبنائهم، و حفدتهم، الذين مازالوا على الوفاء للنظام العثماني قادرون على إعانتهم، في توطيد سلطتهم على القبائل، و من أجل هذا، بذل العثمانيون جهودهم للحفاظ على ذكراهم، و تقوية نفوذهم روحيا، حتى يكونوا كالقطب الجاذب، المساعد على تهدئة الفتن بين سكان الجبل، و على كبح الفوضى بين قبائل السهل، و لأجل هذا شيدوا على قبورهم أضرحة و مساجد بأشكال فاخرة، فالمرابطين و شيوخ الزوايا بمنطقة البليدة كانوا سداد أمان للمجتمع، يحذرونه من الظلم و ارتكاب المنكرات، و يعلمون الأخلاق، و يهدون الناس إلى مكارمها، كما أنهم لم يبخلوا بإسداء النصائح للحكام، كما أن الحكام استمعوا إليهم، و قربوهم، و أخذوا بآرائهم و نصائحهم، و بهذا السلوك تبادل الطرفان(رجال الدين و السلطة) الاحترام، و تقدير، و التعاون.

- و بعد تأسيس البليدة ، انتعشت الحياة الاقتصادية بها ، من فلاحة ، إلى صناعة ، إلى تجارة . و مما ساهم في هذا الانتعاش - إضافة إلى الأندلسيين - عوامل كثيرة ، و متنوعة ، لعل أبرزها : طبيعة موقع المدينة عند الطرف

الجنوبي لسهل متيجة ، مما جعلها منطقة زراعية ، و حلقة وصل بين إقليمي دار السلطان ، و التيطري . كما تطور العمران بها ، فاتـسعت رقعتهـا و تنوعـت بناياتها ، مما جعلها إحدى أهم مدن الايالة ، و هذا ما سنتعرض له بالتفصيل فـي الفصل الثاني من المذكرة .

الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية والعمرانية:

المبحث الأول:الفلاحة.

المبحث الثاني: الصناعة.

المبحث الثالث: التجارة و طرق المواصلات.

المبحث الرابع: العمران.

خلاصة الفصل الثاني.

الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية و العمرانية:

إن وصف اقتصاد البليدة في العهد العثماني مطابق كثيرا لما ورد في التوضيح التالي عن مدن ما قبل الاحتلال: " كانت ترتكز على نشاطات صناعية، تجارية، حرفية، عسكرية، إدارية، و فلاحية، و كانت تستمد ازدهارها من موقعها، و من الوصاية، و الحماية المفروضة عليها، فوق جزء من عالم الريف، و كذا من علاقاتها بالمقاطعات الأخرى، كانت هذه المدن مقامة عموما على أرض تدعمها الظروف الطبيعية، و خاصة الري"(1). و قد تعددت و تنوعت النشاطات الاقتصادية في مدينة البليدة، من فلاحة، إلى صناعة، إلى تجارة، و الأمر الذي أدى إلى هذا التنوع و التعدد، هو بلا شك طبيعة موقع المدينة، عند الطرف الجنوبي لسهل متيجة الخصيب، إضافة إلى كونها تشكل حلقة وصل بين عالمين هما عالم الريف، و عالم المدينة، و بين إقليم دار السلطان و بايليك التيطري. على أن أهم نشاط اقتصادي تميزت به البليدة خلال هذا العهد يتمثل في النشاط الفلاحي، باعتبار أن أراضي البليدة تعتبر جزء من سهل متيجة، لذلك اعتنى الحكام و السكان على السواء بالزراعة عناية كبيرة.و قد انعكس الرخاء الاقتصادي الذي عاشته المدينة ، على الناحية العمرانية بها ، حيث اتسعت رقعتها الجغرافية في ظرف وجيز ، و تنوعت بناياتها ، حيث أنشئت بها أهم المراكز و المؤسسات العمرانية ، حتى غدت مركز جذب لطوائف متنوعة من السكان .

المبحث الأول: الفلاحة:

يعرف ابن خلدون الفلاحة بقوله : " هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات و الحبوب، بالقيام على إثارة الأرض لها و ازدراعها، و علاج نباتها، و تعهده بالسقي و التنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله، و استخراج حبه من غلافه، و أحكام الأعمال لذلك، و تحصيل أسبابه و دواعيه، و هي أقدم الصنائع، لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا، إذ يمكن وجوده دون جميع الأشياء،

---

[1]Secrétariat social d'Alger: **Information rapide, monde raral et monde urbain,** Alger, S.N.E.D, 1969, n°4, p33 .

إلا من دون القوت"(1)، و يرى أن "الفلاحة من معاش المستضعفين، و أهل العافية من البدو، و ذلك لأنه أصيل في الطبيعة، و بسيط في منحـاه، و ذلـك لا تجـده تنتحله أحد من أهل الحضر في الغالب، و لا من المترفين"(2).

و قد كانت الجزائر في العهد العثماني بلدا فلاحيا بالدرجة الأولى، مناخها جميل، وأرضها طيبة، توجد بها مراع شاسعة، و سهول فسيحة، تكثـر فيـه منتوجـات أمريكا، و الهند، بالإضافة إلى ما ينبت في أراضي أوربا. كما أنها تنتج كميـات هائلة من القمح و الشعير، و الصوف و الجلود و الشموع. أما مراعيهـا فتزخـر بأنواع الحيوانات المختلفة، مثل الأبقار، و الأغنام، و الماعز، و البغال، و الحمير الممتازة(3). وتعتبر سهول وهران، آغريس، مستغانم، تلمسان، معسكر، متيجـة، عنابة، و هضاب قسنطينة من أجود مناطق الإنتاج الزراعي في الجزائر آنذاك(4).

يقع سهل متيجة وسط شمال الجزائر، بين الساحل و الأطلس التلـي، حيـث ينفتح من الشمال الشرقي على البحر بواسطة مصب وادي الحراش، يبلغ طولـه حوالي 100كلم، أما متوسط عرضه فلا يزيد على 30 كلم، و هو حديث التكوين، كان في الزمن الجيولوجي الرابع خليجا بحريا، ثم ملأته الرواسب الفيضية التـي نقلتها إليه المجاري السيلية المنحدرة من المرتفعات المجاورة، حتى انتهى به الأمر إلى الاطماء بتربات يغلب عليها اللون الأسود، و اللون الأحمر(5).

و يمكن التمييز بين منطقتين في هذا السهل:

1- منطقة منخفضة في الشمال تعرف باسم "الوطا" ارتفاعها لا يتعدى 140 مترا، تمتاز بتربة سوداء أو رمادية برمل طيني، قليلة النفاذية، و خصبة، هـذا الجـزء الرطب تميز خلال الفترة العثمانية بوجود مناطق سبخية (أو مستنقعية)، مما أدى إلى ظهور المروج، و هذا نتيجة السيول العديدة المنحدرة من الجبـال، و علاقـة ذلك بتقنية تصريف المياه، و ظهور الينـابيع، ممـا جعـل المقديـسي يـصفها

---

[1] عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق، م الأول، ص 723.

[2] نفسه، ص 702.

[3] محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 57.

[4] أبو القاسم (سعد ا) : المرجع السابق، ص151، ص 152.

[5] أربيح محند (بن أرزقي): **انجراف التربة وحمايتها في التل الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص 70.

بقوله: " متيجة في مرج يعم ماء جار عليه أرحية و شعبة في النهر تدخل الدور، كثيرة البساتين"[1].كما وصفها عالم الزراعة الفرنسي (دي فرنتين) في سنة 1984 ميلادي بأنها "مملوءة بهواء الأمراض المعدية، وتتخللها في كـل جهـات الميـاه الراكدة، مشكلة مستنقعات غير صحية"[2].

2-منطقة أكثر ارتفاعا في الجنوب تعرف بالحمادة، يبلغ ارتفاعهـا230 متـرا، تسودها تربة حمراء نفوذة، غنية طبيعيا بمادة السيليسيوم. و أراضي مدينة البليدة تقع في هذه المنطقة المتميزة بالاتساع والخصوبة العالية .

ويعتبر سهل متيجة على الأرجح أجمل امتداد للسهول على وجه الكرة الأرضية، سواء نظرنا إليه من زاوية اعتدال المناخ، أو جمال موقعه. و يحتوي على عدد لا يحصى من الينابيع التي تنزل من الجبال المجاورة، تسقيه بمياهها[3]، كما تقطعـه مجموعة من الأودية القصيرة، التي ينحدر معظمها من سلـسلة أطلـس البليـدة، أو هضاب المدية، أهمها وادي هاشم، و وادي الحراش، و وادي الحميز، و وادي يسر[4].

و قد اشتهر هذا السهل بالطابع الفلاحي المحض عبر العصور التاريخية القديمة، كما اشتهر بالخصوبة العالية، حيث وصفه ابن حوقل خلال القرن العاشر الميلادي بقوله: "ولجزائر بني مزغنة بادية كبيرة، وجبال فيها من البربر كثرة، و أكثر أموالهم المواشي من البقر و الغنم سائمة في الجبال، و لهم من العسل ما يجهز عنهم، و السمن و التين ما يجهز، و يجلب إلى قيروان و غيرها"[5]. أما الحسن الوزان فقد قال عنه خلال القرن السادس عشر الميلادي:" يبلغ طوله حوالي خمسة و أربعين ميلا[6]، و عرضه ستة و ثلاثين ميلا، حيث ينبت القمح الجيد بكثرة"[7].

---

[1] أبو عبد ا محمد بن أحمد (المقديسي): **أحسن التفاسيم في معرفة الأفاليم**، الجزائر، 1950، ص 20.

[2] وليم (سبنسر): المرجع السابق، ص 115.

[3] وليام (شالر): **مذكرات وليام شالر قنصل امريكا في الجزائر (1816 – 1824)** تعريب و تعليق و تقديم اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1982 ص 106.

[4] أربيح محند (بن أرزقي): المرجع السابق، ص72.

[5] أبو القاسم (إبن حوقل النصيبي): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دون تاريخ ، ص 77 .

6 الميل يساوي 1609 متر أو 1.609 كلم.

[7] الحسن بن محمد (الوزان): المصدر السابق، ص37 .

و خلال القرن التاسع عشر الميلادي كتب عنه الكثير من الرحالة الأوربيين، فهذا سيمون بفايفر يرى أن:" منطقة متيجة تعتبر أخصب منطقة في دولة الجزائر، فهي تنتج الحبوب، و جميع أنواع نباتات المناطق الحارة بنفسها"[1].

كما كتب شيلر على اثر زيارته لمنطقة في ضواحي مدينة الجزائر:" لم تتغير التربة عن خصبها القديم.فهي في بعض الأجزاء سوداء وفي الأخرى حمراء، ولكنها في كل مكان شديدة الامتلاء بالنترات والملح".[2]

وتذكر إليزابيث بروتن في يوميتها (ست سنوات إقامة في مدينة الجزائر) حول مكان زارته أن:"وجه ترابه الرملي قد غطي كليا بالخضرة اللذيذة التي تتجاوز بطعمها إلى حد كبير أي مثيل في فرنسا أو انجلترا وتساوي في طولها ما يباع منها عادة في شوارع باريس[3]. أما أسير الداي الأمريكي كاثكارت فلم يخف إعجابه بهذا السهل بقوله: إن ضواحي مدينة الجزائر تشبه إذا استثنينا تلك البساتين التي تملكها بعض الشخصيات والتي هي محاطة بأسوار؛ تلك المستعمرات الأولى التي أقيمت في أمريكا؛ وهي تنتج جميع أنواع الفواكه التي تنتجها بلاد البربر و بكثرة. والمنطقة كلها مزروعة ، و توجد فيها موزعة هنا وهناك أشجار التين، والرمان ، والنخيل. وكذلك ينبت فيها دون أن يغرس نبات النعناع ، والمريمية، والكزبر.[4]

وكان الجزائريون يطلقون على متيجة في القرون الماضية اسم"أم الفقراء" وأفضل السهول التي يتدفق الخصب من أعماقها تدفق مياه الجداول.[5]

كما خصت بهذه الأبيات الشعرية الجميلة :

يمتد سهل متيجة بعيدا *من البحر إلى هناك......حيث*
تصطف قمم الأطلس الشامخة *وتهتز مراوح النخلات الصغار*
وتنشر أزهار الدفلة ثوبها الأرجواني *ويكثر الأس البري وأشجار الغار*

---

[1] سيمون(بفايفر): المصدر السابق ص 160.

[2] وليم (سبنسر) : المرجع السابق، ص 114.

[3] نفسه، ص 115.

[4] كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 83.

[5] هاينريش (فون مالتسان): المصدر السابق، ج الثاني ، ص 133.

وتتلاصق المروج المتماوجة التي تصل من أعطافها نخلات فريدة[1]

وتعد منطقة البليدة وردة يانعة وقلبا خافقا وسط هذا الحقل الخصيب لذا يتعذر بـل يستحيل فصل القلب عن الجسد أي يستحيل فصل نوعية ملكيـة الأرض واليـات وتقنيات العمل الفلاحي ونوعية المنتوجات الزراعية فيها عما كان سائدا في سهل متيجة خلال العهد العثماني.

<u>نوعية ملكية الأرض المنتشرة بفحص البليدة:</u>

في عام 1830م، كانت 24% من المساحات الزراعية في الجزائر تابعة للقطاع الخاص، أي ما يعادل ثلاثة ملايين هكتار، بينما كان 64% منها (حوالي ثمانيـة ملايين هكتار) عبارة عن ملكيات جماعية للعرش أو للأحباس، في حـين كانـت 12% الباقية (مليون ونصف مليون هكتار) عبارة عن أراضي الإدارة الـسياسية المعروفة بالدومين أو أراضي البايليك.[2]

وكانت المساحات الزراعية بفحص البليدة خاضعة لعلاقات ملكية مختلفة، يمكن أن نميز فيها أربعة أنواع هي:

1- **أراضي الدولة:** وهي تلك الأراضي التي كانت معروفة بأراضي البايليك، واغلبها تم إلحاقها بسجلات البايليك عن طريق المصادرة، ووضع اليد في حالة الشغور، أو عند ترحيل السكان المقيمين عليها عند امتناعهم عن دفع المطالب المخزنية، أو عصيانهم أوامر القياد، ورجال البايليـك[3]. تتميـز بأنها من نوع الأراضي الجيدة الموجودة قرب المدن وكانت تستغل مباشرة عن طريق العمل الإجباري (التسخير) أو الأعمال المجانية الإجبارية التي تعرف "بالتويزة" أي قيام رجال البايليك بجبر سكان المنطقة على التعـاون لخدمة الأرض بدون مقابل [4]. فعلى سـبيل المثـال الأعمـال الفلاحيـة والبناءات في أحواش بني خليل غرب بوفاريك و الأربعاء كانـت عبئـا مفروضا على أبناء قبيلة بني صالح[5]. أو عن طريق عمـال زراعيـين

---

1 هاينريش (فون مالتسان): المصدر السابق، ج الثاني ، ص 131، 132ص.

2 حسن (بهلول): المرجع السابق، ص 13 .

3 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...ص 51.

4 Jean (Terras) : **<u>Essai sur les biens habous en Algérie et en Tunisie</u>**. Etude de législation colonial, Thése, Lyon, imp, de salut public, Paris, 1899,p 129.

5 colonel (trumelet): op.cit, T 1, p 82.

يأخذون خمس المحصول[1] يدعون الخماسة. كما كانت أراضي البايليك تستغل بطريقة غير مباشرة، عن طريق ما كان يسمى بنظام العزل، ويقوم هذا النظام على أساس تنازل البايليك عن هذه الأراضي، اما للموالين الكبار له، فيقومون باستغلالها بواسطة المزارعين و إما لبعض القبائل المعروفة بالعزالة، مقابل تربية مواشي الدولة ودفع جزء من المنتوج لها، و أما للأشخاص الأفراد مقابل ضريبة عن المحصول[2].

وفي كامل سهل متيجة كانت أهم المزارع ملكا للدولة، كما كانت توجد ستة عشر مزرعة لأعراب السهل[3] وكانت تعرف بأحواش البايليك.

2- **أراضي العرش:** هي أراضي ملك للقبيلة على نوع مشاع، حيث يستغلها كامل أفراد القبيلة، كل حسب طاقته[4] إذ يتم حرثها وزراعتها بطريقة جماعية ويتم توزيع المنتوج بالتساوي بين أرباب العائلات، وتوجد كثير من أراضي العرش حول القرى، وهي في الغالب أراضي فقيرة[5] وتفرض الدولة على هذا الصنف من الأراضي غرامة أو ضريبة معينة، أما أن تكون نقدية أو عينية[6] و تأخذ منها في بعض الأحيان اللازمة والمعونة[7].

3- **أراضي الأحباس (الأوقاف)**: و هي ذات ملكية جماعية دينية، فهي وقف من حيث منتوجها على الأعمال الخيرية أو المؤسسات الدينية الأخرى كالمساجد و الزوايا، و من دلائل ذلك ما ورد في إحدى الوقفيات:" تحبيس بحاير و ديار و أحواش و أجنة داخل البليدة و خارجها على فقراء الحرمين الشريفين بتاريخ1245هـ (يوافق 1830ميلادي)"[8]. و يقوم

---

[1] أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 152.

[2] حسن (بهلول): **الغزو الرأسمالي الزراعي للجزائر و مبادئ إعادة تنظيم الإقتصاد الوطني بعد الإستقلال**، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1984،ص11،ص12.

[3] عبد الجليل (التميمي): بحوث ووثائق ...، ص 185.

[4] محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 58.

[5] حسن (بهلول): المرجع السابق، ص12.

[6] إحسان (حقي): **الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد،** المكتب التجاري، بيروت، 1961، ص 160.

[7] ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص 53.

[8] **أ . و .ج : س.م.ش :** علبة 35، وثيقة 455.

نظام استغلال هذه الأرض على التطوع من طرف سكان القرية أو حتى أيضا من طرف الطلبة[1] وأوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف، مساعدين من وكلاء وشواش.ولم تكن هذه الأراضي تخضع لأية ضريبة، أو رسم، أو مصادرة، أو حجز[2] و قد بلغ عدد الملكيات الزراعية الموقوفة بفحص مدينة البليدة قبل فترة الاحتلال الفرنسي أكثر من 400 ملكية، ما بين أحواش و بحاير و جنات و مزارع[3].

4-ملكيات زراعية خاصة: و هي ملكيات متفاوتة الحجم، لأنه كان يوجد ملاك كبار أغنياء، مقابل ملاك صغار، و كان يوجد مزارعون يخدمون أراضي المالكين الكبار، في إطار علاقات عينية، هي اقتسام المنتوج [4]. و قد كان هذا النوع من الملكية الزراعية عرضة للتوسع، و التقلص، و الاندثار، حيث أن المالك يمتلك حرية التصرف فيها، من حيث البيع، أو التحبيس (الوقف)، أو الإهداء، كما يحدث التقلص أو الاندثار بفعل عوامل أخرى، خارجة عن إرادة المالك، كالإرث نتيجة تقاسم الورثة الملكية، أو عن طريق المصادرة من طرف البايليك. و قد أوردت لنا بعض وثائق الأرشيف الوطني الجزائري بعضا من ذلك، و أظهرت أن حركة البيع، و الشراء، و العناء(الكراء)، و التحبيس (الوقف)، كانت نشيطة بخصوص هذا النوع من الأراضي، و مثال ذلك، و بخصوص حركة البيع و الشراء :" بيع مصطفى بن حسن بن دالي الإنكشاري بحيرة[5]خارج البليدة بقيمة 1273 ريالا دراهم صغار، و هذا أواسط ذو القعدة الحرام 1207 هجرية"[6] (يوافق 1772 ميلادي)، و "شراء المكرم محمد بن حسين خوجة جنة[7]خارج البليدة من المكرم الحاج حماني بقيمة 1600 ريال دراهم صغار، و هذا أوائل ربيع الأول 1231

---

[1] حسن (بهلول): المرجع السابق، ص 12.

[2] ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 53.

[3] ناصر الدين (سعيدوني): **دراسات تاريخية في الملكية والوثائق والجباية الفترة الحديثة**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص82.

[4] حسن (بهلول): المرجع السابق، ص12.

[5] بحيرة: حقل خضار.

[6] **أ. و.ج : س.م.ش** علبة 104-105، وثيقة 93-97.

[7] جنة: بستان فواكه.

هجرية" [1] (يوافق 1816 ميلادي). أما عن التحبيس: فقد قام "الحاج مصطفى بن قادري بتحبيس بحيرة أسفل باب الزاوية بالبليدة على نفسه، ثم العقب، ثم الحرمين الشريفين، و هذا بتاريخ أوائل رجب 1210 هجرية"[2] (يوافق 1795 مـيلادي)، و "تحبيس حليمة بنت قاسم ابن الروشي جنة داخل البليدة على الحرمين الشريفين أواخر رمضان 1219 هجرية"[3] (يوافق 1804 ميلادي).

و قد فرضت الدولة على المالكين، ضريبتي العشور و الزكـاة[4]. حيـث كـان حضر البليدة بصفة عامة، و الأتراك و الأندلسيين منهم بصفة خاصة، المـالكون لأغلب أراضي فحص البليدة[5].

و يعبر عن هذا النوع من الملكية "حمدان بن عثمان خوجة" : بقوله:" كنت أملك بمنطقة متيجة بمزارعي، عشرة آلاف رأس غنم، و ستمائة رأس بقـرة، مـائتي زوج بقر للحراثة، ستين جملا، مائتين ما بين فحول و فرسان، و سـتين بغـلا، و عددا آخر من الحيوانات كنت أملك بالإضافة إلى هذه الثروة الفلاحية، سـتمائة معسلة، ما بين خمس و ست آلاف كيلة من القمح و الشعير، و عـدة آلاف مـن المساحة الصالحة للحراثة"[6].

و كان لاختلاف الملكية من حيث نوعيتها و موقعها الجغرافي و خصوبة أرضها تأثير مباشر على نوعية المنتوجات الزراعية، فانتشرت زراعة الحبوب بأراضي البايليك –الدولة-، و سادت الزراعة المعاشية البسيطة، مع نـشاط الرعـي فـي الأراضي المشاعة(أراضي العرش)، كما انتـشرت زراعـة البقـول بالملكيـات الخاصة، و زراعة الأشجار المثمرة و الخضار بالفحوص.

هذا و يقسم سهل متيجة إلى خمسة أوطان هي: وطن بني خليل (و فحوص البليدة تقع في إطاره)، وطن حجوط أو السبت، وطن بني موسى، وطن الخنشة، و وطن

1 **<u>أ . و .ج : س.م.ش</u>** ، علبة 104- 105 ، وثيقة 61- 93.

2 نفسه ، علبة 106، وثيقة 59-126.

3 نفسه، علبة 104-105، وثيقة 36-11.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...،ص 51.

5 CLAUDINE (CHAULET) : **<u>la Mitidja autogérée</u>** Altamira – rotopress، Madrid 1971, p20.

6 عبد الجليل (التميمي): بحوث ووثائق ...، ص 190.

يسر، على أن كل وطن يتكون من مجموعة من الأحواش يملكها موظفو الـسلطة التركية، و الإنكشارية، و المرابطون، و بعض الجزائريين.[1]

وقد كان وطن بني خليل(الذي تقع في اطاره أراضي البليدة) يتكون مـن 219 حوشا، منها 10 أحواش كبيرة[2]، ويمكن تصنيف هذه الاحواش إلى ثلاثة أصناف من حيث المساحة:

1- أحواش صغيرة (اقـل مـن 200 هكتـار): مثـال ذلـك حـوش بـن عـزة(150هكتـارا)، حـوش قـرواو(110هكتـارا)، حـوش الصومعة(60هكتارا).

2- أحواش متوسطة(ما بـين 200 إلـى 400 هكتـار): ومنهـا حـوش عمروسـة (250هكتار)، حوش غرابة(213 هكتار)، حوش فروخة(392 هكتار).

3- أحواش كبيرة (أكثر من 400 هكتار): ومنها حـوش بنـي مـراد (716 هكتـار)، حـوش معـصومة (459 هكتـار)، حـوش بـن شـعبان (1000 هكتار)[3].

ويتكون الحوش في الأساس من قطعة مخصصة للسكن، ومكان مسيج خـاص بالقطعان، وقطعة زراعية تحتوي في بعض الأحيان علـى حـدائق وبـساتين مسيجة، بالإضافة إلى آبار وعيون ماء[4].

فعلى سبيل المثال كان حوش غرابة يتربع على 213 هكتـارا، وتعـيش فيـه جماعة مكونة من 38 عائلة، و120 فردا، مشكلين جزءا أو فرقة من قبيلة بني خليل، متجمعة بشكل قرية صغيرة، شديدة الغنى محاطة بالحـدائق والبـساتين المسيجة و المسخرة للزراعة الصناعية.[5]

تقنيات وأساليب العمل الزراعي:

رغم إدخال الأندلسيين زراعات جديدة ، و تطويرهم وسائل الـري، وإنـشاء

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي ... ، ص 29.

2 NACEREDDINE (Saidouni): op, cit, p177,p 178

3 IBID: p 179, p 183.

4 CLAUDINE (CHAULET) : op.cit, p 20.

5 H (ISNARD): **La réorganisation de la propriété rurale dans la Mitidja, ses conséquence sur la vie indigene**, A joyeux, Alger, 1950 , p 20.

الحنايا والسواقي، في الفترة الأولى للعهد العثماني ، إلا أن الفلاحة لم تتطـور منذ أوساط القرن السابع عشر.[1] وهذا راجع إلى الأساليب العتيقة المتبعـة، والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض [2] . فسواء تعلق الأمـر بـشبه الرحل أو الغراسين ، فإنهم يستعملون كلهم أداة حرث وحيدة، وهي المحـراث الخشبي الذي وصفه القس بواري (Poiret) في سنة 1785 ميلادي على أنـه: "مجرد سكة مربوطة بقطعة خشبية طويلة، مكوعة في الوسـط ويوجـد فـي طرفها المقرن"[3] .

ويضاف إلى المحراث الخشبي استعمال المنجل البسيط الذي يتلف السنابل أكثر مما يحصدها، والالتجاء إلى رماد الأعشاب المحروقة، وفضلات الحيوانـات لإخصاب التربة، وعند عدم توفر هذه الأسمدة، يلتجئ الفلاح إلى ترك الأرض بورا لمدة سنة أو أكثر، لتستعيد خصوبتها[4].

على أن هذا الأمر لم يحل دون إتباع طرق ملائمة، والالتجـاء إلـى وسـائل تتماشى وظروف الفلاحة، وطبيعة البيئة، مثل توزيع المزروعات حسب نوعية التربة، وطبيعة المناخ، وكذا التجاء الفلاح إلى المحافظة علـى إنتاجـه مـن الحبوب في مطامير وجرار كبيـرة، واسـتعماله الحيوانـات فـي الـدرس، واستخدامه الرياح في تصفية الحبوب، والانتفاع بالتين في الطهي و العلف.[5]

كما أنه وفي فحص البليدة ، تمكن الاندلسيون من تحويل مياه وادي الرمـان، الذي أصبح يعرف بوادي سيدي أحمد الكبيـر الاندلـسي، الـذي ينبـع مـن منحدرات جبل الشريعة ، إلى قناة رئيسية طولها 1500 متـر، ذات منـسوب مائي مرتفع يصل إلى 20000 لتر يوميا[6] ، حيث بدؤوا بإعادة توجيه الوادي إلى الغرب، حيث كان يصب في الجهة الشمالية، قاسما حـائط المدينـة إلـى اثنين، ونفس الأعمال قام بها الاندلسيون من الجهة الشرقية، وذلك باسـتغلال

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص57.

2 ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي ...، ص 33.

3 لوسات (فلنزي): المرجع السابق، ص 56.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الإقتصادي والاجتماعي ...، ص 57.

5 نفسه ، ص، ص 57، 58.

6 ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون (الموركسيون)...، ص 110.

مياه وادي بني عزة،[1] ولم يكتفوا بذلك، فقد حاولوا استغلال المياه المنحـدرة من جبل الشريعة، عبر أودية الخميس، وجبـور، وبنـي شـبلة، والمبـدوع، وتامرة، وبني مفتاح [2].

و مما ساعد على وجود تقنية السقي بالسواقي درجة ميل أرضية مدينة البليدة، التي تقدر بـ :3% في الاتجاه جنوب - شمال[3]. وقد وجه جزء من هذه المياه لري البساتين، أما الجزء الرئيسي فقد احتفظ به لاستغلاله فـي الـصناعات، وتوجيهه لسد حاجات مدينة البليدة من المياه.[4]

الإنتاج الزراعي لفحوص مدينة البليدة:

تشكل فحوص البليدة على المخطط الإداري، إقليم الجهة العلوية لـوطن بنـي خليل، المعروفة تحت اسم الحمادة ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية كـان مواليا لمدينة البليدة، التي كان غناها ناتجا عـن خـصب، وإنتـاج بـساتين الفحوص.[5] حيث كانت تمثل ظهيرا جغرافيا و اقتصاديا لمدينة البليدة.

تقع فحوص البليدة على سفوح الأطلس حول وادي سيدي الكبير على ارتفـاع 230 متر فوق سطح البحر[6] . و قد كانت هذه الفحوص مشكلة مـن حقـول خضار (بحاير) وبساتين فواكه (جنات)، ومجموعة ضياع أو أراضي زراعية (أحواش) وكذا بعض المنازل (أو الديار).و على الـرغم مـن أن الـسلطات المحلية لم تكن تعتني عناية كبرى بالشؤون الزراعية فان المنتجات كانت تزيد عن حاجات السكان بالإضافة إلى أنها كانت تحظى بشهرة عالمية[7].

فقد كانت البليدة ومنطقتها تتميز طيلة العهد العثماني بإنتاجها الوفير، وبجناتها الفيحاء[8]، وهذا منذ أن اقتطع خير الدين أرضها، لجماعة مـن الاندلـسيين، تحت رعاية الشيخ سيدي احمد الكبير، الذي استقر بجوار وادي الرمان ، حيث

---

1 joèlle (DELUEZ) : op. cit, p 29.

2 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص110 .

3 joèlle (DELUEZ) : op. cit, p 29.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون (الموريسكيون) ...، ص 110.

5 NACEREDDINE (Saidouni): op. Cit, p75.

6 I Bid, p 25.

7 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 58.

8 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات أبحاث ... ، ص 140.

اعتنى بالزراعة، وغرس البساتين، وسـقى الأرض، وأجـرى الميـاه فـي القنوات[1] حتى أصبحت بساتين وحقول البليدة، تنتج جميع أنـواع الفواكـه، وجميع أنواع الخضار، التي تستهلك في مدينة الجزائر[2]

وأمكنة فحوص البليدة محددة في وثائق المحكمة الـشرعية بعـدة أوصـاف: أوطان- موطن- تراب-إمارة-محل-غرس. ويمكن تحديدها كما يلي:

أغار أوملال- بير الحبس-بلاد الشبلالي-البليدة الجديدة- شعبة بني مفتـاح- شعبة السمار-التراب الأحمر- العناب الأحمر- الاوش- النجـار- الـسعيدية معيشة-خزرونة-معدن الياجور-مجاجة-مطمر في امرة-مراد-وادي أفـور- أولاد عمور-أولاد سلطان-سيدي أمحمد الغريب- سيدي يعقوب-تبارديت-تالة ايفري-تارنورت-طريق الخروب-طريق الرمان-تفاحة-تيميزار أو تامازار- تراب معصومة-ترارس أو توارس-تازمورت أو تازموت.[3]

ولقد كانت هذه الفحوص خصبة، و مزروعة بطريقة جيدة، حيث توجد حقول مزروعة، ومحاطة بأشجار الزيتون البري، وأشـجار التـين.[4] إذ اشـتهرت فحوص البليدة بزراعة الأشجار المثمرة كالتين، والزيتون، والبرتقال، والعنب، والخوخ، والكرز(حب الملوك)، والمشمش، والتوت، واللارنج ، والليمـون، وغيرها، وخاصة أشجار البرتقال التي كانت بساتينها تمتد لمسافة تقدر بـأكثر من 400 هكتار[5] ، حيث أحاط البليديون المدينة بحزام من البساتين وأشجار البرتقال.[6]

وكان الاعتناء بزراعة الأشجار المثمرة واضحا، حيث كانت بساتين البرتقـال محمية بأسوار ترابية، فكان مردود الشجرة الواحدة مـا بـين 500 و 1500 برتقالة . وقد يصل إلى 3000 برتقالة[7]. وقد لاحظ رودونوت أن الأشـجار المثمرة في كثير من البساتين تثمر مرتين، وأحيانا ثلاث مرات فـي الـسنة،

---

[1] نور الدين (عبد القادر): المرجع السابق، ص 266.

[2] venture (de paradis) : op.cit, p 276.

[3] NACEREDDINE (Saidouni): op. Cit, p75

[4] FRANC (jules) :**<u>la colonisation de la Mitidja</u>** paris champion 1928, p 58.

[5] A .PRENANT, V .Lacoste, A. nouschi **; <u>L'Algérie , passé et présent</u>**, Ed- Sociales, paris,1960,p 202.

[6] CLAUDINE (CHAULET) : op.cit,p 20.

[7] NACEREDDINE (SAIDOUNI) : op.cit,p205.

ويعود ذلك إلى خصب التربة، وعناية المالكين.[1] وقد تم جلب البرتقال إلى البليدة من إسبانيا من طرف المهاجرين الأندلسيين، الذين كانوا يسمونها "تشينا"، ربما لان أصلها من الصين.[2]

كما تمتاز منطقة الفحوص بإنتاج الخضار، التي حسن الأندلسيون أنواعها، وطوروا زراعتها[3] بمختلف أنواعها، كالطماطم، والخيار، والبصل،والبطاطس، والفلفل، والباذنجان الذي استمد تسميته من مقاطعة اندلسية هي باتنجال (BITANJEL)، والزعفران،و السبانخ، والقرنون، و الكراث،و الجلبان،و الملفوف،و الكرنب،والقرمز(KERMES)، الذي كان يستخدم في صباغة المنسوجات بالبليدة.[4] كما نجد بمنطقة الفحوص زراعة الحبوب، والكتان[5]، خاصة في الأراضي الجافة، والبعيدة عن المستنقعات، ونقصد بذلك السفوح الأولى(الشمالية) من جبال بني صالح.[6]

يضاف إلى الفلاحة، قطيع من الماعز أو الأغنام، مع بقرة أو بقرتين، خاصة في الاحواش، فالثروة الحيوانية كانت متوفرة، ولكنها كانت تواجه بعض المشاكل[7]، كما أننا لا نستطيع حصرها لان السلطات في ذلك الوقت، لم تكن تهتم بالإحصاءات، إلا انه بامكاننا أن نأخذ صورة عنها من كلام حمدان بن عثمان خوجة السابق، أومن كتاب صالح العنتري(سنين القحط والمسبغة ببلاد قسنطينة) بقوله:«البقرة الغاية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات وخمسة. والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان، والكيلو منه بتونسية، أعني صورديين، وقدحة الزبدة التي تزن زوج كيلو أو أزيد بربع الريال، والرطل من التمر بريالين ونصف».[8] ويبدو أن ضآلة الفارق بين الأسعار، دليل على أن عدد

---

1 وليم (سبنسر): المرجع السابق، ص 114.

2 jean (Bisgambliglia) : op.cit,p10.

3 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات وأبحاث ...، ص140.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون (الموركسيون) ...، ص 109 .

5 FRANC (JULES) : op.cit,p58.

6 colonel (trumelet): op.cit, T 1, p 82.

7 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 152.

8 صالح (العنتري): **سنين القحط والمسبغة ببلاد قسنطينة (مجاعات قسنطينة)**، تحقيق وتقديم: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر ،1974، ص34.

رؤوس الأغنام والأبقار كان كبيرا، حيث كانت تشكل المصدر الرئيسي لرأس مال الأهالي،[1] خاصة في السفوح الجبلية للبليدة.

ومما ساعد على انتشار تربية المواشي و حرفة الرعي، كون السهول المحيطة بمدينة البليدة ملائمة للرعي، باعتبار أن مراعي المستنقعات من أهم المراعي، لان أديمها الرطب تغطيه الإعشاب طوال السنة، على عكس المراعي الجافة، التي لا تتوفر بها الأعشاب سوى في فصل الشتاء فقط، ثم يجف الكـلأ فـي فصل الصيف.[2] وعلى العموم فان تربية المواشي في فحوص البليدة، كانـت تهدف إلى تغطية الاستهلاك الذاتي للبايليك، من اللحوم، والحليب، و الزبدة.[3]

إن كثافة الغطاء النباتي، وجودة الإنتاج الزراعي، والإحساس بالجمال الطبيعي جعل الرحالة والمؤرخين يطلقون صفة (المدينـة- الواحـة)[4]، والجزيـرة الخضراء التي تنبعث من بحر متيجة، التي تشبه الصحراء، [5] علـى منطقـة البليدة كما أن الكولونيل سالدان السويسري يقر بأنه" لم ير في سـائر أنحـاء أوروبا ما يشابه ناحية البليدة التي زارها"[6] . و نظرا لخصوبة و جمال منطقة البليدة خصت بهذه الأبيات الشعرية الجميلة:

بدت بساتين البليدة كالواحة | *تنبعث من الصحراء المقفرة*
بدت ترتاح بين أحضان الحدائق | *الخضر والأحواض المزهرة*
وتسيل فوق ضفة النهر | *وقد جعلتها براعم بساتينها*
وقبابها البيض الملتمعة كأشعة | *القمر مدينة خرافية.*[7]

---

1 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص 153.

2 **مجلة مرأة متيجة**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1986، العدد الثاني، ص 4.

3 NACEREDDINE (Saidouni) : op.cit,p 201.

4 joèlle (DELUEZ) : op. cit, p 29.

5 مالتسان (فون هاينريش): المصدر السابق، ص 134.

6 HABART (MICHEL) **: HISTOIRE D'UN PARJURE** ، LES EDITIONS DE MINUIT ، PARIS ، 1960 , p 69.

7 مالتسان (فون هاينريش): المصدر السابق، ص 134، ص 135.

على أن الأمور تغيرت جذريا بعد حملة الغـزو الفرنـسية علـى الجزائـر، فالاختلاف بين متيجة في زمن الأتراك ومتيجة في زمن الاحتلال الفرنـسي، كان بالدرجة الأولى من ناحية الزراعة، فالأول يمثل بصورة اقـل أو أكثـر نوعية المظهر الرعوي الزراعي، مع تواجد العديد مـن الـدارات الـصغيرة (VILLAS) البيضاء، المقامة وسط أجنة، تثمر المحاصيل، للتبـادل والاكتفـاء الذاتي وقطعان الدجاج و الأغنام والكثير من الرحـوات لطحـين الحبـوب، الموجهة للمدن الجزائرية. أما خلال الفترة الأخيـرة، فـان تلـك الـضيعات الصغيرة، قد حلت محلها الملكيات الواسعة جدا، وكل منها تتحكم فيهـا بيـت إقطاع، سقفها من القرميد الأحمر، وقد خصصت لإنتاج الحمضيات، وعنـب الخمور.[1]

مما تقدم يمكن القول :

1 - ساهمت عوامل كثيرة في اعتبار البليدة آنذاك منطقة فلاحية ، لعل أبرزها :

أ- خصوبة أراضيها ، و اعتدال مناخها ، و وفرة المياه بفضل تواجد الأودية و الينابيع المائية ، التي يعتبر وادي سيدي الكبير أهمها .

ب- ميل أرضية المنطقة ساعد على وجود تقنية السقي بالسواقي، التي جاء بها الأندلسيون .

ج- اعتناء الحكام و السكان على السواء بالنشاط الزراعي،لما فيه من دخل وفائدة.

2 - العوامل السابقة الذكر، جعلت من البليدة – مدينة / واحة -، و جزيرة خضراء منبعثة من سهل متيجة ، حيث كانت فحوص المدينة مشكلة من بحاير – حقول خضار- ، و جنات – بساتين فواكه – ، و أحواش – مجموعة ضياع أو أراضي زراعية- كثيرة ، كانت تنتج محاصيل متنوعة ، و ذات جودة عالية.

3 - انتشر بالمناطق المحيطة بالمدينة، - خاصة الجبلية منها – نشاط تربية المواشي و حرفة الرعي، و هذا راجع إلى انتشار المستنقعات الرطبة المليئة بالأعشاب طوال السنة ، في الأطراف الشمالية لسهل متيجة . و قد كان الإنتاج يهدف إلى تغطية الاستهلاك الذاتي للسكان والبايليك من اللحوم، والحليب، والزبدة.

---

[1] وليم (سبنسر): المرجع السابق، ص 115.

المبحث الثاني:الصناعة بالبليدة وفحوصها:

عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني، نشاطا صناعيا شمل أغلب المهن التقليدية، والحرف اليدوية التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوربية . ففي كبريات المدن الجزائرية ، كانت توجد أحياء النجارين، و الحدادين ، والصباغين ، والدباغين ، والشواشين ، إلى غير ذلك من الصنائع الشائعة في ذلك الحين [1] .

وكان لكل حرفة أمين ، أو متفقد ، كأمين الفضة ، وأمين الدباغين ، وأمين الخياطين، وأمين الطرازين ، وأمير البلاغجية ، وأمين العطارين ، وأمين الشواشية ، وأمين المقايسية ، وأمين النجارين ، وأمين الخزافين ، وأمين الصباغين ، وأمين الصوابنية ، وأمين الحرايرية ، وأمين البنائين ، وأمين الكواشين ، وغيرهم ... ، ورئيس جميع الأمناء يسمى شيخ البلد، أو (حاكم المدينة)[2]. والذين يتولون الصناعة التقليدية كانوا من الحضر النازحين من الأندلس [3]، الذين تمكنوا منذ استقرارهم بالجزائر من إقامة المشاغل، وإنشاء الورشات ، لمزاولة مختلف المهن والصناعات[4]، مثل نسيج أقمشة الحرير والصوف، وصنع الأسلحة ، وخدمة الجلود ، وتجارة المعادن[5]، وصناعة الحلي، والتحف العاجية[6]، والذهب ، والفضة، والنقش على اللوح، والبناء [7]، حيث أنهم فاقوا أهل البلاد ، فمتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجويد، ما يميلون به النفوس إليهم ، ويصير الذكر لهم [8] . أما اليهود فقد كانوا محتكرين لصناعة الأحجار الكريمة [1].

---

1 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص61.

2 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري): المصدر السابق ، ص101

3 أبو القاسم (سعد ا) : المرجع السابق، ص151.

4 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات وأبحاث ... ،ص140

5 جون بابتست (وولف): المرجع السابق ،ص 166

6 محمد عبد ا (عنان):المرجع السابق، ص511.

7 عبد الجليل (التميمي):الدولة العثمانية ... ، ص60.

8 أحمد بن محمد (المقري التلمساني):المصدر السابق ،ص 152.

وقد كانت سياسة الأتراك في الجزائر مبنية على تشجيع الـصناعة مهمـا كان نوعها[2]، حيث كان المسؤولون في الايالة يبذلون كل جهد لتنمية الصناعات المختلفة[3]، ومع ذلك فأن مصنوعات الجزائر لم تكن تستطيع منافسة المصنوعات الأوربية، ولا حتى المغربية والتونسية. ثم إن النشاط الـصناعي مـا لبـث أن انحطت نوعيته ، وتناقصت كميته، وتعرض الصناع والحرفيون إلى أزمة كـساد مصنوعاتهم ، وانخفاض أسعارها ، وذلك منذ أواخر القرن الثامن عشر[4].

هذا وقد شهدت مدينة البليدة وفحصها نشاطا صناعيا وحرفيا متنوعا، إذ كانت تعج بالصناع والحرفيين الذين كانوا يزاولون مختلـف الحـرف و الـصناعات، فـي ورشاتهم، ومشاغلهم، حيث تجمعت كل صناعة أو حرفة في مكـان مخـصص، بحيث عرف كل زقاق ، أو ساحة ، أو حومة ، بالصناعات الموجودة به[5].

وقد تركزت محلات الحرفيين في الشارع الممتد من باب الجزائـر، حتـى بـاب القبور، الذي ضم محلات النجارين ، والطـرازين ، والخـزافين، والـدباغين ، والسراجين ...الخ[6].

وقد كان الإنتاج موجه لتغطية الاستهلاك المحلي، وإرضاء متطلبات أسواق المدينة والأرياف من المصنوعات اليدوية[7] .

ومن أهم الصناعات والحرف التـي انتـشرت فـي مدينـة البليـدة، والمنـاطق المحيطة بها:

1-الصناعات الغذائية: وتتوزع على إفراد الخبز (الكوشات) ، ومطاحن الـدقيق (الرحى) ، حيث أقيمت بفحوص البليدة سبعة مطاحن مائية لطحن الحبـوب[8]،

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ... ص 62.

2 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري):المصدر السابق ، ص 101.

3 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق ,ص155.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ... ص 62

5 ناصر الدين (سعيدوني)::الأندلسيون (المورسكيون)...، ص 110

6 colonel (trumelet):op.Cit,T II , p883, p946.

7 ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي ... ص 34

8 NACEREDDINE (Saidouni) : op.cit, p 224.

قادرة على طحن ما لا يقل عن ألف كيس من الدقيق يوميـا [1]، خاصـة تلـك المطاحن المائية الموجودة على ساقية وادي سيدي احمد الكبيـر[2] . ولـم يكـن الأهالي يسيطرون على مخازن الحبوب العامة، ولا على طـواحين الميـاه فـي ضواحي المدينة، ولكن الذي كان يتولى ذلك هم العثمانيون[3]. كما امتازت البليدة بصناعة تجفيف الفواكه، وتحضير المربى، وتقطير ماء الورد الذي اختصت بـه العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية[4] .

كما وصف لنا سيمون بفايفر، طريقة تقليديـة لتهيئـة الزبـدة فـي الفحـوص و الأرياف، بقوله : " فهم يخيطون جلد الماعز، ولا يتركون منه إلا فتحـة فـي العنق ، ويعلقونه من الأرجل الأربعة، بواسطة الحبال في عارضة ، أو في فرع شجرة ، ويصبون الحليب في الجلد ، و يشدون الفتحة ، ثم يقف اثنان ، كل واحد منهما في جانب ، ويتراميان بجلد الماعز، وعن هذه الحركة تنشأ الزبدة "[5].

2- **الصناعات التحويلية**: وتتعلق بتحضير مواد البنـاء ، كـصناعة الجـبس ، والقرميد، والأحجار التي تستخدم في البناء . وقد كانت هذه المواد تعالج في أفران محلية في منطقة جبال بني صالح بالبليدة [6].

ويلتحق بهذا النوع من الصناعة ، صناعة الخزف والأدوات الفخاريـة ، حيـث عرف صناعيوا البليدة بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء ، في شـكل بلاطات صغيرة مربعة ، مكسوة بالطلاء ، المعروفة بالزليج [7]، الذي يـستعمل عادة في تغطية المنازل ، وكساء الجدران ، وتزيين العيون العامـة ، ومـداخل البنايات . أما الأدوات الفخارية ، والأواني الخزفيـة التـي تـستخدم فـي عـدة منافع ، كأواني الأكل والشرب ، والطهي ، والجرار لتخزين الزبـدة والزيـت ، فكانت تصنع من طرف النساء ، بأدوات يدوية تقنية بسيطة ، ومهـارة مكتـسبة بفعل العمل المتكرر . وتتم العملية بشكل أساسي في فصل الربيع ، لأن التجفيف

---

1 LOUIS (PIESSE) : OP. CIT, P 83 ,84

2 ناصر الدين (سعيدوني): الاندليسون (الموريسكيون)...، ص113.

3 أبو القاسم (سعد ا): المرجع السابق، ص152.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص68 .

5 سيمون (بفايفر) :المصدر السابق ، ص161.

6 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit., p220.

7 ناصر الدين (سعيدوني): الاندليسون (الموريسكيون)...، ص112.

فيه أسرع من فصل الشتاء ، وأقل سرعة في فصل الصيف ، وكانت توضع على هذه الأواني رسومات ، وألوان مختلفة[1]. كما أن حرفة صناعة السلال كانت منتشرة بين سكان المدينة، وسكان السهل، وسكان الجبل، وكانت المواد الأولية لهذا المنتوج هي الحلفاء ، وسعف النخيل . أما المصنوعات فهي الحصير ، والقبعات ، والقفف المسماة الشواري ، والسلال ، والصحون ، والأقداح [2] ، فالحصائر كانت تفرش في المساجد ، والبيوت ، والمقاهي ، والأسواق .

3- **صناعة ومعالجة الخشب والنجارة** : و مما ساعد على وجودها غنى ، منطقة البليدة بالأشجار ، خاصة في المناطق الجبلية ، حيث تتواجد غابات كثيفة من الأشجار، كما في جبال الشريعة ، وجبال بني صالح ، حيث اختص سكان السفح الجنوبي لجبال بني صالح ، في حرفة التحطيب ، وجمع الفحم [3] ، فقد كانوا ينزلون إلى المدينة كل صباح ، يدفعون أمامهم قطيعا من الحمير، محملة بالحطب والفحم الخشبي[4]. و قد كانت الأخشاب تستغل إما في البناء ، وإما في صناعة الأثاث المزخرف بأشكال بارزة[5] .

4- **صناعة النسيج**: تطورت على أيدي الأندلسيين ، الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي ، والأقمشة ، والشواشي ، والمخمل (القطيفة) [6] . وكانت هذه الصناعة تعتمد على المواد الأولية المتوفرة ، من صوف ، وكتان ، وقطن ، وتتم بواسطة أجهزة تقليدية بسيطة ،أهمها المنسج التقليدي ، حيث كانت الصوف المحضرة في البليدة ، تستعمل في صناعة القبعات والشاشيات في مدينة الجزائر[7] .

ومن منتجات هذه الصناعة، الأقمشة القطنية و الحريرية، من ذلك قماش

---

1 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit, p220

2 I .bid p 220.

3 colonel (trumelet):op.Cit, T II, p243, p289

4 محمد صالح (بكوش): **<u>ترجمة وثيقة لاوجين فرومونتان والتعليق عليها</u>** ،محاضرة ألقيت في الملتقى الثالث "متيجة عبر العصور "،من 26 الى 31 ماي 2003 بقاعة محمد التوري ، بالبليدة ، ص 03.

5 NACEREDDINE (Saidouni) : OP .Cit. p221

6 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص68

7 Venture(de paradis) : OP .Cit.p277.

المناديــــــل[1] ، أو صنــــاعـــــة نـــســيـــــج المنـــاشــــف، التـــي تبــــاع فـــي مدينة الجزائر[2] ، و صناعة الوشاح (الخمار)[3] .

كما كان أفراد القبائل المحيطة بالبليدة (مثل بني صالح) ، مشهورون بصناعة البرانس والأغطية ذات النوعية[4] ، حيث كانت نساء بني صالح محترفـات ، وخبيرات ، فيما يخص حياكة و نسيج الصوف ، فعلمهن المتقن لم يكن يتطلـب الكثير من المواد الخام لحياكة البرانس ، و القندورة ، و الخمارات[5] .

هذا وترتبط صناعة النسيج بمهنة الصباغة، حيث اشتهرت بها البليـدة خاصـة لتوفر نبات القرمز بجهاتهـا، و لوجـود عيـون غزيـرة ، و مجـاري مائيـة دائمة بها[6] ، حيث مكنت مياه واد سيدي الكبير، من بناء العديد من الأحـواض المخصصة لغسل الصوف و دباغتها[7]. وبفضل نشاط صناعها، وتوفرها على أحواض الصباغة، استطاعت البليدة أن تحتكر هذا النشاط الـصناعي ، بعـد أن اضمحلت دلس ، و تناقص سكانها[8] .

5- **صناعة الجلد**: طورها الاندليسون فأصبحت أكثر اتقانا ودقة ممـا كانـت عليه، وقد ساعد على ذلك وجود أحواض خارج البليدة ، تعالج فيها الجلود ، قبل توجيهها إلى مشاغل الاسكافيين[9]. ومن أهم منتجات هذه الصناعة ، السروج ، والأحذية ، حيث كان سكان البليدة الأبرع في هذا الميدان[10] .

6-صناعة التطريز: كالتطريز على الجلد[11]، من أدوات كالأحزمة، والسروج ، والمحافظ الصغيرة (الدزدان) ، والمحافظ الكبيرة (الجبيرة) ، والتطريـز علـى

---

1 حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق ، ص 91.

2 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري): المصدر السابق ، ص 69.

3 venture (de paradis) : OP .Cit., p277 .

4 NASEREDDINE (Saidouni): OP .Cit, p222.

5 colonel (trumelet):op.Cit , T II , p267 .

6 ناصر الدين (سعيدوني): الاندليسون (المورسكيون)... ، ص111.

7 colonel (trumelet):op.Cit, T II , p748.

8 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق،ص 111.

9 نفسه ، ص 112.

10 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit, p222.

11 أحمد توفيق (المدني): كتاب الجزائر ، ص199.

القماش ، وكانت تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة [1]. إضافة إلى هذا تميـزت البليدة بصناعة الشبيكة ، التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن ، سواء من حيـث الآلات المـستعملة فـي نـسجها ، أو الطريقـة والطـرز المتبعـة في تشكيلها[2].

إضافة إلى هذه الصناعات ، شهدت البليدة ومنطقتها صـناعات أخـرى لا تقـل أهمية ، كصناعة الأسلحة وتحضير البارود، والتي وجدت إقبالا من طرف سكان متيجة ، والأطلس البليدي [3]. وصناعة المجوهرات والحلي ، التي اختص بهـا أفراد المجموعة اليهودية ، وبعض حضر المدينة من الأندلسيين و الكراغلـة[4] ، وكذا صناعة الصابون ، والمستحـضرات العطريـة ، لتـوفر المـواد الخـام ، كالورود ، وزهور اللارنج [5] .

وقد برز نشاط الجالية الأندلسية بالبليدة - في بعض الصنائع والحرف التي كانت تمارسها بمهارة وإتقان ، فمن حرفييها نذكر : علي بن عمر الأندلسي الذي كـان مشتهرا بصناعة الصابون ، والخياط يحـي ، إضـافة إلـى أصـحاب البطـان المختصين في صناعة الشاشية ، ونذكر منهم :الحاج علي بـن محمـد الفهـري الأندلسي [6] .

كما انتقلت الكثير من الصنائع والحرف من الأندلسيين إلى سكان المنطقة ، ممـا أكسبهم حرفا ، وفرت لهم عملا ، ومهنا مستقرة[7] .

مما تقدم يمكن القول :

1- اتجهت الصناعة المحلية البسيطة في فحوص البليدة ، إلى تلبيـة الحاجـات

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص70

2 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات وأبحاث ... ، ص141

3 ناصر الدين (سعيدوني): الاندليسون (الموريسكيون) ... ص112.

4 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص70.

5 ناصر الدين (سعيدوني): الاندليسون (الموريسكيون) ... ص112.

6 رابح (كنتور) **:الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني** ،محاضرة الملتقى الثاني "متيجة عبر العصور " من 04 الى 09 ماي 2002 ، بالبليدة ، ص06 .

7 نفسه ، ص 06.

الضرورية للعيش ، بينما الصناعة التقليدية في المدينة ، حافظت علـى طابعهـا الوراثي ، واعتمدت في إنتاجها على الأشياء الكمالية والترفيهية ، التي تجد رواجا لدى السكان , مثل المناديل ، والعطور، والأحزمة، والحلي ، والجواهر .

2- خضعت صناعات المدينة إلى مراقبة وتحكم من طرف النقابـات المهنيـة ، التي اكتسبت شكل مجموعات اقتصادية ، بعيدة عن أي صبغة دينية أو سياسـية ، بحيث انحصرت صلاحيات أمناء هذه النقابات ، فـي الإشـراف علـى أصـول المهنة، والحرص على جودة البضاعة ، وتحديد كميتها ، كل هذا كان يتم تحـت مراقبة أمين الأمناء " شيخ البلد" (أو حاكم المدينة) .

3- انتشرت في مدينة البليدة و فحوصها عدة صـناعات ، كـان الفـضل فـي تطويرها، و إيجاد بعضها النازحون من الأندلس ، الذين امتـازت صـناعاتهم بالجودة و الإتقان ، ومنهم انتقلت الكثير من الـصنائع و الحـرف إلـى سـكان المنطقة ، مما أكسبهم حرفا ، وفرت لهم مهنا مستقرة ، و دخلا كريما .

المبحث الثالث: التجارة و طرق المواصلات:

يتوزع النشاط التجاري في الجزائر في العهد العثماني، علـى المـدن الكبيـرة، والأسواق الأسبوعية، والموسمية [1]، وفي الحوانيت (الدكاكين) ، والمعـارض السنوية [2]. فالأسواق تشتمل على حاجات الناس ، فمنها الـضروري ، وهـي الأقوات من الحنطة والشعير ، ومـا فـي معناهمـا ، كالبـاقلا ، والحمـص ، والجلبانة ، وسائر حبوب الأقوات ومصلحاتها ، كالبصل ، والثوم ، وأشـباههما ، ومنها الحاجي والكمالي ، مثـل الأذم ، والفواكـه ، والملابـس ، والمـاعون ، والمراكب، وسائر المصانع والمباني [3] .

فالأسواق تعد حاجة اقتصادية، وعادة لا بد منها لاستقبال أونشر أراء جديـدة ، وذلك لأنها كانت تعد مراكز اجتماعات ، ونقاط لقاءات عموميـة[4]، حيـث أن البايليك يستغل فرصة انعقادها لإعلام المواطنين عن بعـض القـضايا ، بقـراءة الظهير، أو المنشور العام ،الذي يحتوي على معلومات ومضامين مختلفـة ، قـد تكون سياسية (كخبر تنصيب موظفين جـدد) ، أو اقتـصادية (كتغطيـة أودفـع الضرائب) ، أو اجتماعية مثل نبأ انتشار وباء وكيفية الاحتراز منه [5]. كما أنها تلعب دورا ثقافيا هاما، إذ يقصدها المداحون من مختلف أنحاء الـبلاد، يقـصون على الجماهير أنواعا من القصص الدينية، والتجارية [6]. كما تشكل أسواق المدن والأسواق الريفية الكثيرة، الإطار الذي تلتقي فيه المنتجات الريفية والحرفية[7] . تفتح الأسواق الأسبوعية في الفترة الصباحية (يوم في الأسبوع فقط) ، في الهواء

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص71 .

2 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 64.

3 عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق ،المجلد الأول ،ص646

4 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit, p227.

5 a (benachenhou): OP .Cit, p16

6 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 64.

7 NACEREDDINE (Saidouni): OP .Cit, p227.

الطلق ، بالقرب من ساقية ، أو فوارة ، أو بئر، وفي منطقة حيادية تقع بين مجموعة من القبائل . وكان القائد بمساعدة الشيوخ يقوم بمراقبة التبادلات الاقتصادية بين القبائل، ومراقبة الأسواق والصفقات التي تجري على مستوى مقاطعته , كما يضمن أيضا حراسة هذه الأسواق ، على حسب الأيام أين ستقام [1] .

أما التجار الذين يقومون بها في المدن ، فإنهم ينظمون ضمن هيئات ، يشرف على كل واحدة أمين ، يجمع الرسوم المفروضة على كل واحد ، ويـسلمها للمـصالح الإدارية[2]. فالعادة المتبعة منذ القديم هي أن الجزائري أو اليهودي، يكتري فـي السوق محلا، أو عدة محلات ، وبمجرد حصوله على رخصة لذلك يعرض فـي بابها بضاعته[3]. فعند باب الجزائر في البليدة، توجد محلات، ودكاكين تجاريـة لبني ميزاب ، خاصة بالملابس الجاهزة ،أما بحي عبد ا المسمى بحي اليهـود ، فإننا نجد محلات خاصة بالخضارين ، ومقابل المقهى الموجود بنفس الحي ، توجد محلات خاصة بالجزارين ، وسوق التشينة أو البرتقال[4]. أمـا فـي الأسـواق والمعارض فان التاجر يدفع الرسوم قبل الدخول إليها[5] .

فالموقع المعتاد للسوق الريفي ، أنه ينصب بطريقة متناثرة هنا وهنـاك ، وفـي وسطه توجد مجموعـة مـن الخيـام التـي تبـاع بـداخلها القهـوة والـشاي (تعتبر كمقهى) ، كما توجد بداخل هذه الخيام أيضا ، حصائر أو جلود تفـرش على الأرض ، وتوضع أو تعرض عليها سلع غذائية للبيع ، والمواد المباعة تتمثل في الحيوانات بمختلف أنواعها ، والحبوب ، والخضر، والفواكـه ، والطيـور ، والخبز، والحلوى ، والملح ، والصابون ، والتبغ ، والقهوة ، والسكر ، والتوابـل، والخردوات، والنسيج ، والقماش ، ومنتجات حرفية ، و غيرها[6].

وتعد البليدة ذات أهمية كبرى لسكان المحيطين بهـا، فمنهـا يـشترون سـلعهم،

1 a (benachenhou): OP .Cit, p21.

2 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 64 ،ص 65 .

3 أبوالعيد (دودو) : المرجع السابق ، ص110.

4 colonel (trumelet):op.Cit, Tome II , p883, p946

5 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 65.

6 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit., p227

ويصلحون سلاحهم، ويصفحون أحصنتهم، ويلتقون لمناقـشة عـدة قـضايا[1]، حيث كان يتواجد بها ثلاثة أسواق ، منها سوقين داخليين ، الأول كان مخصـصا للحبوب ، ويسمى" سوق جنة الزرع "، والثاني مخصص للمواد والسلع الغذائيـة، وكان يعرف باسم" سوق الجمعة"، وكان يعقد عند الباب الشمالي المؤدي إلى مدينة الجزائر، أما السوق الثالث فهو خارجي، حيث يعقد خارج أسوار المدينـة، عنـد سفح الجبل، وكان يعرف باسم " سوق الخميس "[2]، حيث يعقد كل يـوم خمـيس سوق عام، وفيه كل المناطق المجاورة تجلب الدجاج ، والبيض والبقر ، والثمـار الجافة، والشعير ، والقمح ، والبقول[3] ، كما يتردد عليه رجال القبائل الجبلية لبيع منتجاتهم، وشراء حاجياتهم من أقمشـــــــــة وأدوا ت مصنوعة[4].

كما أنه وبفضل استغلال جيد لمنطقة زراعية غنية ، وطريقة غرس رائعة لأشجار البرتقال ، أصبحت البليدة خلال وقت ، مستودع تجارة للتيطري وللجنوب ، مـع عاصمة الدولة والمدن الساحلية لمقاطعة دار السلطان[5]، فالانتاج الرئيسي والهام لبساتين وحقول المدينة، أعطى لها مكانة مرموقة على مستوى مقاطعة الجزائـر العاصمة أيضا[6] .

كما كان في كل قيادة أو وطن ، يوم من الأسبوع يعقد فيه سوق عـام[7]. ففـي وطن - بني خليل- الذي تقع في إطاره أراضي مدينة البليـدة ، نجـد الـسوق الشهير " سوق الاثنين " ، الذي يعرف لدى أناس المنطقة باسم " سوق بوفاريك " ، والذي كان يعقد بين حقول الحبوب ، على بعد400 متر شمال قبة سـيدي عبـد القادر ، بالقرب من ساقية تستعمل لتشريب الحيوانات[8]. كما أن هناك سوق قبلي أو عشائري ، يدعى " سوق بني صالح " ، ويوجد بمرجة ' بوقادون'[9].

وقد كانت المقايضة أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجـارة، لأن النقـود

---

1 A (Cour): **<u>Deux Documents sur les relations du Gouvernement d'Alger avec les</u> <u>indigènes de Blida EN Janvier 1836</u>**, in R. A, T 51 , Annèe1907, ALGER , p111, p115.

2 colonel (trumlet):op.Cit, T II , p782, p800.

3 venture (de paradis) : op.Cit, p276 .

4 colonel (Trumle) :op.Cit, T II p782, p800

5 I bid p783 .

6 joèlle (deluz): op.Cit, p29.

7 venture (de paradis) : op.Cit, p276 p 277.

8 NACEREDDINE (Saidouni) :OP .Cit, p229.

9 I .bid 220

الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة ، ولأن المستهلك يريد الحصول علـى مـا يحتـاج مباشرة ، دون المرور بعملية التحويل المعقدة ، التي لا توفر الضمانات الكافيـة للأطراف المتبادلة[1]، فالنقود المعدنية المستعملة واجهت ظروفا صعبة ، تمثلـت في صعوبة تحديد قيمتها تحديدا دقيقا وثابتا ، وذلـك نتيجـة لانعـدام اسـتقرار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد ، واضطراب الأحوال السياسية ، خاصة منذ مطلـع القرن التاسع عشر، اثر الضعف والانهيار الذي أصاب العثمانيين[2].

وعن أسعار المواد يمكن لنا أن نستنتج من مخطوط العنتري (عنـد تحدثـه عـن مجاعة 1808) أنها كانت رخيصة الثمن ، إذ يقول :"...وأما باقي الغلال ، مـن مأكولات، ومشروبات ، كلها رخيصة السعر ، إلا أن الدراهم قليلة بأيدي النـاس في ذلك الزمان جدا ، وعزيزة للغاية ، فالبقرة الغايـة تبـاع بأربعـة ريـالات وخمسة ، والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان ، والكيلـو منـه بتونـسية ، أعنـي صورديين ، وقدحة الزبدة التي تزن كيلو أو أزيد بربع الريال ، و رطل من التمر بريالين ونصف ، وقس سائر المأكولات المعدة للاقتيات على ذلك السعر ، تجدها كلها في غاية البخس ، حتى أن الإنسان الذي لم يدرك ذلك الزمان المتقدم ، ولـم يشاهد عيانا الأشياء الجارية فيه في سائر المبيعات ، من أمور المعاش ، والكسوة ، والكسب ، ونحو ذلك ، يتخيل الكذب في رخاء تلك الأسعار"[3].

وعلى العموم فقد كانت الأسعار مراقبة، سواء في أسـواق المدينـة، أو أسـواق الريف، فبخصوص هذه الأخيرة ، كانت كل قبيلة تعين أمينا لمراقبـة الأسـعار ، و المكاييل .

هذا وقد عمل الحكام على تشجيع التبادل التجاري، قصد التحكم في القبائل التـي ظلت ممتنعة عن سلطتهم ، عندما تضطرها الحاجة إلى مبادلة إنتاجها الحيـواني والزراعي ، بما تحتاجه من سلع وبضائع ، فـي الأسـواق الخاضـعة لـسلطة البايليك[4].

وكان لمهارة العنصر الأندلسي ، واستعداد الجالية اليهوديـة لممارسـة الأعمـال

---

[1] محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 65.

[2] رابح (كنتور) : المرجع السابق ، ص 06.

[3] صالح (العنتري):المصدر السابق، ص 34، ص 35.

[4] a (Benachenhou): OP .Cit, p21

التجارية ، دخل كبير في تدعيم النشاط التجاري في المدينة ، حيث أن المبـادلات التجارية أصبحت من احتكار الأندلـسيين ، نظـرا لاسـتعدادهم ، ومهـاراتهم ، وتكاتفهم ، وامتلاكهم رؤوس الأموال التـي نقلوهـا مـن مـواطنهم الأصـلية بالأندلس[1]. كما أن اليهود تمكنوا من السيطرة على تجـارة الجزائـر، علـى المستويين الداخلي والخارجي في أواخر العهد العثماني، نظرا لاستغلالهم الظروف الدولية، ومعرفتهم بالأسواق الأوربية، وتواطؤ بعض الحكام معهم ، فضلا عـن إطلاعهم على عادات وتقاليد سكان الأرياف والمدن[2].

و يرتبط النشاط الاقتصادي بصفة عامة، و النشاط التجاري بصفة خاصة، بالموقع الجغرافي للمدينة، و طرق المواصـلات فيهـا ، فـالموقع الاسـتراتيجي الهـام للبليدة ، تتخلله معابر وممرات طبيعية عبر السهل ، أو الجبل ، تمكن المسافر من خلالها الوصول إلى مدينة الجزائر و الساحل في الشمال ، عبر سـهل متيجـة المنبسط والفسيح ، أو إلى مليانة في الغرب ، عبر واد جـر ، أو إلـى المديـة جنوبا، عبر مضائق شفة ، أو عبر سلسلة جبال الأطلس التـي ، كجبـال بنـي صالح، وجبال ملوان. وقد استغلت هذه الممرات منذ القدم للتنقـل بـين الـشرق والغرب ، أو بين الشمال والجنوب ، فالجيوش الرومانية التي كانت متمركزة في سواحل تيبازا (تيبازة اليوم) ، وقيصرية (شرشال حاليا) ، وإكوزيـوم (مدينـة الجزائر اليوم)، كانت تستخدم منطقة البليدة كممر طبيعي لمراقبة السهول ، كمـا أقامت عدة محطات عسكرية بالمنطقة للمراقبة ، خاصة في خزرونة ، وموازية. كما اتخذتها جيوش الموحدين الآتية من جهة الغرب عن طريق مليانـة ، ممـرا للوصول إلى بجاية ، ومنها إلى تونس [3].

أما في العهد العثماني ، فقد كان أول ما يهتم به البايات عندما ينصبون ، هو العمل على تحقيق أمن الطرقات ، حتى يستطيع الضعيف أن يتنقل من مكان إلى آخر، دون أن يحتاج لحماية القوات المسلحة ، وكانت كل قبيلة مجبرة على مساندة

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): دراسات وأبحاث ... ، ص142

2 ناصر الدين (سعيدوني) : الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص74.

3 **مجلة مرآة متيجة** : المؤسسة الوطنية للنشر التوزيع بالجزائر ،1986،**العدد الثاني** ،ص 04.

ذلك الإجراء، لكي يستتب الأمن بينها وبين جاراتها [1].

وكانت الطرق في الايالة الجزائرية تختلف عن مثيلاتها في القـارة الأوربيـة ، وهي تنقسم إلى سلطانية ، وجهويـة[2] ، وكـذا إلـى طـرق محيطـة بالمـدن والأحواش ، والقبائل والأعراش[3]. والطرق السلطانية هي الطـرق التجاريـة الكبرى ، وتوجد منها في الجزائر تـسع طـرق ، تـربط بكـل مـن تـونس ، وليبيا ، والمغرب ، والسودان [4] ، ومنها طريق الجنوب ، الذي يمتد من المديـة إلى الصحراء . وللوصول إلى المدية عاصمة بايليك التيطري ، يستعمل البايليـك عدة طرق ، منها الطريق التي تبدأ من مدينة البليدة ، التي تعد رابطا بين العاصمة (الجزائر) ، وبايليك التيطري [5].

ويتم المرور في هذا الطريق بجبال ملوان ، وبني ميصرة ، وبني بـو يعقـوب ، وباروقيقة (Baroegeaja) ، والعبور للحظات بوادي الآخـرة[6]. أمـا الطـرق الثانوية، فتتمثل في الطرق التي تربط العاصمة (مقر دار الـسلطان) ، بالمـدن المحلية ، ومن أهم هذه الطرق " طريق البليدة ", فليست هنـاك نقطـة تـربط بمدينة الجزائر عن طريق المواصلات ارتباطا وثيقا مثل البليدة ، ولـيس هنـاك مكان مجاور يسهل الوصول إليه مثلما يسهل الوصول إلى هذه البلدة ، التي تمتاز بقربها المناسب من العاصمة [7] ، فهي تقع على بعد 48 كيلومتر جنوب- جنوب غرب مدينة الجزائر ، و 42 كيلو متر شمال المدية ، و70كيلومتر شرق مليانـة[8]. فالبليدة إذن تقع على بعد ست مراحل من مدينة الجزائر ، على الطريق الكبير المؤدي نحو مدينة معسكر[9]. وقد كان المسافر يقطع هذه المـسافة فـي عـشر ساعات من السير [10].

---

1 حمدان بن عثمان (خوجة) : المصدر السابق ، ص 161.

2 محمد العربي (الزبيري):المرجع السابق ، ص67.

3 Nacereddine (Saidouni): OP .Cit, p232

4 محمد العربي (الزبيري): المرجع السابق، ص 67.

5 joèlle (Deluz): op.Cit, p27

6 Nacereddine (Saidouni): OP .Cit, p235

7 هانيريش (فون مالتسان) :المصدر السابق ، ص 131.

8 victor (Bernard): OP .Cit, p243

9 venture (de paradis) : OP .Cit., p276

10 LOUIS (PIESSE) : OP. CIT, p65

ويمر الطريق الواصل بين الجزائر والبليدة ، من دالي إبراهيم ،مرورا بوادي الكرمة بواسطة جسر ، ثم حوش حسن باشا في اتجاه الجنوب وسط المستنقع ، وصولا إلى البليدة عن طريق أراضي مغطاة بالأدغال والأشجار ، وهذا الطريق رملي [1].

أما سعر النقل الذي كان يحدد حسب المسافة، وصعوبة النقل ، فالداي "الحاج علي" حدده (بين الجزائر والبليدة) ، حسب اقتراحات خوجة الخيل " سيدي حسان خوجة " ، في أول محرم 1228هـ / 1788 م بـ : "03 ريـــالات" [2].

ومن خلال قراءتنا لقصيدة ابن مسايب (يا الورشان) ، التـي تـصف الرحلـة الحجية بين تلمسان ومكة المكرمة ، نجد أن مدينة البليدة كانـت ممـرا هامـا ، ومحطة رئيسية في طريق الحج التلمساني ، حيث أن ابن مسايب ذكر أهم المـدن والمحطات التي يمر بها الحاج ، مع الإشادة بفضل أولياء وصلحاء تلك المـدن والأماكن ، والتوسل إليهم لقضاء الحاجات [3]. ومما جـاء فـي هـذه القـصيدة بخصوص البليدة :

*قم قبل الفجر وبكر *** باش تخرج ساع لواجر*

*شف متيجة واستخبر *** البليدة بيت فيهـــــــــــــــــا* [4].

أما عن وسائل النقل المستعملة ، فالجمال والبغال للسلع ، والخيول للأشخاص [5] ، ففي سهل متيجة قلما نصادف الخيول ، أما التي يكسبها السكان يـستعملونها فـي ركوبهم ، ويسخرونها لحمل حبوبهم [6].

وكان ثمن النقل على ظهور الحيوانات باهظا ، مما أدى إلى ارتفاع أسـعار المنتجات المنقولة [7] ، فالحمير مثلا كانت تستعمل فـي الأوطـان مـن طـرف القبائل ، ويمكن للحمار أن يحمل فقط من 70الى 80 كيلوغرام ، ويتحمل مـسافة

---

1 Nacereddine (Saidouni): OP .Cit., p235.

2 I bid , p240.

3 ناصر الدين (سعيدوني): **<u>من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي</u>** ، ط الأولى ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1999، ص407 .

4 Mohamed (Ben Messaib) : **<u>Itinéraire de Tlemcen à la mekk</u>** ,in R. A, T 44 , Année 1900, p275,p282.

5 Nacereddine (Saidouni) : OP .Cit., p240

6 حمدان بن عثمان (خوجة الجزائري):المصدر السابق، ص 67 .

7 Nacereddine (Saidouni): OP .Cit, p240

15كيلومتر فقط ، بينما البغال الوسيلة الأهم في النقل ، فتحمل لمـسافات بعيـدة تصل إلى 25 كيلو متر ، وبسرعة اكبر، وبحمل يتراوح ما بـين 100الـى150 كيلوغرام ، وكان يقطع مسافة 10كيلـومترات فـي الـساعة علـى الأراضـي المنبسطة ، و3 كيلومترات في الساعة في الجبال (1).

تكمن أهمية موقع البليدة في تحكمه في سهل متيجة ، وفي مراقبته لـوطن بنـي خليل، وفي اتصاله المباشر بمناطق التيطري جنوبا ، وسهول الشاف غربا ، عـن طريق الأودية الجبلية المتمثلة في مضائق الشفة ، ووادي جر ، فأصبحت مدينـة البليدة في العهد العثماني قاعدة عسكرية رئيسية ، ومركزا عمرانيـا مهمـا فـي مقاطعة دار السلطان ، رغم قربها ، واتصالها المباشر بمدينة الجزائر عاصـمة البلاد ، وبقيت على مكانتها الى بداية الفترة الاستعمارية (2).

مما تقدم يمكن االقول:

1- نشطت حركة التجارة في مدينة البليدة بفضل تظافر عدة أسباب و عوامـل ، يمكن إيجازها فيما يلي :

- موقع المدينة عند الطرف الشمالي لسهل متيجة الخصيب ، جعل منها مركـزا لانتاج هام ورئيسي و متنوع للمحاصيل الزراعية .
- موقع المدينة عند أقدام الأطلاس التلى ، جعل منها حلقة وصل بـين منتجـات سكان المدينة من الحضر، و سكان السهل من الريفيين ، و سكان الأطلـس مـن الجبليين، فكانت أسواق ودكاكين المدينة ، الفضاء الرحب و الواسع لتبـادل هـذه المنتجات المتنوعة .
- تعتبر أراضى البليدة منطقة عبور و حلقة وصل بين منتجات إقليم دار السلطان في الشمال و منتجات بايليك التيطرى في الجنوب.

هذا الموقع المتوسط جعل من البليدة مركزا لتجمع ، و من ثمة لتبادل المنتجـات المتنوعة و المختلفة ، من زراعية ، إلى صناعية ، إلى حرفيـة . هـذا التبـادل التجاري بين الفئات الاجتماعية و الأقاليم المختلفة ، خلـق نـوع مـن التكامـل الاقتصادي وعزز التجانس الاجتماعي ، و أدى إلى وجـود نـوع مـن الرضـا

[1] Nacereddine (Saidouni): OP .Cit : p220

[2] ناصر الدين (سعيدوني): مدونة المدن ....، ص02.

و الرخاء و الرفاهية ، لدى سكان المدينة و المناطق المجاورة على حد سواء .

2- ساهمت الأسواق الكثيرة، في ربط الريف بالمدينة، و إخضاع القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ، أثناء ترددها على الأسواق لقضاء حاجاتها ، مما جعل هذه القبائل تعلن الخضوع و الولاء للبايليك ، لأن قوتها، و بقاءها، متعلقان برضاه عنها.

3- تكمن أهمية موقع البليدة في تحكمه في سهل متيجة ، وفي مراقبته لوطن بني خليل ، وفي اتصاله المباشر بمناطق التيطري جنوبا ، وسهول الشلف غربا عـن طريق الأودية الجبلية المتمثلة في مضايق الشفة ، ووادي جر ، فأصبحت مدينـة البليدة في العهد العثماني قاعدة عسكرية رئيسية ، ومركزا عمرانيـا مهمـا فـي مقاطعة دار السلطان ، رغم قربها واتصالها المباشر بمدينـة الجزائـر عاصـمة البلاد ، وبقيت على مكانتها إلى بداية الفترة الاستعمارية .

المبحث الرابع : العمران في البليدة :

تختلف أحوال البناء في المدن، فكل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليـه، ويناسب مزاج أهوائهم، واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر، فمـنهم مـن يتخـذ القصور والمصانع العظيمة الساحة، ومنهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه وولده[1].

في بداية القرن السادس عشر، لم يكن يوجد على - أرض البليـدة – إلا قريتـان لفرق من قبيلة بني خليل، في الشمال قرية هجار سيدي علي، وإلى الجنوب قرية أولاد سلطان، ففي عام 1519 هجار سيدي علي لم تكن سوى مساكن متواضـعة ممتدة على سفوح الأطلس، لم تكن حينئذ إلا قرية مكونة من احد عشر كوخ[2] ، و كانت أول لبنة تطبع المرحلة المنيرة في تاريخ البليدة، من طرف سيدي أحمـد الكبير، الذي أسس مدينة البليدة في مكان غير بعيد عن موقع خزرونـة القديمـة بجوار وادي الرمان، و يعود إعمارها إلى العناصر الأندلسية الموريسـكية التـي أقطعها خير الدين بربروسة عام 942هـ/ 1535م أراضي بتلك الجهة فاسـتقرت بها حيث أنشؤا مسجدا و فرنا عاما و حماما و كثيرا مـن المنـازل[3]، و منهـا امتدت البنايات.و قد حاول أهل هجار سيدي علي و أولاد سـلطان إتبـاع نفـس طريقة البناء لتعويض أكواخهم[4]. فمنذ نشأتها اتسعت رقعة المدينة من الجنـوب الغربي إلى الشمال الشرقي لتأخذ بذلك هيأتها التامة على كامل ترابها[5].

إن أقدم مخطط لمدينة البليدة العثمانية مؤرخ بتاريخ 1839، و تـصميماته أدت إلى ظهور الطرق و الأزقة الضيقة التي تعمل على حفظ حرمة العائلات، وتأثير شكل الموقع، وميله، وتأثير موقع وادي سيدي أحمد الكبير، أدت كل هذه العوامل

---

1 عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق، ص 725.

2 jean (Bisgambiglia): op.cit, P 10.

3 ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون(الموريسكيون) ... ، ص 107.

4 Guide de Blida, Chréa et leurs environ: op.cit: P 06.

5 Joëlle (Deluz): op.cit, P 30.

لأخذ مدينة البليدة شكل مروحي(مروحة) [1].

تتميز منازل البليدة بطابعها العمراني الخاص، مما أكسبها منظرا لطيفا وهندسـة مميزة، فقد كانت تتوزع في عدة جهات يتخللها حوالي ثلاثين زقاقـا أو مـسلكا، معظمها ضيق وملتوي، تكسوه الأغصان في بعض الممرات، ممـا يجعـل هـذه الأزقة أو المسالك تحافظ على رطوبة الجو، وتعدل درجة حرارة الـشمس فـي فصل الصيف، وتحد من برودة الطقس في فصل الشتاء[2]، ومـن هـذه الأزقـة أو المسالك، واعتمادا على بعض وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، يمكن ذكر: زنقة الباي، حومة السبع لويات، زنقة دردور، حي أو زنقة باب القبـور، حومـة العرايش، حومة باب الرحبة، حومة سيدي مبارك، زنقة هجار سيدي علي، حومة الحاج إبراهيم، حومة باب السبت، زنقة القسمطينيات، حومة مصطفى البلوكباشي، زنقة دار بابا محمد، زنقة سيدي الجيلالي، زقاق قارا حسن[3].

وقد كانت منازل البليدة تقع داخل السور، وبين طرق ضيقة ومغطـاة بالقـصب، متراصة منزلا جنب الآخر لحماية الأزقة من أشعة الشمس[4]. سكنات البليدة في أغلبها تتألف من طابق أرضي يعتمد على أعمدة خشبية، ومقام بـالآجر والطـين المعالج، وتفتح بيوته المستطيلة التي تنعدم فيها التهوية الخارجية على فناء صغير تحف به الأقواس[5]، كما يكاد لا يخلو منزل من بئر خاص أو فوارة ماء[6]، وبه عدة أشجار مثمرة وبعض الأزهار والورود[7].

هذا وفي بعض الأحيان يضاف للطابق الأرضي طابق آخر علوي، كما هو الشأن بالجزء العلوي للبليدة القريب من الجبل، وهو في الغالب مكان للراحة، وقد توجد

---

1 I bid, P 30.

2 M (GAILLAD): **sur Alger, observations physiques**, paris, chalon -sur- Marne, BDE Boniez Lambert, 1837, P 24.

3 **أ . و ج**: **س.ب :** العلب رقم: 7، الوثائق رقـم: (107)، (108)، (130)، و العلبـة رقـم 06، وثيقـة رقم(50-104).

أنظر أيضا: **أ . و ج**: **س.م.ش:** العلبـة رقـم 104-105، الوثـائق رقـم (49-241)، (195)، (172)، (171)، (166)، (43)، (81-55). **أنظر أيضا** : الخريطة في الملاحق .

4 M (GAILLAD): op.cit, P 24.

5 ناصر الدين (سعيدوني): الاندلسيون (الموريسكيون)...، ص 119.

6 venture (de paradis): op.cit, P276.

7 ناصر الدين (سعيدوني): مدونة المدن...، ص 05.

في بعض المنازل نوافذ تطل على الأزقة، وهي غالبا ما تكون صـغيرة محميـة بالشبابيك التي تخفي الزخارف والمجصصات والتخاريم والنقوش التـي تغطـي الجدران والسقوف، وقد تغطى أرضية الغرف كذلك بالزليج ذو الأشكال الهندسية اللطيفة في بعض المنازل[1].

ويعطينا المهندس الفرنسي (Joëlle Deluz) صورة حـول المخطـط الـسكني لمنازل مدينة البليدة أثناء العهد العثماني: "منزل مفتوح على الـساحة المركزيـة المهيأة بطريقة خاصة، حيث تعزل النساء، ويسمح في نفـس الوقـت باسـتقبال الجيران أو الأشخاص الأجانب مع بقاء احترام حرمة البيت"[2].

أما المنظر الخارجي للمنازل فهو يتميز خاصة بطلائه الأبـيض الناصـع بمـادة الجير، هذا ويستخدم القرميد الأجوف(Tuiles crues) الأحمـر أو المائـل إلـى الزرقة في تغطية المنازل[3]. ومجمل المنازل مبنية بشكل أندلسي أصيل[4].

وقد تعين التقسيم الزراعي إنشاء و إحاطة سور بالمدينة(منذ القرن 17م) يقـدر ارتفاعه ما بين 8 إلى 12 قدما(أي حوالي 3 إلى 4 أمتار) في المتوسط، ويبلـغ قطره 800 قدم(حوالي 2.25 كلم) ، مكون من جدران مـن الطـوب المجفـف والحجارة ، ويستند في بعض جهاته على الجدران الخارجيـة للمنـازل والتـي أصبحت جزءا منه[5]. ولم يكن سياج الأسوار يهيئ حماية من الغزو الخـارجي فحسب، بل كانت له مهمة سياسية، فقد أثبت أنه أداة ذات حدين،وذلك أنه كان في الاستطاعة استخدام السور لصيانة الحرية في الداخل، كما كـان يتـسنى لمدينـة صغيرة أن تغدو معقلا، بعد أن كانت يوما عديمة الحيلة حتى أمام قـوة مـسلحة صغيرة[6].

وقد أعطى روزي (Rozet) التفسير التالي عن وجود السور، علـى أن سـكان البليدة " يرجعون سبب سيطرة اللصوص على مدينتهم إلى قرب المدينة الكبير من

---

1 ناصر الدين (سعيدوني): الاندلسيون (المورسكيون) ...، ص 119.

2 op.cit, P 30.

3 ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 119.

4 NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P290.

5 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 800.

6 لويس (ممفورد): **المدينة على مر العصور(أصلها و تطورها و مستقبلها)**، ترجمـة و تعليـق: إبـراهيم نصحي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1964، الجزء الثاني، ص 455.

الجبل، فصمموا على تركها، و المغادرة لإقامة مدينة أخـرى علـى بعـد ميـل و نصف متقدمة أكثر نحو السهل مباشرة تحت البساتين، بدؤوا أولا بغلق محـيط مستطيل كبير بأسوار، ثم شرعوا في بناء سكناتهم الجديدة داخل ذلك المحيط"[1].

و قد حال هذا السور كثيرا دون هجمات القبائل الجبلية، و ابعد غارات سكان سهل متيجة على المدينة، و أعطى البليدة مظهر المدينة المحـصنة، ذات شـكل شـبه مستطيل منبسط في الشمال ليرتفع تدريجيا نحو الجنوب، حتى يبلغ سفح جبل بني صالح[2].

و ينفذ عبر السور أربعة أبواب تستعمل للمراقبة عند الدخول و الخروج، حيث أن هذه الأبواب كانت تؤدي إلى طرق، و هي: باب الرحبة في الجنوب الشرقي مقابل جبل بني صالح، و تنفتح على سوق الحبوب و الزيتـون و الحيوانـات، و بـاب السبت في الشمال الغربي، و التي تعتبر مدخلا إلى الطريق الذي يؤدي إلى السوق الأسبوعي ليوم السبت بموزاية، و باب الزاوية في الجنوب الغربي، و تؤدي إلـى زاوية سيدي مجبر، و باب دزاير(الجزائر) في الشمال الـشرقي و التـي تعتبـر مدخلا و مخرجا إلى الطريق المؤدي إلى مدينة الجزائر[3].

باب الجزائر تنفتح على مسجد بابا محمد داخل المدينة، حيث توجد غرفة صغيرة تسمى بيت الحبوس، والتي يوضع فيها المحمل وتغلق بعد صـلاة العـشاء، أمـا الأبواب الثلاثة الأخرى فإنها تغلق مباشرة بعد صلاة المغرب[4].

وكانت المباني الدينية تحظى باهتمام الحكام وكبـار التجـار والطبقـة الغنيـة، فخصصوا أموالا طائلة لإنشائها والصرف عليها[5]، حيث ضـمت البليـدة عـدة مساجد وأماكن للصلاة، منها(حـسب وثـائق الأرشـيف الـوطني الجزائـري): مسجد بوكرع، مسجد العيشي، مسجد باب الجزائر، مسجد سـيدي عبـد الحـاج عثمان، مسجد كمرج، مسجد القهوة(المعروف بمسجد الترك أو المسجد الحنفـي)،

---

1 C . A (ROZET) : **Voyage dans la règence d'alger** , Arthus Bertrand , paris ,1833, T I, P102.

2 colonel (trumelet): op.cit , T II , P 800.

3 Joëlle (Deluz): op.cit, P 27.

4 colonel (trumelet): op.cit, T II , P800.

5 عبد العزيز محمود (الأعرج): **الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العـصر التركـي**، ط الأولـى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص 16.

مسجد سيدي أحمد الكبير، مسجد سيدي محمد بن سعدون، ومسجد بابا محمـد[1]. وقد كانت هذه المساجد تؤدي دورا تعليميا من جهـة، ودورا تعبـديا مـن جهـة أخرى[2]، حيث تؤدى فيها العبادات وتدرس بها المعارف الفقهية وعلـوم اللغـة وسائر العلوم التقليدية، هذا فضلا عن العديد من الكتاتيب والزوايا والأضرحة[3]، مثل زاوية سيدي أحمد الكبير، وزاوية سيدي مجبر، وأضرحة الأولياء الصالحين مثل ضريح سيدي أحمد الكبير، وضريح سيدي يعقوب، وضـريح سـيدي عبـد القادر.

أكبر وأقدم هذه المساجد أربعة: مسجد سيدي أحمد الكبير ومسجد سيدي محمد بن سعدون اللذان كانا ينتميان إلى المذهب المالكي، ومسجد الترك ومسجد بابا محمـد اللذان كانا ينتميان إلى المذهب الحنفي. ولم تسعفنا المصادر والمراجـع المطلـع عليها على معلومات وافية على مساجد البليدة، عدا ثلاثة(مـسجد سـيدي أحمـد الكبير- مسجد سيدي محمد بن سعدون- ومسجد الترك).

يعتبـر مـسجد سـيدي أحمـد الكبيـر[4] أول مـسجد رئيـسي بالمدينة[5]، بني في عام 1535 من طرف الولي الصالح الأندلسي سيدي احمـد الكبير، على موقع مهدى من طرف حاكم الجزائر خير الدين بربـروس، و مـن

---

[1] **أ . و ج**: **س.ب** : علبة 19، السجل 102(187)، علبة 20 السجل 111(196) و السجل 122(207)، وأنظر **س.م.ش**: علبة 104-105، وثائق رقم: 51-189-196-37.

[2] عبد الرحمن (الجيلالي): تاريخ المدن الثلاث، ص 229.

[3] ناصر الدين (سعيدوني): مدونة المدن... ص 06.

[4] اعتدى المستعمرون الفرنسيون على هذا المسجد، و كان أول ذلك أثناء الحملة ضد المدية على يد كلوزيـل سنة 1830، فقد هاجم الفرنسيون المسلمين في المسجد نفسه بعد التجائهم إليه، و في حملة لاحقة كان الحـاكم العام نفسه الماريشال فاليه(1837-1841)، هو الذي سلم الجامع إلى الأسقف ديبوش، فحوله هذا إلى كنيـسة كاثوليكية، و حضر الحفلة التي رفع فيها الصليب على منارة الجامع، و الغريب في الأمر أنهم جاؤوا بـستة من العرب ليحملوا إليهم هذا الصليب الضخم من المصهرة التي صهر فيها الصليب، ثم لكـي تتخـذ الحفلـة طابعا رسميا و دينيا جيء بالجنود الفرنسيين فحملوا الصليب إلى أعلى الجامع، و ثبتوه هناك علـى ضـوء شعلة كان يحملها العرب.

أنظر: أبو القاسم (سعد ا): **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط الأولى، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت، 1998، ج الخامس، ص 77.

[5] Joëlle (Deluz): op.cit, P 30 .

نفقاته الخاصة[1]، تعرض لتصدعات و تشققات جراء زلزالـي القليعـة 1802، و البليدة 1825، و قد أعيد بناؤه من طرف حفيد سيدي احمد الكبير، مفتي البليدة سيدي بلقاسم عام 1827، بدعم مادي و معنوي من طرف السكان و باشا الجزائر الداي حسين[2].

أما مسجد سيدي محمد بن سعدون بن بابا محمد فإنه مسجد جـامع، كـان تابعـا للمذهب المالكي، بني في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر للهجرة، وهـو يحمل اسم صاحبه الذي بناه على حسابه الخاص، يضم مجموعة دكاكين(محبوسة) لتسديد حاجيات المسجد عند الضرورة، وكذا دفع أجر قراء الحزب(الحزابين) عند صلاة العصر[3].

يحتل المسجد حيز مستطيل، وله ثلاثة مداخل أكبرها المدخل الـشمالي، إذ تبلـغ مساحة الرواق: (13.35 متر) طول على(3أمتار) عرض، ويقابله المكان الخاص ببيت الوضوء، وبيتي الحمام. أما المدخل المتوسط المساحة، فإنه يقابل الأول من الجهة الجنوبية، وتبلغ مساحته(4أمتار) طول على(2.10متر) عرض، وأما أصغر المـداخل فيقابـل المحـراب مباشـرة، وتبلـغ مـساحته(3.10متـر)طـول على(1.95متر)عرض. هذه المداخل الثلاثة تؤدي إلى قاعة صلاة شـبه مربعـة, تبلغ مساحتها(14.70متر) طول على(14.90متر)عرض, وبهـا أربعـة أروقـة، وخمسة صفوف من الأعمدة ذات التيجان, والمستعملة بقلعة بني حمـاد بمـسجد قسنطينة العتيق. عقود المسجد من نوع العقود المنكسرة الشائعة الاسـتخدام فـي العمارة الإسلامية في الجزائر خصوصا. وهذا الطراز مـن التيجـان والأعمـدة مشهور الاستعمال بالمدينة. وللمسجد محراب واحد يتوسط قاعة الـصلاة، وهـو صغير الحجم، تعلوه قبة رباعية الشكل، تحمل في كل جهة نافذة لتضيء المسجد، بالإضافة إلى القبب الثلاثة الأخرى المتواجدة بجانب الصومعة، هذه الأخيرة بهـا زخارف جبسية على كل الجوانب مشكلة من صفوف من الكوات الواحـد فـوق

---

[1] عبد الرحمن (الجيلالي): تاريخ الجزائر العام، ج الثالث، ص 61.

[2] الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 156.

[3] الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخية: **استمارة تصنيف المباني والمنـاظر التاريخيـة والطبيعية (مادة مسجد سيدي محمد بن سعدون بن بابا محمد)**.

الثاني، وموقعها يتوسط الجهة الـشمالية لقاعـة الـصلاة، أمـا طولهـا فيبلـغ حوالي35مترا، وهـي ذات نـواة مركزيـة مملـوءة، يبلـغ عـرض الجانـب الواحد(3.66متر) من الجهة الخارجية، أما الجهة الداخلية فتبلغ(2.55متر). أمـا النواة فهي مربعة الشكل كذلك ب(1.17متر) على(1.17متر) [1].

أما المسجد التركي(ويعرف كذلك باسم المسجد الحنفي أو جامع القهوة) فقد بنـي سنة1750ميلادي، من طرف الأتراك، لأدائهم الصلاة حسب مذهبهم الحنفي[2].

للمسجد مدخل واحد يتوسط نافذتين. قاعـة الـصلاة مـستطيلة الـشكل، يبلـغ طولها(18متر) على (10.10متر) عرض أو بها أربعة أروقـة(شـمال جنـوب) تقسمها ثلاثة صفوف من الأعمدة ذات التيجان من الطراز الحمادي، وفـي كـل صف خمسة أعمدة، وبهذا المسجد عقود من طراز العقد المتكسر الشائع استعماله في العمارة الإسلامية بالجزائر على غرار مسجد التنس القديم, والمـسجد الكبيـر بتلمسان. أما فيما يخص القبة فقد انهارت خلال زلزال 1825، ثم بنيت قبة مربعة الشكل تعلـو المحراب مباشرة، وبها أربع نوافـذ ذات مقياس(3.10 متر) علـى (3.50 متر) وعلو (1.80 متر) ابتدءا مـن السطح. أما المحراب فهـو صـغير الحجم(2.30 متر) طول على (0.90 متر) عمق، وهو يتوسـط قاعـة الـصلاة معاكسا لباب المسجد.أما بالنسبة للزخرفة فهي منعدمة تماما إلا الزليج الموجـود فوق إطار الباب، وهو ذا لون اخضر و أبيض على شـكل خـط منكـسر. أمـا الصومعة فهي ثمانية الأضلاع، مثل صومعة جامعة السفير بالجزائر العاصـمة، عرض الضلع الواحد(1.10متر)، أما العرض الداخلي فيتراوح ما بين(0.80متر) إلى(1.10متر)، أما النواة المركزية المملوءة فلها أربعة أضلع، وبزواياها أربعـة أضلع أخـرى صـغيرة، وعـرض أضـلع الأولـى(1.10متـر).أمـا الثانيـة فعرضها(0.50متر)، وتوجد هذه الصومعة بالزاوية اليسرى للمسجد معاكسة لبيت الوضوء، وطولها حوالي 35متر. أما بيت الوضوء فتوجـد مقابـل المحـراب، الصحن الأول خاص بالمراحيض، ومنه ندخل إلى بيت الوضوء المربعة الـشكل،

---

[1] الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخية: المرجع السابق.

[2] الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخية: **استمارة تصنيف المباني والمنـاظر التاريخيـة والطبيعية (مادة المسجد الحنفي)**.

تتوسطها فوارة رخامية، ومنها يصعد إلى قاعة الصلاة المركزيـة عـن طريـق درج[1].

و قد تعرضت مساجد البليدة إلى عدة انهيارات سببتها الزلازل، خاصـة زلـزال 1825 الذي دمر ثلاثة أرباع المدينـة وقـد قـام حـسين باشـا آخـر دايـات الجزائر(1818-1830) بترميم مساجد المدينة، بإرسال يحي اغا لمساندة سـكانها المنكوبين من الكارثة، حيث توجد كتابة رخامية باللغة التركيـة القديمـة، تمجـد أعمال الداي حسين في إعادة ترميم المساجد بهذه المدينة، والتاريخ الموجود بهـا 1243هـ (الموافق لـ 1828م)[2].

كما تتوفر البليدة على عدة دكاكين ، وحمامات ، ومقاهي ، أهمها: المقهى الكبيـر قرب جامع الترك، كما توجد بها عدة أسواق منها سوق جنـة الـزرع و سـوق الجمعة عند الباب الشمالي الذي يؤدي إلى مدينة الجزائر، وسوق الخمـيس عنـد سفح جبل بني صالح، والذي يتردد عليه رجال القبائل الجبلية لبيـع منتوجـاتهم، وشراء حاجاتهم من أقمشة و أدوات مصنوعة[3].

كما بنيت القصبة في الجنوب الغربي للمدينة، وهي مكان حضري نظـم بطريقـة خاصة، حيث يضمن سيرورة الوظيفة السياسية و العسكرية التي أوكلت له، وكان يسكنها حوالي500 انكشاري[4].

كما أن المدينة كانت تتوفر على فندق خاص لاستقبال الأجانب عن المدينة يـسمى "فندق الزيت"[5]، و ساحات عمومية مثل ساحة التوت بوسط البليدة، التي حافظت على جمالها الطبيعي بفضل سياجها بأشجار التوت[6].

و قد أعطت لنا عدة وثائق وقفية، صورة جغرافية حية على أهم الأزقة و الأبواب و المساجد و الطرقات و الأسواق و الحمامات و المباني الأخرى بالبليدة كفنـدق الزيت، و دار البابليك، و دار سركاجي، نذكر منها ما يلي:

---

1 الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخية: المرجع السابق.

2 Guide de Blida, Chréa et leurs environ: op.cit: P 10.
3 colonel (trumelet): op.cit, T II, P 782 et suivante.
4 Joëlle (Deluz): op.cit, P 29.

5 **أ. و ج**: **س.ب** : علبة 7، وثيقة 107.
6 رابح (كنتور): المرجع السابق ، ص 02.

«تحبيس الحاج محمد بن الحاج علال جميع الدار الكاينة بزنقة البـاي، ملاصـقة لدار بن شنان مع ثلاثة حوانيت قرب فندق الزيت داخل البليدة»[1].

« تحبيس الحاج محمد بن علي الجزار جميع دار الكاينة بناحية باب الـسبت فـي الدرب المعروف بدرب حسن قارة بعلي باش بلوكباشي»[2].

« تحبيس الحاج وحيد لجميع داره بالبليدة في زنقة الباي مجاورة لدار البايلك»[3].

« تحبيس السيد العربي إمام جامع القهوة بمحروسة بلد البليدة لجميـع الحـانوت الكاينة داخل البليدة، المستخرجة من الدار المقابلة لزنقة دردور الفوقية، والمقابلـة للحانوت التي استخرجها الحاج محمد الغـروة مـن دار اليهـود تحـت الزنقـة المذكورة» [4].

« تحبيس عبد ا الأصبايحي ابن مولود جميع داره الكاينة داخل البليـدة بحومـة زنقة الباي القريبة من دار سركاجي »[5].

« تحبيس محمد البليدي ابن علي لجميع نصف الدار بالبليدة بحومة باب الرحبـة» [6].

« تحبيس المكرم محمد عرب بن نعمان البجاوي شيخ بلد البليدة جميع الدار الكاينة داخل بلد البليدة المعروفة بدار مليكة الحداد القريبة من سوق الجزارين على نفسه ينتفع بغلتها »[7].

أما عن منازل فحوص البليدة فقد كانت مبنية وسط الحدائق والحقول قريبـة مـن طرق ضيقة، وطرق أخرى مشقوقة في الأودية والتلال، ويفصل بينهمـا سـياج مرقعة للمارة بمجموعات من الأشجار المثمرة، مشكلة لوحة لطيفة ورائعة، حسنة للصحة ولذة الحياة العائلية[8]، ففي جميع عصور التاريخ نجد أن أولئـك الـذين كانوا يملكون أو يستأجرون أرضا خارج أسوار المدينـة، وحتـى إذا كـانوا لا

---

1 **أ. و ج**: **س.ب :** علبة 7، وثيقة 107.

2 **أ. و ج**: **س.ب :** علبة 7، وثيقة 108.

3 **أ. و ج**: **س.م.ش:** علبة 104- 105، وثيقة 195.

4 المصدر السابق: علبة 104-105, وثيقة بدون رقم.

5 نفس المصدر: علبة 104-105، وثيقة 173.

6 نفس المصدر: علبة 104-105، وثيقة 171.

7 **أ. و ج**: **س.م.ش** علبة 104-105، وثيقة 164.

8 NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P 298.

يزاولون فعلا عملا زراعيا، كان يعنيهم أن يكون لهم في الريف كـوخ صـغير، أو منزل بسيط، أو مأوى يتفيأ ظلال كرمة، مما يشيد للإقامة المؤقتة، إن لم يكـن للإقامة المستديمة[1]. فموقع البليدة الفاتن، عنـد أقـدام الأطلـس، وبعيـدا عـن مستنقعات سهل متيجة، جعل منها مكان الاستجمام المفضل من طـرف مـوظفين أغنياء، الذين يملكون منازل ريفية جميلة تسمى الأبراج، حيث يقضون فيها جزءا من السنة، بعيدا عن ضجيج المدينة وحرارة الصيف[2]. وعلى العموم فإن الوجود البشري في ضواحي البليدة كان يبدو قليلا، حيث يوجد في هذه الحقول القليل من المنازل المبنية بالحجارة، ولكـن الكثيـر مـن المنـازل المبنيـة بالأخـشاب، وتدعى(عشة)[3]، إذ نرى هنا وهناك منازل صغيرة لصاحب العمل، وأكواخ من الخيزران للمزارعين[4]. أما في داخل سهل متيجة فكانت تسود الخيـام العربيـة السوداء المصنوعة من جلد البقر[5].

كانت الحياة في البليـدة تسير بصورة طبيعيـة، وفجأة (حـسب شـهادة القـس بورزتL'abbe Burzet) في يوم من أواخر أيام شهر شـعبان 1241 الموافـق لـ1825، وعلى الساعة السابعة صباحا، هزات أرضية قويـة تـضرب البليـدة وضواحيها، ثم تكررت بعد يوم من ذلك على الساعة التاسعة صباحا، ودامت 18 يوما[6]، فتصدمت منها البليدة ومات فيها خلق كثير[7]، حيث أن ثلاثـة أربـاع مباني المدينة تهدمت، ونصف عدد السكان لقوا حتفهم[8].

وعندما بلغ خبر ذلك للأمير(الداي حسين)، أمر الآغا(يحي) بأن يخرج إليها فـي الحين، وعندما وصل البليدة وجدها خربة، فأمر الرعيـة بالبحـث عـن النـاس الموجودين تحت أنقاض البنايات، وجعل أخبية للأحياء، وأعطاهم ما يأكلون، ثـم

---

1 لويس (ممفورد): المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 894.

2 NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P76.

3 C.A (ROZET): T I: op.cit, P 200.

4 Claudine (CHAULLET): op.cit, P 20.

5 هاينريش (فون مالستان): المصدر السابق، ص 132.

6 NACEREDDINE (Saidouni): op.cit , P 268.

7 الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 155.

8 X (Yacono): **peut-on évaluer la population de l'Algerie vers 1830**,in R.A , T 98, ANNE 1954, P 321.

بنى لهم نوالات[1] لمستقرهم، ثم إن الآغا ظهر له أن يبني المدينة الجديدة بعيـدة عن المدينة المهدمة بنحو نصف ساعة، تحت بساتين البلدة القديمة، وحفر أسـاس البلدة، وأتى بالبنائين من جميع البلاد، وابتدأ ببناء سور، ثم حفروا أساس المـسجد وبدأ بناءه، وبسبب المطر المتهاطل أبطل البناء، وقال إننا في فصل الربيع سنعيد بناء ما تهدم، وبقي الأمر كذلك، ولم يـتم البنـاء[2] ، لجملـة مـن الأسـباب ، أهمها : عزل و سجن المسؤول المكلف بإعادة البناء و التعمير" الآغا يحي " مـن طرف الداي حسين ، و كذا رفض السكان البناء في المكان المقرر مـن طـرف السلطات ، إضافة إلى اهتمام حكام الايالة آنذاك بمحاولة صد التحرشات الفرنسية بالدولة الجزائرية .

ولم يتردد السكان الذين بقوا على قيد الحياة في إعادة بناء المدينة بترميم المنازل، وعلى العكس رجع آخرون إلى السكن حول المدبغة الواقعة قرب باب الزاويـة، مشكلين بذلك حي الزاوية[3].

أما مفتي البليدة "سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير"، فإنه ابتدأ بناء مسجد الجامع الكبير مع كونه فقيرا، فأعانه المسلمون بما استطاعوا عليه، وعندما سمع الأمير بفعلـه بعث له الأموال لإعانته، فأتم بناء المسجد[4]، وفيها يخـص المـساجد الأخـرى للمدينة فقد كان حسين باشا هو الذي أعاد ترميمها عام 1827[5].

وقد اسـترجعت المدينـة بعـضا مـن نـشاطها وحيويتهـا، غيـر أن الغـزو الفرنسي لها[6] بدد كل شيء، حيث تعرفنا من خلال المؤرخين على آثار الغزو

---

[1] نوالات: جمع نوالة، ومعناها كوخ.

[2] الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 155، 156.

[3] colonel (trumelet): op.cit, T II, P 789.

[4] الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 156.

[5] Guide de Blida, Chréa et leurs environ: op.cit: P 10.

[6] دخلت قوات الاحتلال الفرنسي البليدة لأول مرة يوم 25 جويلية 1830 بقيادة القائد العام " دوبرمون" "De Bourmont" ثم أعادت الكرة في 19 نوفمبر 1830بقيـادة الماريـشال كلوزيـل، ثـم احتلهـا الجنـرال روفيقو(ROVIGO) في 20 نوفمبر 1834، و لم يستقر الوجود الاستعماري في المدينة سوى في 03 مـاي 1838، بقيادة الماريشال فالي(VALEE)، و ذلك بمقتضى اتفاقية التافنة (20 ماي 1837) بين الأمير عبـد القادر و الجنرال الفرنسي بيجو.

انظر: أبو القاسم (سعد ا): محاضرات... ، ص 86.

شارل هنري (تشرشل): **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة و تعليق أبو القاسـم سـعد ا ، ط الثانيـة،

والتدمير على واقع المدينة، حيث" لا يوجد في الطرقات، لا توجد مقاهي، ثلاثـة أرباع الديار والمنازل مدمرة، وقد عوضت بمنازل أوروبية، ثكنات كبيرة، وطرق كما عوضت الحياة العربية بحياة المراكز العسكرية"[(1)].

كما أن الطريق الأكثر تجارية لمدينة البليدة العثمانية أصبحت عام 1841، عبارة عن مهد طويل من الكروم، يتم تحتها التدخين، والمتاجرة من طرف مجموعة من الأشخاص، يظهر أنهم لا يملكون شيئا آخر يفعلونه في هذا العالم سوى التجـوال، وشرب القهوة، وتضييع الوقت"[(2)].

مما تقدم يمكن القول :

1- اتسعت رقعة البليدة منذ الأيام الأولى للتأسيس، من الجنـوب الغربـي إلـى الشمال الشرقي ، اتساعا كبيرا و سريعا . و قد اثر ميل موقـع المدينـة ووادي سيدي الكبير على الشكل العام لها، حيث انحصرت داخل السور، مما جعلها تتخذ شكل القفاز أو المروحة.

2- تميزت مباني المدينة بالجمال و التناسق ، حيث كانت في مجملها ذات نمـط أندلسي أصيل ، كما تطورت المباني بزوال الأكواخ التي حلـت محلهـا الـدور الجميلة . كما عرفت البليدة وجود هياكل عمرانية أخرى كالمساجد، و الدكاكين ، و المقاهي، و الحمامات ، و فندقا لاستقبال الغرباء عن المدينة ، مما يبرز أنهـا كانت مزارا ، و محطة إقامة رئيسية للمسافرين .

3- بالرغم من تعرض البليدة والى زلزال مدمر عـام 1241هـ ـ/ 1225م ، إلا أنها استطاعت أن تسترجع الكثير من حيويتها العمرانية ، إلا أن الغزو المتكـرر للمدينة من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية بدد و حطم كل نمـو و انتعـاش، حيث ما إن حل عام 1841 م ، حتـى دمـرت المنـازل و المبـاني العربيـة ، و عوضت بمنازل و مباني بأخرى أوروبية .

ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1982، ص 50، ص 117.

Voir aussi: Franc (jules): op.cit, P 55, P59.

[1] Joëlle (Deluz): op.cit, P 25.

[2] Louis (Veuillot): **les Français en Algérie, souvenirs d'un voyage fait en 1841**, mame, France, 1845, P 234.

خلاصة الفصل الثاني:

1- ساهمت عوامل كثيرة في اعتبار البليدة آنذاك منطقة فلاحية ، لعل أبرزها :
أ- خصوبة أراضيها ، و اعتدال مناخها .
ب- وفرة المياه بفضل تواجد الأودية ، و الينابيع المائية ، التي يعتبر وادي سيدي الكبير أهمها .
ج- ميل أرضية المنطقة ساعد على وجود تقنية السقي بالسواقي ، التي جاء بها الأندلسيون .
د- اعتناء الحكام و السكان على السواء بالنشاط الزراعي ، لما فيه من دخل و فائدة .

2- العوامل السابقة الذكر ، جعلت من البليدة – مدينة / واحة - ، و جزيرة خضراء منبعثة من سهل متيجة ، حيث كانت فحوص المدينة مشكلة من بحاير – حقول خضار- ، و جنات – بساتين فواكه – ، و أحواش – مجموعة ضياع أو أراضي زراعية- كثيرة ، كانت تنتج محاصيل متنوعة ، و ذات جودة عالية .

3- انتشر بالمناطق المحيطة بالمدينة - خاصة الجبلية منها – ، نشاط تربية المواشي و حرفة الرعي ، و هذا راجع إلى انتشار المستنقعات الرطبة المليئة بالأعشاب طوال السنة ، في الأطراف الشمالية لسهل متيجة . و قد كان الانتاج يهدف إلى تغطية الاستهلاك الذاتي للسكان و البايليك من اللحوم ، و الحليب ، و الزبدة .

4- اتجهت الصناعة المحلية البسيطة في فحوص البليدة إلى تلبية الحاجات الضرورية للعيش ، بينما الصناعة التقليدية في المدينة حافظت على طابعها الوراثي ، واعتمدت في إنتاجها على الأشياء الكمالية والترفيهية ، التي تجد رواجا لدى السكان ، مثل المناديل والعطور والأحزمة والحلي والجواهر .

5- خضعت صناعات المدينة إلى مراقبة وتحكم من طرف النقابات المهنية ، التي اكتسبت شكل مجموعات اقتصادية بعيدة عن أي صبغة دينية

أو سياسية ، بحيث انحصرت صلاحيات أمناء هذه النقابات في الإشـراف علـى أصول المهنة ، والحرص على جودة البضاعة ، وتحديد كميتها ، كل هذا كان يتم تحت مراقبة أمين الأمناء " شيخ البلد"(أوحاكم المدينة) .

6- انتشرت في مدينة البليدة و فحوصها عدة صناعات ، كان الفضل في تطويرها و إيجاد بعضها النازحون من الأندلس ، الـذين امتـازت صـناعاتهم بـالجودة و الإتقان ، ومنهم انتقلت الكثير من الصنائع و الحرف إلى سكان المنطقة ، ممـا أكسبهم حرفا ، وفرت لهم مهنا مستقرة ، و دخلا كريما .

7- نشطت حركة التجارة في مدينة البليدة بفضل تظافر عدة أسباب و عوامـل ، يمكن إيجازها فيما يلي :

- موقع المدينة عند الطرف الشمالي لسهل متيجة الخصيب ، جعل منها مركـزا لإنتاج هام ورئيسي و متنوع للمحاصيل الزراعية .

- موقع المدينة عند أقدام الأطلس التلى جعل منها حلقة وصل بين منتجات سكان المدينة من الحضر، و سكان السهل من الريفيين، و سكان الأطلس من الجبليين، فكانت أسواق ودكاكين المدينة الفضاء الرحب و الواسع لتبـادل هـذه المنتجـات المتنوعة.

- تعتبر أراضى البليدة منطقة عبور و حلقة وصل بين منتجات إقليم دار السلطان في الشمال، و منتجات بايليك التيطرى في الجنوب.

هذا الموقع المتوسط جعل من البليدة مركزا لتجمع، و من ثمة لتبـادل المنتجـات المتنوعة و المختلفة، من زراعية ، إلى صناعية ، إلـى حرفيـة ،هـذا التبـادل التجاري بين الفئات الاجتماعية و الأقاليم المختلفة ، خلـق نـوع مـن التكامـل الاقتصادي ، وعزز التجانس الاجتماعي ، و أدى إلى وجود نـوع مـن الرضـا و الرخاء و الرفاهية لدى سكان المدينة ، و سكان المناطق المجاورة علـى حـد سواء .

8- ساهمت الأسواق الكثيرة، في ربط الريف بالمدينة، و إخضاع القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب ، أثناء ترددها على الأسواق لقضاء حاجاتها ، مما جعل هذه القبائل تعلن الخضوع و الولاء للبايليك ، لأن قوتها، و بقاءها، متعلقان برضاه عنها .

9- تكمن أهمية موقع البليدة في تحكمه في سهل متيجة ، وفي مراقبته لوطن بني خليل ، وفي اتصاله المباشر بمناطق التيطري جنوبا ، وسهول الشلف غربا ، عن طريق الأودية الجبلية المتمثلة في مضايق الشفة ، ووادي جر ، فأصبحت مدينـة البليدة في العهد العثماني قاعدة عسكرية رئيسية ، ومركزا عمرانيـا مهمـا فـي مقاطعة دار السلطان ، رغم قربها واتصالها المباشر بمدينـة الجزائـر عاصـمة البلاد ، وبقيت على مكانتها إلى بداية الفترة الاستعمارية .

10- اتسعت رقعة البليدة منذ الأيام الأولى للتأسيس ، من الجنوب الغربـي إلـى الشمال الشرقي ، اتساعا كبيرا و سريعا ، و قد اثر ميل موقـع المدينـة ووادي سيدي الكبير على الشكل العام لها ، حيث انحصرت داخل السور ، ممـا جعلهـا تتخذ شكل القفاز ، أو المروحة.

2- تميزت مباني المدينة بالجمال و التناسق ، حيث كانت في مجملها ذات نمـط أندلسي أصيل . كما تطورت المباني بزوال الأكواخ ، التي حلت محلهـا الـدور الجميلة ، كما عرفت البليدة وجود هياكل عمرانية أخرى كالمساجد ، و الدكاكين ، و المقاهي ، و الحمامات ، و فندقا لاستقبال الغرباء عن المدينة ، مما يبرز أنهـا كانت مزارا ، و محطة إقامة رئيسية للمسافرين .

11- بالرغم من تعرض البليدة إلى زلزال مدمر عام 1241هـ ـ/ 1225م ، إلا أنها استطاعت أن تسترجع الكثير من حيويتها العمرانية ، إلا أن الغزو المتكـرر للمدينة من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية ، بدد و حطم كل نمو و انتعـاش، حيث ما إن حل عام 1841 م ، حتى دمرت المنازل و المباني العربيـة ، التـي عوضت بأخرى أوروبية .

- وبفضل عوامل كثيرة، لعل أبرزها الموقع الممتاز، و الرخاء و الازدهار الاقتصادي ، أصبحت مدينة البليدة مكانا مفضلا ، و منطقة جذب للسكان ، مما أدى إلى الزيادة الكبيرة و السريعة في أعدادهم ، حتى غدت واحدة من بين أكبر عشر مدن جزائرية من حيث التعداد السكاني ، و بخصوص هذه المسألة، و مسائل أخرى اجتماعية و ثقافية ، جاء الفصل الثالث و الأخير من هذه المذكرة.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية و الثقافية:

المبحث الأول: الفئات الاجتماعية.

المبحث الثاني: التضامن الاجتماعي.

المبحث الثالث: الحياة الثقافية.

خلاصة الفصل الثالث.

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية :

إن موقع البليدة الممتاز، ووفرة المياه فيها، وخصوبة أراضيها، واعتدال مناخها، وتبعيتها للحكومة المركزية التي تحميها من تعنت الباي وأعوانه ، كانـت كلهـا عوامل جعلت الناس بمختلف فئاتهم يتدفقون عليها من المناطق المجاورة ، منـذ الأيام الأولى للتأسيس ، والى غضون السنوات الأخيرة مـن العهـد العثمـاني ، وبذالك زاد عدد سكانها زيادة كبيرة وسريعة[1] ، رغم الكـوارث التـي كانـت تتعرض لها بين فترة و أخرى .

المبحث الأول:الفئات الاجتماعية:

اتصف الوضع الاجتماعي بمدينة البليدة ، بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم ، وأسلوب حياتهم ، واختلاف مصادر رزقهم ، وطبيعة علاقاتهم بالحكام . وحسب "حمدان خوجة" فان سكان البليدة يشبهون بعض الشيء سكان متيجة ، إلا أنهم أكثر منهم حضارة[2] ، فقد تألفوا من أصول مختلفة ، وهم يتركبون من الأندلسيين ، و الأتراك ، و الكراغلة ، و العرب ، و الميزابيون ، و اليهود ، وبعض الأفراد من القبائل المجاورة للمدينة[3] ، مما سهل عملية تصنيفهم إلى خمسة مجموعات ، حيث وجد أنه مماثلا إلى حد ما للتركيب الاجتماعي في مدينة الجزائر – حاضرة البلاد - ، وهذه الفئات أو المجموعات السكانية تتمثل فيما يلي:

(1) **فئة الحضر:** أو "البلدية " ، تشكل غالبية سكان مدينة البليدة ، تتـألف من الأندلسيين ، و العرب ، وبعض الأفراد من القبـائل المجـاورة للمـدينة[4]، الراغبـين في التمـدن من أفـراد قبيـلـتي

---

[1] وليام (شالر) : المصدر السابق ،ص 36.
[2] المصدر السابق ، ص 91.

[3] colonel (trumelet) : op cit ، T II ، P 904.
[4] I bid p 904.

بني صالح [1] ، وبني خليل[2] البربرية ، وكذا بعض أفراد قبيلة الثعالبة العربية، التي استوطنت إقليم متيجة [3]، في عصور تاريخية سابقة.

ويرجع أعمار البليدة منذ تأسيسها ، إلى أفراد فرقة أولاد سلطان ، وهي فرع من فروع قبيلة بني خليل[4]، إضافة إلى العناصر الأندلسية التي اقطعها خير الـدين بربروسة عام 942هـ/1535 م أراضي بتلك الجهة ، فاستقرت بها تحت زعامة أحد الأندلسيين من ذوي الصلاح والتقوى ، وهو سيدي احمد الكبير، الذي ارتبط بالمصاهرة مع قبيلة أولاد سلطان المقيمة بالقرب منها . فأصبحت البليـدة مقـرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية الموريسكية المهاجرة في مطلع القـرن الـسابع عشر ، وهذا ما جعل أغلب سكانها من الأندلسيين ، والموريسكيين . وحتى بعـد التحاق جماعات أخرى بها أغلبها من الأتراك ، و الكراغلة ، وبعض الأفراد من قبائل متيجة ، والأطلس البليدي، إلا أن الأندلسيين ظلوا يشكلون نسبة كبيرة مـن سكانها ، فهم لا يقلون عن نصف السكان[5].

---

[1] حسب تروملي فان قبيلة بني صالح فرع من فروع قبيلة زناته البربرية الكبيرة ، وان جد هذه القبيلة يدعى سعد، وكان له ولدان احدهما كان يحمل اسم أبيه ،والآخر كان يسمى صالح وفي العهد العثماني تجزأت القبيلة إلى مجموعة فرق .**انظر** : op cit , T II P77 P 114.

[2] يرجع ابن خلدون أصل بني خليل إلى قبيلة صنهاجة البربرية ؛إذ يقول عنها : " كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت ، وكانت مواطنهم بالمسيلة، إلى حمزة ،إلى الجزائر، و المدية، ومليانة ،من مواطن بني يزيد، وحصين، والعطاف من زغبة ،ومواطن الثعالبة لهذا العهد . وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة ، أعقابهم هنالك من متنان وانوغة ، وبنو عثمان ، وبنو مزغنة ،وبنو جعد ، وملكانة ، وبطوية ، وبنو يفرن ، وبنو خليل ، وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها".

انظر : المصدر السابق ، م السادس ، ص 309، ص 316 .

[3] عبد الرحمن (ابن خلدون):المصدر السابق ، م السابع ،ص325، وقد قال بخصوص هذا الأمر: "...وفي خلال استغلاظ بني محمد بن علي بني عبد الواد ، استوثق لمحمد هذا ملكه ، فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال المدية ،واخرج الثعالبة من جبل تيطري بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم ، فانزاحوا عنها إلى بسائط متيجة و أوطنوها ".

وانظر أيضا : عمر خالد (كحالة) : **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، ط الثانية ، دار العلم للملايين، بيروت 1968،ج 1 ،ص 142.

[4] colonel (trumelet):op.Cit, T II p746.

[5] ناصر الدين (سعيدوني): الاندلسيون (الموريسكيون) ...، ص 107.

ويعرف الأندلسيين الذين عمروا مدينة البليدة بالمدجنين، نسبة إلى الموطن الـذي هاجروا منه بالأندلس[1]. هذا وقد استطاع الأندلسيون، نـشر اللـسان العربـي الدارج، في المناطق الجبلية القريبة من البليدة ، حيث أصبح غالب السكان يستعمل بجانب اللهجة البربرية المحلية ، العربية الدارجة ، كما هو الحال في مناطق بني صالح[2].

هذا وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، و بوضعهم الاجتمـاعي المميز ، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ، و يشتغل أفرادها في المهن الصناعية "الأعمال التجارية " ، ويتولون وظائف السلك القضائي، والتعليم . كمـا اهتموا بتنمية ثرواتهم ، واستغلال أملاكهم ، واستثمار مزارعهم الواقعة بـالقرب من المدينة، هذا ما جعلهم يؤلفون " برجوازية المدن الصغيرة " ، التـي عرفـت بخضوعها للبايلك ، وقلة اهتمامها بأمور السياسة ، وشؤون الحكم ، حيث ظهـر في هذه الطبقة التجار، والصناع ، وأصحاب الحـرف ، ومـلاك الأراضـي ، والفقهاء، والعلماء ، والقضاة ، والمدرسين ، و غيرهم [3].

(2) الأقلية التركية : تتشكل من بعـض مـوظفي الجهـاز الإداري والـشرعي بالمدينة ، كالحاكم ، والمفتي الحنفي ، ومن متقاعدي الجيش الانكـشاري الـذين سكنوا المدينة لقضاء سنوات الراحة[4] ، حيث أن الأتراك يبـدؤون جنـودا ، فيعرضون أنفسهم إلى جميع المخاطر، قصد الحـصول علـى الثـروة ، وعلـى المسؤوليات ، وعندما يتقدمون في السن يجنحون للراحة ، ويتقاضون تعويـضات تتناسب مع خدماتهم [5] ، وكذا من بعض أفراد طائفة رياس البحـر ، وبعـض موظفي ديوان الداي ، حيث أن البليدة أصبحت مقرا متميزا لإقامة هؤلاء ، الذين امتلكوا أفضل المنازل داخل المدينة، وخارجها، المشيدة بـين بـساتين البرتقـال المسيجة، تسمى "الأبراج"، لقضاء جزء من السنة بعيدا عـن ضـجيج المدينـة ،

---

[1] ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق ، ص 106.

[2] نفسه ، ص 115.

[3] ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي و الاجتماعي ...، ص 97.

[4] ناصر الدين (سعيدوني): دراسات و أبحاث ... ، ص 140.

[5] حمدان بن عثمان (خوجة) : المصدر السابق ، ص132.

وحرارة الصيف[1] . كما تتشكل الأقلية التركية من جنود " الانكشاريـــــة " ، الذين وزعتهم الحكومة المركزية على حامية المدينة ،و التي كانت مبنية بقـصبة البليدة ، في الجنوب الغربي ، داخل حدود السور[2] ، فبمجرد ما تعلن مقاطعة عن خضوعها للقوانين ، كانت الحكومة التركية ترسل حامية تقي سكانها من كـل هجوم ، ويقود الحامية ضابط برتبة بولكباشي ، يـساعده أوضاباشـي ، وبـاش يولداش ، وتغير الحامية كل سنة[3] .

كما كانت البليدة المكان الملائم لنفي المغضوب عليهم من طرف حكام الجزائـر، ومنهم موظفون سامون في الإدارة التركية في الجزائر، وفي مقدمتهم باي وهران عثمان بن محمد[4] الملقب بـ: الملقش [5] ، وآغا العرب يحـي [6]، والحـاج أحمد قبل توليه بايليكية الشرق [7].

---

[1] colonel (trumelet):op.Cit, T II p746.

[2] Joëlle (Deluz): op.cit, P 25.

[3] حمدان بن عثمان (خوجة) : المصدر السابق ، ص131.

[4] هو الباي عثمان بن محمد بن عثمان الكبير ، تولى حكم بايليك الغرب عام 1799م ، كان يميل الى حياة اللهو و المجون ، فأهمل شؤون الحكم و الادارة ، و لما وصلت أخباره الى الباشا بالجزائر عزله ، و أخذه مقيدا بالأغلال صحبة عائلته الى مدينة البليدة سنة 1802م ، بقي فيها عامين ، ثم عينه الباشا على بايليك الشرق ، حيث واجه ثورة ابن الأحرش الدرقاوي ، ليقتل على يده في شمال قسنطينة عام 1804م .أنظر:
بن عودة (المزاري) :المصدر السابق ، ج 1 ،ص 299، **<u>وأنظر أيضا</u>**:
الحاج احمد الشريف (الزهار) :المصدر السابق ،ص87.

[5] ويتحدث المزاري عن سبب عزله في الصفحة 299 بقوله : " ...وذلك أنه بعث مع بعض التجار لتونس ليشتري له بعض الجواري المغنيات ،ذات الجمال والغناء الفائقات فأتاه بجاريتين مغنيتين ، بارعتي الغناء والجمال متصدرتين فيه لإنالة المنى تذهبان عن القلب ما به من النصب والعناء فتسلى بهما ليالي وأياما ولغيرهما تحاشى ،إلى أن بلغ خبره الجزائر إلى الباشا فغضب منه غضبا شديدا ،ونهب ماله وسمر داره ،وكبله قيدا حديديا ونقله إلى البليدة على غير الحالة المرضية ،فنزلها بأهله وولده وحشمه نزلته الكلية ".

[6] الحاج احمد الشريف (الزهار) :المصدر السابق ،ص163.
و يخبرنا هذا المصدر عن سبب عزله فيقول :" فقال الخزناجي للباشا أن الآغا لا يعطي المؤونة للعسكر إلا البشماط القديم والبرغل الذي نصفه تراب ،السمن الحار فلا يقدر العسكر على أكله فأرسلوا قائد أمن قوات الأغا ،هو مريض فأتاهم بشيء من البشماط والبرغل فلما رأى الباشا ذلك اشتد غضبه عليه وعزله ونفاه إلى البليدة فسكنها ثم إنهم بعد نفيهم إليها بعثوا في أثره ، وخنقوه في بحيرته ".

[7] صالح (فركوس) :**<u>الحاج احمد باي قسنطينة (1826-1850م)</u>**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1993، ص 18. **<u>وانظر أيضا</u>** : الحاج احمد الشريف (الزهار) :المصدر السابق ، ص160.

وقد ظلت الطائفة التركية بالمدينة قليلة العدد، نظرا إلى حالة العزوبة التـي كـان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي العامل ، وعدم تبنـي أبنـائهم "الكراغلـة " ، واعتبارهم عنصرا هجينا لا يرتقي إلى مستوى الأصـول التركيـة الخالـصة ، وتفضيل بعضهم عمليات الإجهاض حتى لا تربطهم صلات المصاهرة ، أو روابط القربة بالأسر المحلية ، فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى أمراض وأوبئة[1].

هذا وقد اكتفى اغلب أتراك البليدة بالعمل فـي الجـيش ، وممارسـة الوظـائف الإدارية، أو الاشتغال في دكاكين الأقمـشة ، والحلـي ، والمـواد الكماليـة ، أو استغلال أملاكهم بالمدينة ، وبساتينهم في الفحوص[2].

ونظرا لقلة أعداد أفراد الطائفة ، وانعزالها عن باقي السكان ، فإنهـا لـم تخـل بالتركيب الاثنوغرافي ، ولم تؤثر في البيئة الاجتماعية لسكان المدينـة، ولا فـي طريقة الحياة، وأسلوب المعيشة [3].

وقد انتمى أفراد هذه الأقلية إلى المذهب الحنفي، وتزايد أعدادها في المدينة دفعها إلى بناء مسجد جامع للصلاة سنة 1750م، يدعى المسجد الحنفـي (أو المـسجد التركي).

(3) جماعة الكراغلة :

تكونت هذه الجماعـة نتيجـة تـزاوج أفـراد الجـيش التركـي "الانكـشارية " بنساء البلاد. وقد كان الكراغلة في مدينة البليدة يشكلون غالبيـة أفـراد حاميـة المدينة، والبعض الآخر يقطن داخل المدينة ، أو في بساتينها بالفحوص [4] .

وليس لأبناء الأتراك الحق فيشغل المناصب السامية في الدولة ، ومع ذلك يصلون أحيانا إلى مراكز معتبرة ، إما عن طريق نفوذ أبائهم ، أو عن طريق أموالهم[5] ، حيث يستطيع الكراغلة أن يتولـوا منـصب " قائـد" فـي الإدارة ، أو منـصب " الخوجة "، أو الإمام في المساجد بشرط أن يكونوا قد حفظوا القـرآن وتعلمـوا العربية ، والتركية كما ينبغي ، وهناك منهم من ينتسب فـي أيـام شـبابه إلـى

---

[1] ناصر الدين (سعيدوني):الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص93.

[2] نفسه ، ص 94.

[3] نفسه ، ص 94.

[4] colonel (trumelet):op.Cit, T II P 905.

[5] وليام (شالر) : المصدر السابق ،ص 52.

"الانكشارية " ، ويشتغل بعضهم في الأعمال التجارية الـصغيرة [1] ، وبعـضهم الآخر بالمهن ، واستثمار الملكيات الزراعية بفحوص المدينة[2] .

وقد ساعد الكراغلة على أن يحتلوا المرتبة الثانية في الـسلم الاجتمـاعي ، لصلتهم بالأتراك ، وعلاقتهم الخاصة بالأهالي ، فأصبحوا يشكلون طبقة وسـطى ميسورة الحال ، إذ من النادر العثور على فقير بينهم [3].

وقد كان عدد الأقلية التركية وجماعة الكراغلة ضئيلا عام 1830م ، حيث قـدر بحوالي 490 عنصر ، في كل من مدينتي البليدة والقليعة [4] .

(4) الميزابيون :الذين هاجروا من مواطنهم إلى مدينة البليدة للإقامـة والعمـل ، وكان أفراد هذه الفئة يعيشون من دخل مهنهم ، حيث امتلكـوا بعـض الـدكاكين الصغيرة داخل المدينة [5] ، كما أنهم احتكروا أعمال المشرفين علـى الحمـام ، وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين [6] .

(5)الطائفة اليهودية : تشكل أحد العناصر البشرية بالمدينة ، وهي تعـود فـي أصولها الى اليهود المحليين الذين استقروا في الفترة السابقة بالإسلام ، أو الـذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد ، بالإضافة الى يهود الأنـدلس " الـسافرديم " الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى [7]، وأقـاموا فـي المدن الجزائرية، ومنها البليدة ، بعدما وجدوا فيها حكومة قائمة على أساس العدل والإنصاف [8] ، حيث استقبلهم العثمانيون بحماسة وحفاوة ، ولا سيما أنهم كـانوا يرافقون المسلمين المهاجرين [9] .

وقد كان يهود البليدة يشتغلون بالأعمال الماليـة والتجاريـة ، مثلمـا يـشتغل

---

1 سيمون (بفايفر): المصدر السابق ص 95.

2 ناصر الدين (سعيدوني):المرجع السابق...، ص93.

3 سيمون (بفايفر): المصدر السابق ،ص184.

4 Nacereddine (Saidouni) : OP .Cit., p391

5 colonel (trumelet):op.Cit, T II P 905.

6 وليم (سبنسر) : المرجع السابق ، ص 83 ص 84.

7 ناصر الدين (سعيدوني):الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص102

8 حمدان بن عثمان (خوجة) :المصدر السابق ، ص87.

9 عبد الجليل (التميمي) :الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين... ،ص84

بنو جلدتهم في كل بقاع الدنيا[1] ، حيث امتلكوا مجموعة من المحلات التجارية ، لبيع مختلف المواد كالأقمشة والحلي [2]. وقد ضبطت الحكومة العثمانية غرامـة عليهم ، لحماية أشخاصهم ، وضمان معتقداتهم ، وهي غرامة تتناسب مع ثرواتهم، وتتماشى مع قانون البلاد [3]، إذ التزموا بدفع ضريبة الرأس " الجزية "، التـي يتولى مقدمهم في المدينة تقديمها ، نيابة عن أفراد جماعته إلى شيخ البلد [4] .

كما كان على يهود البليدة ' ألا يحدثوا ديرا ولا بيعة ، ولا صومعة ، وان يوقروا المسلمين ، ولا يتشبهوا بهم في شيء مـن ملابـسهم ، ولا فـرق شـعورهم ، ولا يركبوا السروج ، ولا يتقلدوا شيئا من السلاح ، ولا يحملوه معهـم ، وأن لا يسكنوا المسلمين بينهم [5]. كما كان عليهم أن يرتدوا الألبسة السوداء ، وذلك كي يتميزوا بها عن غيرهم [6] . و قد كان لهم حي خاص داخل سور المدينة يدعى زنقة ، أو حارة ، أو زقاق اليهود [7] .

أما عن عددهم ، فلم تمكني المصادر و المراجع التي اطلعت عليها، من تحديـد ذلك.

مما سبق يمكن القول :

1- اتصف الوضع الاجتماعي بمدينة البليدة ، بتمايز الـسكان حـسب نمـط معيشتهم ، و أسلوب حياتهم ، و اختلاف مـصادر رزقهـم ، و طبيعـة علاقتهم بالحكام .

2- تتألف سكان البليدة من أصول مختلفة ، و هم يتألفون مـن خمـس فئـات

---

[1] احمد توفيق (المدني) :كتاب الجزائر ،ص 148

[2] colonel (trumelet): op.Cit, T II p905.

[3] حمدان بن عثمان (خوجة) :المصدر السابق ، ص109

[4] ناصر الدين (سعيدوني):المرجع السابق...، ص103

[5] محمد بن عبد الكريم (المغيلي التلمساني) :**<u>مصباح الأرواح في أصول الفلاح حول يهود توات</u>** ،تقديم وتحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968، ص 53 ص 60.

[6] colonel (trumelet):op.Cit, T II P 905.

و **<u>أنظر أيضا</u>** : سيمون (بفايفر) : المصدر السابق ، ص181،ص182.

[7] الارشيف الوطني الجزائري : سجلات المحاكم الشرعية ،علبة 104 -105 ،وثيقة بدون رقم .

<u>وانظر أيضا:</u>

colonel (trumelet):op.Cit, T II P906.

اجتماعية ، و هي : الحضر ، و الأقلية التركيـة ، وجماعـة الكراغلـة ، و الميزابيون ، و الطائفة اليهودية . و قد تميزت كل فئـة عـن الأخـرى بخصائص و ميزات .

3- سكن البليدة منذ نشأتها العنصر الأندلسي ، و مع تطور المدينة و استقرار المتقاعدين من الجند الانكشاري بها ظهرت جماعة المولدين - الكراغلة - ، كما قصدها جمع من اليهود و البرانية ، أغلبهم من التجار، و الميزابيين ، و رجال القبائل الجبلية المجاورة للمدينة، و بعضا من أفراد أهالي سهل متيجة ، هذا الأمر جعل البليدة تفقد طابعها الأندلسي بالتدريج ، و تصبح مدينة منفتحة ، تتميز بتنوع أصول سكانها .

المبحث الثاني:التضامن الاجتماعي:

في منتصف القرن السادس عشر كان يقطن البليدة حوالي 500ساكن ، وفي نهاية القرن الثامن عشر كان يقطنها حوالي 3000شخص[1] ، أما في أواخـر الفتـرة العثمانية (1816-1825) فقد قدر عددهم مـابين 7000نـسمة [2] ، و 10آلاف نسمة[3] . أما عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 فقـد كـان سـكانها يعدون مابين ستة آلاف وسبعة آلاف نسمة [4] ، بل قدرهم البعض بـ ـ 10آلاف نسمة[5] .

وقد تعرضت مدينة البليدة والمناطق المجاورة لها الى عدة كوارث طبيعيـة أثرت في عدد السكان فيها ، فقد شهدت المدينة طاعونا عام 1556 ميلادي والذي دام أربع سنوات ، فقتل ثلاثة باشاوات في العاصمة، إلـى الـذي حـدث عـام 1561ميلادي والذي طال فتكه بالناس ، تلاه آخر عام 1572م والذي دام ثـلاث سنوات ، ثم طاعون آخر عام 1620م والذي سمي "بالطاعون الكبير "، وآخر دام من 1698م إلى 1700م وقد مات به 24 ألف بالعاصمة ، والبليـدة ، ودواخـل متيجة، و45ألف على مستوى الايالة. بعده وفي 1747م جاء طاعون آخر ليخرب العاصمة و البليدة لمدة عامين ، ثم طاعونا 1724م و1749م ، وآخر عام 1787م قتل فيه 17 ألف بالعاصمة، وامتد إلى سـهول البليـدة ، وطاعونـا 1792م ، و 1815 م ، وأخيرا ذلك الذي دام من 1817م إلى 1823م الذي أخلى العاصـمة والبليدة من السكان ، حيث تذكر بعض المصادر أن عدد الموتى قد بلغ 70شخصا يوميا[6] .

---

[1] Franc (jules) : OP.cit, p57.

[2] x (Yacono) :op.cit,p321.

[3] William (Shaler) : **Esquisse de l’ETAT d’Alger**, présentation de Claude Bontems,.Edition Bouchene ,Saint Denis,France 2001,p34.

[4] colonel (Trumlet):op.Cit, T II p787.

[5] ناصر الدين (سعيدوني):الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص92

[6] C.A (Rozet) :OP;CIT p 304,p306 . **voir aussi** :
colonel (Trumlet):op.Cit, T II p785,p788.

وفي هذا الشأن يقول حمدان خواجة:" لقد حضرت في مدة حياتي وهي تنيف عن الستين ، وقوع الوباء بالجزائر متفرقة على سنين ، وكان مجموع مدة تلك المحنة 20سنة فشوهت خلقة الجزائر ، بعد أن كانت عذراء مستحسنة ، فـأقفرت معـالم البلاد وتشوشت أحوال العباد واضمحل العلم وذووا لاسـتعداد ، وانقـرض مـن العساكر ما كان عدة في العمران والفلوات ، ففشى فيها يومئذ الفساد واكتهـل ، واتسع الخرق ولم يبق للراقع محل ، فيالها مـن رزيـة تقـشعر لهـا الجلـود الحساسة ، ويالها من خسارة ، ومبدأها إيراد ممرض على مصح " [1].

معظم هذه الطواعين كانت متبوعة بغز و للجراد ، لا سيمـا التـي حـدثت أعـــــوام : 1556 ، 1572، 1698 ، 1724 ، 1749 ، 1787 ، 1815 ، 1817 [2] .

كما تعرضت المدينة إلى هزات أرضية عديدة ، غير أن أكثرها افجاعا تلك التـي حدثت خلال أعوام : 1601 ، 1716 م ، حيث دامت الهزات في هذه السنة من 3 فيفري إلى نهاية جوان بصفة متقطعة ، وتلا ذلك هزات أرضية فـي سـنوات 1760 ، 1770 ، 1802م ، على أن أعنفها وأشدها هدما وفتكـا كـان زلـزال 1825م ، والذي كان متبوعا بانفجار وباء التيفوس ، فخلال (22) يوما التي دامها في المدينة ، كانت البليدة قد فقدت نصف سكانها [3] .

و قـــد امتـــ ـازت العـــ ـلاقة بـــين المجموعـــات الـــسكانيـة المشكلة للمجـتمع البلـيدي ، بـروح التسـامح ، والتـآزر ، والتـعاون ، في اطـار ما حدده الـشرع الإسـلامي الحنيـف ، والقـوانين العثمـانية ،

وانظر أيضا: الحاج احمد الشريف (الزهار): المصدر السابق ،ص51،ص139،ص151

وكذا: حمدان (خواجه):**إتحاف المنصفين والأدباء في لاحتراس عن الوباء** ، تقديم وتحقيق :محمد بن عبد الكريم ،ش.و.ن.ت ، الجزائر 1968،ص45.

[1] المصدر السابق ، ص46، ص47.

[2] الحاج أحمد الشريف (الزهار):المصدر السابق ،ص117 ، **وانظر أيضا**:

C.A (Rozet) : op., cit p 304,p306. et
colonel (Trumlet):op.Cit, T II p785,p788.

[3] الحاج أحمد الشريف (الزهار):المصدر السابق ،ص 83،ص 155،ص156 وانظر أيضا:

C.A (Rozet) : op ,cit p 304,p306 et
colonel (Trumlet):op.Cit, T II p785,p788
X (Yacono) : op Cit,p321
Jean (Bisgambilgia):op.Cit, p 10.

فخلال سنـوات القحـط والجفاف وانتشـار المجـاعـة ، سـاهـــم

الوقف[1] مساهمة بارزة في التخفيف من حدة الجوع والفقر الذي عم المنطقة ، وذلك باستغلال السواقي والعيون فـي ري المحاصـيل الزراعيـة ، كـالحبوب والأشجار المثمرة ، فمثل هذه الكوارث الطبيعية والأزمات التـي كانـت تجتـاح المجتمع الجزائري ، سمحت لنا بالتعرف عن جانـب أعمـال الخيـر والبـر ، والتضامن والتكافل والتآزر ، وذلك بواسطة توفير لقمة العيش لعامة الناس أثناء الشدة ، لتجاوز أزمة الجوع والحرمان والفقر[2] ، فعلى سبيل المثـال ، أصـبح صاع القمح يباع في مدينة البليدة خلال مجاعة 1794 م بسعر سبعة دنانير[3] . وفي مثل هذه النكبات يبرز أصحاب البر والإحسان ، الذين بـذلوا جهـدهم فـي إعطاء الصدقات للضعفاء،" فمنهم من يطعم الطعام ويسقي، ومنهم مـن يحـضر الحبوب بالرحبة (السوق) في صورة البائع ، فيجتمع عليه الناس، ويكتـال كـل واحد نصيبا ، وحين تنقضي تلك الحبوب ، ويحوزها المكتالون لها ، ينادي ربهـا - أي مالكها- بلسان فصيح : يا عباد ا كل من أخذ شيئا فهو له خالصا ،لا آخذ

---

[1] الوقف والتحبيس والتسبيل بمعنى واحد ؛وهو لغة : الحبس عن التصرف ،يقال : وقفت كذا ،أي حبسته ،أما شرعا فله عدةتعاريف ،فحسب أبي حنيفة النعمان (الحنفية) يعرف بأنه: " حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير ،وبناءا عليه لا يلزم زوال الموقوف عن ملك الواقف ،ويصح له الرجوع عنه ،ويجوز بيعه ،لأن الأصح عند أبي حنيفة ؛إن الوقف جائز غير لازم كالعارية ".أما الإمام ملاك بن انس (المالكية) :فيعرفه بانه : " جعل المالك منفعة مملوكة,ولوكان مملوكا بأجرة ،أو جعل غلته كدرهم لمستحق ،بصيغة مدة ما يراه المحبس ،أي أن المالك يحبس العين عن أي تصرف تكميلي ويتبرع بريعها لجهة خيرية تبرعا لازما مع بقاء العين على ملك الواقف مدة معينة ،فلا يشترط فيه التأبيد ." وينقم الوقف بحسب الجهة التي وقف عليها على نوعين :خيري ؛ وهو الذي يوقف في اول الأمر على جهة خيرية ,ولو لمدة معينة ،يكون بعدها وقفا على شخص معين او أشخاص معينين ،كان يقف أرضه على مستشفى او مدرسة ثم من بعد ذلك على نفسه وأولاده .أما الفق الأهلي او الذري :فهو الذي يوقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف ،او أي شخص او أشخاص معينين ،ولو جعل آخره لجهة خيرية ،كان يقف على نفسه ثم على أولاده ثم من بعدهم على جهة خيرية .انظر:

وهبة (الزحيلي) : **<u>الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي</u>** ؛الاعادة الأولى 1419 هـ /1998م المطابقة للطبعة الثانية المزيدة 1417هـ/ 1996م ،دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ص 135 ، ص140.

[2] رابح (كنتور) :المرجع السابق ، ص 05.

[3] ناصر الدين (سعيدوني):النظام المالي ...، ص146

منه ثمنه ، ويذهب في حال سبيله، فيفرح الناس حينئذ ، ويـشكرون فعلـه ، ثـم ينصرفون" [1] . كما أنه وفي زمن الطاعون ، كان لإدارة بيت المال نشاط يفوق نشاط جميع الإدارات الأخرى ، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى ، وتعمـل علـى تجنب الفوضى التي قد تتسبب فيها كثرة الوفيات ، كمـا أنهـا تتـولى التركـات المهملة ، وتقوم بعمليات الميراث[2] .

كما أن الروابط الروحية، والتقاليد الإسلامية، جعلت سكان البليـدة يخصـصون جزءا من عائدات عقاراتهم المحبسة للحرمين الشريفين (مكة والمدينـة) ، قـصد تقديم خدمات لهاتين المؤسستين ، كسبا للشعور الديني ، وتحسينا للروابط الدينيـة والاجتماعية خدمة للدين الإسلامي ، ومن اجل الإسهام في خدمات الحجاج ، مـن تـوفير المـاء والـسكن والطـواف ، ومـا يحتـاج إليـه هـؤلاء أثنـاء أداء واجبهم الديني[3] .

لذلك أصبح الواقفون بالبليدة لا حصر لهم بجنس أو طبقـة اجتماعيـة ، فمـنهم الرجـال والنـساء ، والعامـة والخاصـة ، إذ نجـد عقـودا للتحبـيس تؤكـد لنا ذلك ، منها :

" أن الحاج مصطفى بن قادري قام بتحبيس أسفل باب الزاوية بالبليدة على نفسه ، ثم العقب ، ثم الحرمين الشريفين " [4]، وهذا أوائل رجب 1210هـ/1795م .

كما أن " الولية خيرة بنت احمد بن عيسى حبست بلادها بحوش التوت بالبليدة على نفسها ، ثم العقب ، ثم الحرمين الـشريفين " [5] ، وهـذا أوائـل رجـب 1220هـ /1804م . هذا وقد ساهمت البليدة سنة 1240هـ/1824م بـ ـ ـ ـ : 860 ريال بوجود في أوقاف وهدايا الحرمين الشريفين [6] .

كما ساهمت فئات اجتماعية مختلفة من سكان البليدة ، في تحبيس جزء من أملاكهم على مساجد المدينة ، وذلك بتخصيص مبالغ مالية من عائدات الأوقاف لخطبـاء

---

[1] صالح (العنتري) : المصدر السابق، ص 40 .

[2] حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق ، ص136 .

[3] رابح (كنتور) :المرجع السابق ، ص 08 .

[4] **<u>أ.و.ج</u>** : **<u>س.م.ش</u>**: علبة 106 ،وثيقة 59 -126.

[5] المصدر السابق ، علبة 104 - 105 ،وثيقة 114 -30.

[6] ناصر الدين (سعيدوني):النظام المالي ...، ص146.

وأئمة وعمال مساجد المدينة ، فضلا عـن تـرميم بعـض المـساجد ، وشـراء السجاد لها [1]. فقد ورد في بعض وثائق الوقف ما يلي : " إن المكـرم الحـاج محمد بن القزانة الحوكي ، قام بتحبيس سقف من الجنة عل نفـسه ، ثـم علـى العقب ، ثم على جامع بن سعدون بالبليدة "[2] . كما أن " أمنـة بنـت الجيلالـي الشرشالي قامت بتحبيس الجنة التي على ملكها على نفسها ، ثم على العقب ، ثـم على المسجد الأعظم بالبليدة "[3] ، وكان هذا أواخر صفر 1211هـ /1796م . كما " أن المكرم الحاج احمد بن محمد الحاج قام بتحبيس دار داخل البليـدة علـى نفسه ، ثم على العقب ، ثم على المسجد الأعظم بالبليدة " [4]، وهذا فـي رجـب 1218هـ /1803م .

كما أن أهل البر والإحسان من أهالي البليدة قـاموا بتخـصيص مـساحات مـن أراضيهم الزراعية ،أو جزءا من ماشيتهم أو كميات مـن محاصـيلهم الفلاحيـة السنوية ،على زوايا المدينة وزوايا المنـاطق المجـاورة لهـا لأجـل الإنفـاق عليها ، وعلى المدرسين والطلبة بها [5].

أما عن اللباس ، فقد كان الرجال من أهالي البليدة ، يرتدون نفس اللبـاس الـذي يرتديه حضر العاصمة [6] ، حيث يتألف زيهم من غليلة مصنوعة مـن الكتـان أو النسيج ، وبدعتين متشابهتين , وسروال واسع قصير ، ثم حزام غالبا ما يظهر فخامة ثيابهم ، وحذاء واسع مستدير الرأس يشبه النعل ، وتبقى السيقان ابتدءا من الركبة عارية عند الحضري الأصيل ، وكذلك الأمر بالنسبة للعنق , أمـا الـشعر فيقصص بأسره ، باستثناء خصلة في أعلى الرأس [7]. أما النساء فلهن طريقـة خاصة في تغطية وجوههن ، فهن يحملن فوق رؤوسهن شالا صـوفيا سـميكا ، يستر أحد طرفيه الجانب الأيسر من الوجه ، بينما يمتد الطرف الآخر على شـكل

---

1 رابح (كنتور) :المرجع السابق ، ص 08.

2 **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 102 -103،وثيقة،92-26.

3 المصدر السابق ، علبة 35 ، سجل366، ص 37.

4 **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 35، سجل 366 ،ص 59 .

5 رابح (كنتور) :المرجع السابق ، ص 09.

6 هاينريش (فون مالستان) :المصدر السابق ،ج 2 ،ص 137.

7 نفسه، ج 1 ، ص 57.

خط منحن من الذقن إلى العين ، بحيث يغطي الجانب الأيمن من الوجه ، وهكذا لا يبقى شيء من الوجه عاريـا إلا العـين الواحـدة [1] ، إذ تتحجـب النـساء المحترمات (الحرائر) في الشوارع ، ويبدو أنهن كن يصبغن شعورهن بالحناء، ويكحلن عيونهم، ويضعن المساحيق على خدودهن[2].

وقد سادت بين أوساط المجتمع البليدة عادات و تقاليد كثيرة ، نذكر منها أن المرأة البليدية كانت تحتل مرتبة ثانوية في كثير من الأحيان، فهي لا تستطيع الحـصول على قوتها إلا بمساعدة الرجل ، ومهمتها الأساسية في البيت انجـاب الأبنـاء ، وحلب الأبقار ، والاشتغال بصناعة الطرز على الحرير والجلد [3] . وبالرغم من ذلك فإنها كانت محترمة وموقرة ، ومبجلة باعتبارها الأم و الأخت ، والزوجـة ، والبنت، فلها حقوق ، وعليها واجبات حددتها لها الشريعة الإسلامية ، وأكدتها لها العادات والتقاليد الاجتماعية ، كحقها في اختيار الزوج ، والحصول على الصداق، وعلى نصيبها من الميراث ، وخروجها لحضور الحفلات الدينية التي كانت تقام يوم الأربعاء من كل أسبوع ، أو لزيارة قبور الأوليـاء [4] ، والـذهاب لزيـارة الحمام ، حتى أن التركي في الجزائر لا يمكنه أن يتزوج من فتاة أهلية إلا بعـد الموافقة على دفع المبلغ الذي يطلبه أبوها [5] .

ويصف لنا تروملي الدور الاجتماعي للحمام فيما يلي : " لقد كان الحمام الفرصـة السانحة للمرأة للخروج مرة واحدة في الأسبوع ، فقد كانت النساء معزولات فـي بيوتهن ، ولم يكن لديهن الكثير مـن أوقـات الفـراغ ، باسـتثناء الأعـراس ، أو ما يسمونه " الزيارات " ، أي زيارة الأماكن المعروفة في المدينـة (سـيدي الكبير، سيدي عبد القادر...) ، وهكذا أصبح الحمام مكان التقاء ، ومكان تبـادل المنافع بجميع أنواعها ، ففي ذلك العهد كانت المرأة الجزائرية تلجأ إلـى الحمـام عموما ، عندما تريد أن تختار زوجة لابنها ، لأنه في ذلك الوقت كانت الأم دائما هي التي تقرر اختيار كنتها المستقبلية من بين كل الفتيات . تتبـع الأم الخاطبـة

---

[1] نفسه، ج 2 ، ص 137، ص 138.

[2] جون (وولف) :المرجع السابق ،ص 170

[3] محمد العربي (الزبيري) :المرجع السابق ص 47.

[4] أبو العيد (دودو) :المرجع السابق،ص 181 .

[5] جون (وولف) :المرجع السابق ،ص 170

الفتاة الأفضل صنعا، متفحصة إياها بانتباه ، بشرتها وتقاسيم وجهها ، و يـديها ، ورجليها ، و شعرها ، بعدها تتأهب لطرح بعض الأسئلة على الفتاة ، أو علـى مرافقتها (أمها أو عمتها) ، وإذا كانت الأجوبة مرضية فستطلب عنوانها من أجل زيارة رسمية "[1]. وعندما تقع أفراح الزواج ، أو عندما تكون هنـاك أعيـاد عائلية ، فان السكان يستلفون من بعضهم البعض حليا وجواهر ثمينة ، وكل شيء في هذه الظروف يرتكز على الثقة ، ولا يشترط لإثبات الدائنية ، ولقـد يوثـق بامرأة عجوز معروفة ، حتى ولو كانت فقيرة[2] .

كما كان للمرأة الحق في امتلاك العقارات من أراضي وغيرها ، وحرية التصرف فيها بالبيع ، أو الإهداء ، أو الوقف ، كما كان لها حق الميراث وفق ما تقتـضيه نصوص الشريعة الإسلامية ، ومن الدلائل التاريخية على ذلك ، مـا جـاء فـي بعـض وثـائق المحـاكم الـشرعية والبايلـك التاليـة ، وهـذا علـى سـبيل المثال لا الحصر :

- " أن الحاج الجيلالي بن العلجة أشهر على نفسه ، أن الجنة التي علـى ملكـه الكائنة خارج بلدة البليدة وبشعبة مفتاح ، إنما هي بينه وبين زوجته فاطمـة بنـت حمزة "[3].

- " أن الولية عزيزة بنت الحاج عبد ا البكاء ، حبست جميع الدار التي علـى ملكها، الكائنة داخل بلدة البليدة ، المتخلفة عن والدها ، والمعدة لـسكناها ، علـى نفسها مدة حياتها تنتفع بغلتها ، فان قضى ا بوفاتها تصبح الدار وقفا على أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)"[4].

- " أن علي القليعي قام بتحبيس جميع داره على نفـسه ، ثـم علـى أولاده يوسف وعيشوشة وفاطمة وعزيزة ، وأعقابهم ، ثم على الحرمين الـشريفين "[5]، و" أن الحاج بن عبد القادر قام بتحبيس الدار على أولاده وأعقابهم للذكر مثل حظ

---

1 colonel (Trumlet): op.Cit, , Tome II p883,p 946.

2 حمدان بن عثمان (خوجة) :المصدر السابق ، ص102.

3 **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 104 -105،وثيقة،72 -181.

4 نفسه :علبة104 -105 ، وثيقة 57 -186 .

5 **أ.و.ج** : **س.ب**: علبة07، وثيقة99.

الأنثيين ، ثم للحرمين الشريفين[1].

ومن عادة حضر البليدة ، أن يلجؤوا في أوج الصيف أثناء النهار ، إلى ضفاف الواد الكبير وظلاله ، فرارا من أشعة الشمس المحرقة ، فيجلسون هناك ، وقد تجردوا من قطع الثياب المزعجة ، وأرجلهم غارقة في الماء البارد حتى الركبة ، وعلى رؤوسهم أكاليل الأزهار الجميلة ، التي ظفرتها لهم نساء حريمهم[2] .

كما انتشرت بين أهالي البليدة ، وخاصة منهم النساء عادة زيارة[3] قبور وأضرحة الأولياء الصالحين بالمدينة ، والذين لكثرتهم وصفت البليدة بـ " مدينة الأولياء "[4] ، كضريح سيدي احمد الكبير ، وضريح سيدي عبد القادر الجيلاني[5]، وضريح سيدي يعقوب الشريف[6]، وغيرها من الأضرحة. بل ذهب بعض السكان إلى حد زيارة أضرحة أولياء صالحين بعيدا عن المدينة ، على غرار ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ " بو قبرين "[7] ، إذ أن له قبرين أولهما بالحامة (العاصمة) ، وثانيهما بآيت اسماعيل في ضواحي بوغني بالزواوة، وضريح سيدي احمد بن يوسف الملياني ، وغيرهما.

وعن زيارة ضريح هذا الأخير قال الرحالة الإنجليزي شاو (SHAW) :" وفي فصل الربيع يقدم الى مليانة من الجزائر والبليدة والنواحي ، جموعا من الناس

---

1 نفسه: علبة07 ، وثيقة 100.

2 فون مالستان (فون مالستان) :المصدر السابق ،ج 2 ،ص 138.

3 **الزيارة** :قدوم المريد التابع على شيخه ، محملا بمستحقات الطاعة والتبعية ،فحق الشيخ على المريد المبلغ المالي المحمول إلى الشيخ ،قل أو كثر والهدية مهما كان نوعها نعند زيارة الشيخ او نائبه في الزاوية .

4 colonel (Trumlet):op.Cit, , T I p22 .

5 **سيدي عبد القادر الجيلاني** : هو أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني (1066م-1179م) يعتبر مؤسس الطريقة القادرية ،والتي مركزها ببغداد ، وتعتبر المنطقة الممتدة ما بين شرشال ومعسكر المراكز الأساسية لأتباع هذه الطريقة بالجزائر ، قبره وضريحه موجود ببغداد ، **انظر** :

nacereddine (Saidouni) : op ,cit ,p303.

6 هو صاحب القبة المقدسة ويدعى سيدي يعقوب الشريف الزبوج القرطبي ،استقر بسفوح الأطلس البليدي بعد هجرته من الأندلس وانتقاله من مراكش إلى الحج ،ونال خطوة كبيرة لدى العامة عند ذلك ،وبعد موته بمقره بحوش الشفة حوالي سنة 927ه/1521م تحول ضريحه الى مكان للزيارة والتبرك .

انظر : ناصر الدين (سعيد وني) :الأندلسيون (الموريسكيون)...ص 117. و أنظر أيضا:

Jean (Bisgambilgia):op.Cit,p08

7 حمدان بن عثمان (خوجة) :المصدر السابق ، ص58.

يزورون ، ويتبركون بوليها سيدي أحمد بن يوسف " [1].

ويعتبر ضريح مولى البليدة ومؤسسها ، الولي الـصالح سـيدي أحمـد الكبيـر الأندلسي، من بين الأضرحة التي يرتادها الزوار من سكان البليدة وضـواحيها ، ويتواجد الضريح جنوب مدينة البليدة بحوالي 3كلم ، باتجاه السفح الجبلي المقابـل له . و يوجد بالمزارة قاعات للصلاة ، وزاوية للتعليم ، وعين جارية بميـ ـ ـ ـاه عـذبـة باردة ، تخترق المزارة باتجاه المقبرة. كما توجد على يمين المزراة دار الوكيل ، الذي يتكفل بإدارتها .أما بالمقبرة فلا توجد سوى قبور قديمة ، أبرزهـا قبران ، أحدهما لسيدي احمد الكبير وثانيهما لأبيه سيدي بلقا سم . والملفت للانتباه غياب القبة على كليهما ، ويرجع ذلك حسب الروايات انه بعـد وفـاة الـرجلين الصالحين جيء ببنائين لبناء القبة ،وحين الانتهاء منهما سـقطت كليـة ، فتكفـل الأبناء والأحفاد ببنائهما من جديد لكنها انهارت مرة أخرى وبدون سبب ،ومن هنا تم التراجع عن بنائهما ، ظنا أن الصالحين لم يريدا القبة على قبريهما[2].

ويوجد على قبر سيدي احمد الكبير تابوت خـشبي مـزركش بـالحلي المتعـدد الألوان، على كل جهة منه توجد جهة صلبة ، أنجز عليها مكانا لوضع الـشموع والعطور ، والكل مغطى بسطح مـزدوج ، أو مربـع مـسند بأربعـة أعمـدة خشبية [3]، ويقوم السكان خلال زيارتهم للضريح بأداء طقوس مختلفة ، وعلـى رأســها تنظــيم وعــدة [4]، أو زردة [5] ، كإعــداد الطعــام (الكسكــسى) لتقديمه للزوار ، وذبح طيور الدجاج طلبـا لـلـشفاء ، كمـا يقـوم الزائـرون بإشعال الشموع ، وترتيل بعض المـدائح الدينيـة ، وبيـع خـروف بالمزايـدة للتصدق بما له على الفقراء فيما بعد ، وغيرها مـن المظـاهر الأخـرى [6] ،

---

[1] عبد الرحمن (الجيلالي) :تاريخ المدن الثلاث ....، ص 316 .

[2] F (Dermenghem) : **sidi Ahmed elKèbir patron de Blida** ."Documents Algériens " n =° 65 du 25 novmbre1952,p23

[3] colonel (Trumlet):op.Cit, T I ,p563 ,p632

[4] **الوعدة** :نذر ،وهي ذبيحة يتخذ منها وليمة دينية ،مصحوبة ببعض الممارسات السحرية او الخرافية .

[5] **الزردة** :وليمة موسمية ،يحضرها إتباع الزاوية نفي مكان مفتوح .أو عند ضريح احد الأولياء . تجمع من تبرعات الإتباع ، وأحيانا من عطاء بعض الأغنياء ،والقصد هو لفت الأنظار ، وتكثير الأنصار ، وجمع التبرعات لأصحاب الزاوية .

[6] colonel (Trumlet): T I ,p563 , p632.

ذلك أن التبرك بالولي يتخذ تظاهرة جماعية ، تتمثل في الزيـارة التـي يؤديهـا الفلاحون قبل بداية الأشغال الزراعيـة ، أو بعـدها ، والوعـدة أو (الـزردة) التـــي يـــوزع أثناءهـــا الطعـــام علـــى الزائـــر ، لتأكيـــد روابط التضامن بين أفراد المجموعة ، أو التحالف بين مجموعات مختلفة [1].

وبعد الانتهاء من الوليمة ، يقوم الزائر بالدعاء والتضرع إلى ا ، من اجل شفاء مريض ، أوان يرزق بالخلق الصالح هاتفا :" يا سيدي الكبيـر أعطينـي بـشارة الدار"، ثم يرجع كل واحد من حيث أتى [2] .

ويرى حمدان بن عثمان خوجة أن: " الاعتقاد الشعبي اتجاه المـرابطين أساسـه الجهل والمبادئ الغالطة والتعصب ، وليس من الـسهل إصـلاحها ، غيـر أن السياسة هي التي جعلت رؤساء الحكومة التركية يبقـون علـى هـذه المبـادئ الغالطة ، أو يتركونها تستمر "[3].

ومن عادات المجتمع البليدي خلال هذا العهد ، لعب لعبة البوقالة التي هي تركيـة الأصل ، و تتمثل اللعبة في حل الكتاب ، و قراءة الكتاب ، وفـتح الكتـاب ، أي الكشف عن أسرار الخط ، والتكهن. والبوقالة أصيص فخاري صغير ، اللعبة تقوم بها امرأة عجوز أو متقدمة في السن وسط حلقة من النساء ،وهـي تنـادي علـى الشيخ عبد القادر الجيلالي ، الذي اسمه هنا " أبو علام "[4].

مما سبق يمكن القول :

1- كان المجتمع البليدي خلال العهد العثماني متماسكا ، ومتآلفا ، لا مكان فيـه للعصبية الدينية أو العرقية ، بل عاش الكل في سلام ووئام ، تحت حمايـة الأتراك ، ومراقبة رجال الدين من المرابطين والأئمة والعلماء ، الذين كانوا ينبهون السكان من مخاطر الانحراف في العقيدة والأخلاق .

2- برز التضامن الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية المؤلفة لسكان البليدة بوجـه

---

[1] فلنزي (لوسات) :المرجع السابق ،ص 48

[2] colonel (Trumlet):op.Cit, T I ,p593 ,p632 .

[3] المصدر السابق ، ص 58 ،ص 59.

[4] أبو القاسم (سعد ا):تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 8 ،ص 131.

خاص ، خلال النكبات و الأزمات الكثيرة التي عانت من ويلاتها المدينـة ، فخلال سنوات القحط و الجفاف و انتشار المجاعة و الأوبئة ، ساهم أهل البر و الإحسان ، في التخفيف من حدة ألم الجوع و الفقر الذي عم المنطقة ، من خلال إعطاء الصدقات ، و تحبيس السواقي و العيون فـي ري المحاصـيل الزراعية . و لم يقتصر الأمر على الرجال دون النـساء ، أو فئـة دون أخرى ، بل ساهم الجميع كل قدر استطاعته و قدرته .

3- انتشرت في أوساط المجتمع البليدي عادات وتقاليد ، منها ما هـو صـحي كالتعاون والتآزر ، ومنها ما هو مرضي كالتبرك بقبور الأولياء الصالحين.

المبحث الثالث:الحياة الثقافية:

إن العلوم التي كان يخوض فيها البـشر ويتـداولونها فـي الأمـصار تحـصيلا وتعليما ، هي على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكرة ، وصـنف نقلي يأخذه عمن وضعه ، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية ، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية [1] .

وتشهد كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خـلال العهـد العثمـاني ، أن التعليم كان منتشرا في كل أنحاء القطر ، وكان جميع الجزائريين قبـل الاحـتلال يحسنون القراءة والكتابة [2]، حيث يقرر الرحالة الألمـاني شـيمبر فـي هـذا الشأن ما يلي :

" لقد بحثت قصد ا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه ، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا ، فقلما يـصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"[3]، فالجزائريون في ذلـك العهد كانوا يعتنون بالعلوم والآداب ، ففيهم الشعراء والأدباء ، وأساتذة التـاريخ والمشرعون[4].

ولم تشذ مدينة البليدة خلال العهد العثماني عن هذه القاعدة ، حيث أن التعليم فيها كان موزعا على ثلاثة مراكز أساسية ، فالمركز الأول : كتاتيـب القـرآن ، حيث أن البليدة ضمت العديد من الكتاتيب القرآنية خلال هـذا العهـد [5] . وقـد خصصت هذه الكتاتيب لاستظهار كتاب ا العزيز ، وهي أول محل يتلقـى فيـه

---

1 عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق ، م الأول ،ص 779.

2 Habart (Michel) : op,cit,p138

3 إسماعيل (العربي) :المرجع السابق ،ص 13، نقلا عن " رحلة فيلهم شيمبر إلى الجزائر في سنتي 1831 و 1832 ".

4 حمدان بن عثمان (خوجة):المصدر السابق ، ص105 .

5 ناصر الدين (سعيدوني):مدونة المدن ...، ص06 .

الطفل الحروف الهجائية، بواسطة اللوح المصلصل ، والقلم القصبي ، وتكون هذه الكتاتيب – غالبا –في أضرحة الأولياء ، وفي الدكاكين ، وفي المـساجد التـي لا تقام فيها الصلوات الخمس [1].

أما المركز الثاني فيتمثل في الزوايا[2] ، إذ عرفت البليدة والمناطق المجاورة لها بانتشار الزوايا ، منها زاوية سيدي احمد الكبير، التي توجد على بعد3 كلم جنوب البليدة مجاورة لضريحه[3] . وقد تخرجت من هذه الزاوية أفواج عديدة من طلبـة العلم ، أغلبهم من نواحي متيجة وجهات الأطلس البليدي ، وخاصـة مـن بنـي صالح ، وبني خليل [4] ، حيث كانت مصدرا لتخرج عشرات المتعلمين بها مـن أفراد قبيلة بني صالح [5]. كما عرفت المدينة زوايا أخرى ، تتمثل فـي" زاويـة الأشراف " ، و " زاوية الأندلسيين "، حيث أن سكان المنطقة يرتادون هذه الزوايا للتبرك بها ، فضلا عن تحفيظ القرآن بها ، وتعلم الكتابـة والقـراءة[6] . كمـا انتشرت زوايا أخرى بالمناطق المجاورة للبليدة ، خاصة بوطن بني خليل ، نذكر منها : زاوية سيدي العيد بين الدويرة وبوفاريك ، زاوية سيدي الحبـشي بـأولاد منديل ، وزاوية سيدي مجبر بن زهرين ببني تامو[7] ، حيث التحق بهـا طلبـة البليدة ، والمناطق المجاورة لها.

وقد كانت الزوايا تحتل مركزا رياديا ، من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء مـن أبناء المدينة ، المتعطشين إلى اكتراع زلال العلم والمعرفة ، وقد كانت مقسمة إلى

---

1 محمد بن ميمون (الجزائري) :**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط الثانية ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ،1981،ص 58.

2 **الزاوية** : (حسب شيربونو) مؤسسة دينية لا نظير لها في الغرب (أوربا) ،فهي مقر للعائلة المرابط الذي أسسها ،وهي مسجد للصلاة الجامعة ومدرسة تدرس فيها مختلف العلوم ، وهي أيضا ملجأ يهرع إليه الهاربون من العدالة ، أو الفارون من العدو ، فيجدون فيها الأمن والنجاة .**انظر** :
أبو القاسم (سعد ا): تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ،ص27.

3 F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23.

4 ناصر الدين (سعيدوني) :الأندلسيون (الموريسكيون)...ص 118

5 colonel (Trumlet):op.Cit, T II ,p593.

6 عبد العزيز (الدوري) :**دور الوقف في التنمية،** المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،1998 ،العدد 7 ، ص09 ، ص10.

7 nacereddine (Saidouni) : op ,cit ,p318.

قسمين اثنين ، كل قسم منهما يقوم بدوره أحسن القيام :

أ) فأما القسم الأول **:** فيقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم قد يؤمـه الغربـاء الذين سبق لهم وان تعلموا الحروف الهجائية ، واستظهروا بعض السور مـن آي الذكر الحكيم على الأقل.

ب) وأما القسم الثاني: فانه يقوم بتدريس بعض علوم ذلـك العـصر ، لا سـيما الفقهيــات والعقائــد , وقواعــد النحــو والــصرف ، وفنــون البلاغــة ، والمنطق ، وبعض المبادئ فـي علـم الفلـك، وهلـم جـرا...، وهـذا القـسم لا يؤمـه – غالبـا- إلا المـستظهرون لكتـاب ا العزيـز ، مـن طـلاب العلم الشريف[1].

أما المركـز الثالـث ، فيتمثـل فـي المـساجد ، خاصـة المـساجد الأربعـة الكبرى بالمدينة ، وهي : مسجد سـيدي أحمـد الكبيـر ، والمـسجد الحنفـي ، ومسجد بابا محمد ، ومسجد بن سعدون ، حيث كانت فيما - عدا أوقات الصلاة – مرتعا لحلقات الدروس اليومية، ومحطـا لفنـون العلـوم التـي كانـت تـدرس لذاك العهد [2].

هذا والملاحظ في ذلك الحين ، أن كل طفل بـين الـسادسة والعاشـرة يلتحـق بمركز من مراكز التعليم ، وهذا بخـصوص الأطفـال الـذكور ، أمـا الإنـاث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادرا[3]، لأن عامـة الأهـالي يـرون مـن العيـب أن تتعلم القراءة والكتابة ، حتى لا يكون لها اتـصال بالخـارج ، وقـد شـذت عن هذا الوضـع بعـض بنـات الأغنيـاء، الـذين كـانوا يحـضرون المعلـم إلى بيوتهم ، أو بنات المعلمين أنفسهم ، ولذلك نجد من حين لآخر فتاة متعلمة[4] . وفي حال ما إذا رغب متعلم ما إتمام تعليمه ، فانه قد يلجـأ إلـى الـسفر إلـى الجامعات العربية الكبيرة ، كالزيتونة بتونس ، والأزهر بمـصر[5]، والحـرمين الشريفين بالحجاز .

---

1 محمد بن ميمون (الجزائري) :المصدر السابق، ص 58

2 نفسه ، ص 58 .

3 أبو القاسم (سعد ا): محاضرات ...،ص 162

4 محمد العربي (الزبيري) :المرجع السابق ص 47.

5 إسماعيل (العربي) :المصدر السابق ،ص13.

ومن العلماء الذين أنجبتهم أرض البليدة ، أو ترعرعوا في أحـضانها ، نجـد :

1 – الولي الصالح والمرابط الشهير سيدي أحمد الكبير بن بلقاسم الأندلـسي ، الذي ولد حوالي عام 1474م[1] بإحدى مناطق الأندلس ، وتوفي عام 1540م في البليدة [2]. يعتبر واحدا من جملة مـا ورد مـن الأندلـسيين النـازحين إلـى الجزائر[3]، ففي يوم من أيام عام 1519 (925هـ) نزل بمنطقة البليدة ، متتبعـا الجهة اليمنى من واد تابركشنت في شعبة الرمان[4] ، بالسفوح الشمالية للأطلـس المتيجي ، المعروف بالأطلس البليدي، وكان عمره آنذاك حـوالي 45سـنة[5] ، وكانت تلك المنطقة آهلة بأولاد السلطان ، وهم فرقة من قبيلة بني خليل [6].

عاصر سيدي أحمد الكبير أحداثا جساما ، وأهوالا عظاما ، كـان أشـدها ألمـا وإفزاعا، سقوط غرناطة آخر حاضرة للإسلام بالأندلس عام 1492م ، وما تلـى ذلك من موجات هجرات بشرية إسلامية منها نحو البلاد الإسلامية بصفة عامة ، وبلاد المغرب بصفة خاصة ، وقد ساهم في التقليل من آلام المهاجرين والمهجرين على حد سواء ، فاحتضنهم ، ورعاهم ، وأسكنهم بجواره [7] .

يعتبر سيدي احمد الكبير مؤسس مدينة البليدة ، في ميدان لم تكن فيه في الـسابق سوى بعض الأكواخ المتناثرة هنا وهناك على سفوح الأطلـس[8] ، ففـي سـنة 1535م أي بعد حوالي 16 سنة تقريبا من وصوله المنطقة ، زاره باشا الجزائـر خير الدين ، حيث سمحت العلاقات الأخوية التي تربط الرجلين ببنـاء مـسجد ، وفرن عام (مخبرة) ، وحمام ، وهـي نـواة مدينـة البليـدة ، ومنهـا امتـدت البنايات[9] ، واتسعت رقعة المدينة الجديدة .

---

[1] لم تذكر المصادر والمراجع التي عدنا إليها متى وأين كان مولده ، غير انه وبناءا على الاستنتاجات التاريخية يبدو أن سيدي الكبير ولد في عام 1474 بالأندلس ، لأنه حل بمنطقة البليدة عام 1519م ، وكان عمره آنذاك نحو 45 سنة.

[2] colonel (Trumlet):op.Cit, T II ,p521,p592

[3] نور الدين (عبد القادر):المرجع السابق ،ص 266 ،ص 267.

[4] colonel (Trumlet):op.Cit, T II ,p745,p762 .

[5] I .bid: p745 , p762

[6] نور الدين (عبد القادر):المرجع السابق ،ص 266 ،ص 267

[7] Jean (Bisgambilgia):op.Cit,p10.

[8] I .bid: p10.

[9] I .bid: p10.

لقد تزوج سيدي احمد الكبير بـامرأة مـن أولاد سـلطان ، ويقـال أن اسـمها " حنة " (بفتح الحاء وتشديد النون) [1] ، وقد ترك بعد وفاته أربعة أبناء ، ثلاثـة ذكور وبنت (سيدي عبد العزيز، سيدي بلعباس ، وسيدي مبارك) مـن خـلال زواجه من بختة ، وبنتا اسمها نفيسة [2] . كما كان لـسيدي الكبيـر أخـوين، هما : بلقاسم ، والهاني [3].

وتذكر بعض المصادرالتاريخية أن سيدي الكبير استقر بزاويته بسفوح جبال بني صالح ، على الضفة اليمنى لواد الرمان [4]، الذي أصبح يعرف فيمـا بعـد بواد سيدي احمد الكبير.

لقد حج الولي الصالح إلى الحجاز مرتين ، كما زار بيـت المقـدس (المـسجد الأقصى) وصلى به ، وزار حلب ودمشق التـي صـلى بمـسجدها الأمـوي ، كمـــا زار اســطنبول ، وزار مـــسجدها الـــشهير الـــذي أســـسه (عاصف بن براخيا ابن خالة سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام) ، وقد اسـتقبل هناك مـن طـرف عـدة زوايـا ، وتنـاقش مـع العديـد مـن علمائهـا ، الذين انبهروا بعلمه واتساعه ، كما عاش مع أقطاب الصوفية [5] .

ويذكر لهذا الولي الـصالح أنـه كـان نابغـة فـي العلـوم ، متبحـرا فيهـا ، ومنهـــا :العلـــم الظـــاهر أو المكتـــوب ، والعلـــم البـــاطن، إضافة إلى التاريخ ، والفلك ، وعلوم الشريعة[6] ، وهندسة الري[7] .

وقـــد اعتنـــى ســـيدي أحمـــد الكبيـــر بالزراعـــة ، فغـــرس البـــساتين ، وسقى الأراضي ، وأجرى المياه في القنوات [8]، كما ساهم فـي فـك الخـصام الذي حدث بين السكان بسبب المياه[9] ، وقد تعامل مع السلطة الـسياسية العليـا العثمانيـــة بمقـــدرة وتعقـــل ، فكـــسب ود الدولـــة الجديـــدة،

---

[1] نور الدين (عبد القادر):المرجع السابق ،ص 266 ،ص 267.

[2] يوجد غرب واد خنوس غار يدعى غار لالا نفيسة ابنة سيدي احمد الكبير .

[3] F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23.

[4] colonel (Trumlet):op.Cit, T II ,p521,p632

[5] Djamel (Melouah) et autres : op ,cit ,p2, p3.

[6] F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23.

[7] محمد الأمين (بلغيث) : المرجع السابق ، ص06.

[8] نور الدين (عبد القادر):المرجع السابق ، ص 266 ، ص 267

[9] F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23

التي أطلقت يده في توجيه وتدعيم حالة المدينة اقتصاديا وسياسيا ، مما يدل علـى حكمة وسلطة روحية كبيرة[1] . كما ظل سيدي أحمـد الكبيـر طيلـة حياتـه مؤيدا للأتراك، ومناصرا لخير الدين بربروسة [2] . كمـا لعـب دورا هامـا في تقوية المجال العمراني بالبليدة ، فعرفـت فـي عهـده ازدهـارا كبيـرا ، ونهضة شاملة فـي جميـع الميـادين ، إذ ارتقـت العمـارة ، والـصناعة، والطـب ، والموسـيقى ، والزراعـة ، والحـرف، والتجـارة، والتعليم ، والخط [3].

وتنسب إلى هذا الرجل الصالح كرامات كثيرة [4] ، وصلت إلى حـد الأسـطورة والخرافة.

وبعد وفاة سيدي احمد الكبير عام 1540، ظلت ذكراه عالقـة بأذهـان العامـة ، وأصبح عقبه محل إكبار وإجلال من قبل سكان البليدة ونواحيها[5]، حيث تحـول ضريحه (الموجود عل بعد 3 كلم جنوب المدينة) إلى مزار ، ومكان للتبرك[6] .

وبعد كل هذا، هذه كلمة ختامية عن الشيخ سيدي احمد الكبير : هو ذلك الرجـل الصالح ، النزيه ، النصوح ، الساعي لخير الأشخاص والمجتمع، قولا وعمـلا، بلا توان ولا كسل ، فهو الجدير بالقول السائر : " خادم القوم سيدهم " ، ولا شك

---

[1] محمد الامين (بلغيث) : المرجع السابق ،ص06.

[2] ناصر الدين (سعيدوني) :الأندلسيون (الموريسكيون) ...، ص 117.

[3] مجلة مرآة متيجة :العدد الثالث ،ص66.

[4] ذكر تروملي و درمنغهام الكثير منها ، من ذلك:

-أن الولي الصالح من استخرج مياه البليدة بأمر منه ، وبكرامة من جبال الأطلس ،وحجزها بصخرته المباركة ،حيث فجرها عيونا فيما بعد : - ان قبيلة بني بو نصاير لم تعتقد بكرامته فشتتها ،وعوضها بقبيلة بني صالح .

- ان احد المغاربة (المغرب الأقصى حاليا)أراد أن يشتري ذمة الولي الصالح ,من خلال شراءه ماء المنطقة على حساب أولاد سلطان - أصهار الولي - .إلا أن جوابه كان مفحما للمغربي ،حينما هز شجرة الخروب المباركة فسقطت منها قطع ذهبية ،وعندها اختفى الرجل في قاع الأرض .

- انه حينما حدثت مواجهات بين قبائل المنطقة حول المياه ،وصلت إلى حد موت بعض الأفراد ،غضب سيدي احمد الكبير منهم وأوقف عنهم هذا المصدر الثمين إلى غاية توسط سيدي مجبر من بني خليل .انظر:

- colonel (Trumlet):op.Cit, T II , p521,p592

- F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23

[5] ناصر الدين (سعيدوني) :الأندلسيون (الموريسكيون)...ص 117

[6] F (Dermenghem) : op.Cit,,p 23.

أن بأمثاله تسعد البلاد والعباد [1].

2 – ويتحدث محمد أبي راس الجزائري في كتابه - فتح الإله ومنته - ، عن عالم بليدي يدعى "الجزولي" ، إذ يقول : " ولقيت علماء البليدة وجرى لي ذكر (الجزولي) ففتحت جيمه ، فقال لي أحد تلاميذة صاحب الترجمة سمعت شيخي يضم الجيم ، ولا أدري أهو رأي أم نقلا عن ذلك أم لا ؟ فبقي ذلك مغمورا به قلبي ، ومشتغلا به بالي ، وكثرة سؤالي على ذلك وبحثي ، حتى طالعت " بقسمطينة " تاريخ العلامة اليافعي ، فوجدته نص على ضم الجيم "[2].

3 – كما أن من علماء البليدة الشيخ محمد الحسني البليدي ، الذي ولد بمدينة البليدة سنة 1096هـ الموافق لـ 1648م ، و إليها نسب ، والذي لما بلغ مبلغ الشباب ارتحل إلى مصر لإتمام تعليمه ، فتتلمذ في الأزهر على يد أشهر علمائه وشيوخه . وقد عرف الشيخ محمد الحسني البليدي بالذكاء والنبوغ ، مما سمح له التصدر للتدريس في كل من جامع الأزهر ، والجامع الحسيني ، فدرس الفقه والتفسير ، ولا يستبعد أن يكون قد درس علم المنطق ، كما اشتهر في علم القراءات . ولقد أقبل عليه العلماء والمدرسون ، فضلا عن الطلبة الذين تتلمذوا على يده ، ومنهم الشيخ الحسين الورتلاني[3] . فقد ذكرت المصادر المعاصرة أنه كان يحضر دروسه أكثر من مائتي مدرس. واشتهر من تلاميذته الكثير، وأشهرهم على الإطلاق " مرتضى الزبيدي "، صاحب كتاب (تاج العروس). وقد ترك الشيخ مجموعة من الآثار العلمية ، لم يطبع منها إلا رسالته المسماة " المقولات العشر " في المنطق ،

---

1 نور الدين (عبد القادر):المرجع السابق ،ص 267.

2 محمد (أبو راس الجزائري) :**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** " حياة أبي راس الذاتية والعلمية " ،حققه وعلق عليه :محمد بن عبد الكريم الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 ، ص 16 . وقد حاولت العثور على كتاب " تاريخ العلامة اليافعي " للاستزادة في الترجمة، فلم أعثر عليه .

3 هو الإمام العالم الفاضل العلامة الشيخ سيدي الحسين الورتلاني ،نسبة إلى بني ورتيلان قرب بجاية ،من تأليفه "الرحلة السنية "او كتاب "المرادين".**انظر**: ابو القاسم محمد (الحفناوي):المرجع السابق ، ج 1، ص 397 ، ص407 .

التي عني بها العلماء ، فشرحوها ، وعلقوا عليها [1].

وكان الشيخ محمد الحسني البليدي على خلق كريم ، مما جعلـه مقـصدا لأبنـاء المغرب المقيمين في القاهرة ، والمسافرين إليها تجارا ، والمارين بها حجاجـا ، فكان يبذل لهم النصح ، ويساعدهم على حل ما يعترضهم من مشكلات. وقد توفي الشيخ سنة1176هـ الموافق لـ 1763م [2] ، عن عمر يناهز 66 سنة.

ومن علماء البليدة كذلك ، بعض أعضاء المجلس الشرعي ، أو ما يعرف بالمجلس العلمي بالمدينة [3]، وأبرزهم مجموعة من المفتيين والقضاة ، نذكر منهم :

- بلقا سم بن احمد بن هاني قاضي البليدة .
- سيدي محمود قاضي البليدة وبني خليل (بداية من شوال 1133هـ/1721م) .
- الفقيه الحاج إبراهيم ،المفتي الحنفي بالبليدة (1136هـ/1723-1724م) .
- الحاج محمد أفندي قاضي البليدة (أواسط جمادى الثانية 1164هـ /1751م) .
- الحاج الفقيه حسين بن محمد بن سيدي احمد الرموشي ، قاضي البليـدة وبنـي خليل(رمضان1191هـ/1777م) .
- أبي العباس سيدي احمد منصور قاضي البليدة وبني خليل (بداية ربيـع الثـاني 1203هـ/1789م) .
- محمد بن إبراهيم بن الشيخ سيدي واد ، القاضي المالكي بالبليدة (توفي فـي

---

[1] حسن (العطار):**الحاشية الكبرى على مقولات البليدي وحشيتاه الكبرى والصغرى على مقولات السجاعي**، مطبعة الخيرية ، مصر ،1328هـ -1910م ،ص 02 وما بعدها.

[2] محمد الهادي (الحسني) :**الشيخ محمد الحسني البليدي** ، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الأول " متيجة عبر العصور (مابين 19الى 24 ماي 2001) بقاعة محمد التوري بالبليدة .

[3] يضم هذا المجلس عادة المفتيين الحنفي والمالكي ،وكذالك القاضيين الحنفي والمالكي ، بالإضافة إلى الشيخ الناظر وكاتبين ،وبعض الأعيان ويعود إليه الأمر فيما يتعلق بتعيين ناظر الأوقاف ، وكذالك كل المسائل المتعلقة بالاوقاف من حيث التسيير والمراقبة . **انظر** :

ناصر الدين (سعيدوني): **الاوقاف بفحص مدينة الجزائر دلالات اجتماعية ومؤشرات اقتصادية** ،مجلة دراسات انسانية ،مجلة دورية محكمة تصدرها كلية العلوم الانسانية والاجتماعية -جامعة الجزائر ،دار الحكمة ،الجزائر ، دون تاريخ ،عدد خاص "الوقف في الجزائر اثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" ، ص 63 ، ص64.

محرم 1261هـ الموافق ل24جانفي 1845م)

- سيدي بلقاسم حفيد سيدي احمد الكبير ، مفتي البليدة(حوالي عام 1241 هـ ـ / 1825م).

- محمد المفتي الحنفي للبليدة (1243هـ/1827م).

- بلقاسم المفتي المالكي للبليدة (1243هـ/1827 م) [1] .

كما أنه وخلال ذلك العهد ، كان رجال الدين من مرابطين ، وشيوخ زوايا ، وأئمة مساجد ، يعتبرون - في نظر الأمة - علماء بحق ، فكل فقيـه ، أو محـدث ، أو مفسر، يعد في نظر الناس عالما ، ويلقبونه بسيدي فلان ، أما إن جمـع بـين فنون شتى ، فانه يعتبر عندهم عالما نحريرا ، وبحرا غزيرا [2]، وهذا ما تؤكده الوقفية التالية :(أن فاطمة بنت السبتي قامت بتحبيس جميع الدار الكائنة بزنقـة السيد المبروك ، بيد العالم سيدي محمد بن عبده إمام جامع باب الجزائـر)[3] ، وهذا بتاريخ جمادى الثانية سنة1232هـ /1816م . كما أوردت لنا عدة وقفيـات أخرى أسماء بعض الأئمة العلماء بمدينة البليدة ، على غرار السيد العربي إمـام جامع القهوة [4] ، والسيد حمدان إمام جامع القهوة[5] ، وغيرهما.

أما في ميدان الأدب ومجال الموسيقى والغناء ، فقد طبع الأندلسيون الحياة الفنية بالبليدة بطابع خاص مميز ، فقد شاع نظم الموشحات [6]، وتلحين الأغـاني[7] . ولقد اعترى الموشحات الأندلسية ضعف البناء اللغوي، وتراجع فـي المـستوى الشعري، فغلبت على مقاطعها العامية أو الدارجة ، ودخلتها تعبيرات لغة الفرانكة ذات الأصول الأسبانية ، إلا أنها مع ذلك ظلـت وفيـة لتقاليـد الموريسـكيين ،

---

[1] nacereddine (Saidouni) : op ,cit ,p313,p314.

[2] محمد بن ميمون (الجزائري) :المصدر السابق، ص 47

[3] **أ.و.ج** : **س.ب**: علبة16،سجل69.

[4] **أ.و.ج** : **س.م.ش** : علبة 104 -105 ،وثيقة بدون رقم .

[5] **أ.و.ج** : **س.ب**: علبة16، سجل 69 وثيقة بدون رقم .

[6] تعود بداية ظهور نضم الموشحات إلى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة ،على يد ابن عبد ربه ،في عهد عبد الرحمن الناصر ، واكتملت نماذجها في فترة لاحقة على يد أقطاب الموشحات،مثل بن زهر ،ولسان الدين بن الخطيب ، وبن زمرك ، وغيرهم .

انظر : ناصر الدين (سعيدوني) :الأندلسيون (الموريسكيون) ...، ص 118.

[7] نفسه ، ص 118.

معبرة بصدق عن أحاسيسهم وشعورهم وحنينهم إلى وطنهم الأصلي ، حتى أنهـا أصبحت بتوارثها وانتقالها جيلا عن جيل ، أقرب إلى تلاوة التراتيل ، أكثر منها إلى تلحين وإنشاد القصائد ، فهي مع غموض لغتها ، إلا أنها ظلت تحتـرم فـي اغلبها البناء التقليدي الذي كان يتألف خاصة من غصان ، فتستهل بمطـالع قـد تصبح أقفالا إذا ترددت في الغناء ، وقد يشتمل الدور فيها على ثلاثة أو خمـسة أجزاء بين عدة أقفال ، قبل أن تنتهي بخرجة تعزف بألحان خفيفـة ، وبطريقـة مميزة ، وهي ببنائها قد تتعرض لمواضع الغزل ، وقد تتناول وصف الطبيعـة ، بالإضافة إلى المولوديات و الاخوانيات ، فهي بذلك تعكس بحق النموذج الأندلسي المغربي المتوارث ، والذي حافظت عليه الأجواق المحلية بالبليدة حتى الآن[1] .

أما في مجال الموسيقى ، فيعود دخول الموسيقى الأندلسية الى البليدة ومثيلاتها من مناطق البلاد الجزائرية ، إلى المرحلة التاريخية التي كانت فيها الأندلس شـمس تسطع على الغرب مدى ثمانية قرون ، قبل أن يبدأ العد العكـسي ، ولقـد وجـد الأندلسيون المهاجرون والمهجرون الجو المناسب، والحياة الآمنة وسط إخـوانهم المسلمين في بلدان المغرب ، والذين لبوا الدعوة الى الخوض في بحور ونوبـات الموسيقى الأندلسية ، والتفنن في أدائها وتعليمها ،هذا ما تجـسد فـي المـدارس المتعددة التي أسسوها بتلمسان ، والجزائر، وبجاية ، والبليـدة ، وشـر شـال، وعنابة، وسوق أهراس ، وغيرها من المناطق الأخرى [2] .

هذا ولقد مهرت بعض الأسر البليدية في العزف على مختلـف آلات الموسـيقى الوترية، ومنها:العود (الكويترا) ، والرباب ، والقانون ، و الكمانجا ، أو الصوتية كالقصبة ، والزرنة ، والغايطة ، أو الإيقاعية كالطبل ، والـصنوج ، والـدف ، والطبيبلة ، والطار ، والدربوكة ، وغيرها ، التي حسن بعض أنواعها الاندليسون مثل القصبة والبند ير، وجلبوا بعضها من مواطنهم الأصـلية بالأنـدلس ، مثـل الكمانجا و الكويترا خاصة [3].

---

[1] ناصر الدين (سعيدوني) :الأندلسيون (الموريسكيون) ...، ص 118 .

[2] مجلة الحدث الدولي والعربي (مجلة سياسية وثقافية)، مؤسسة النشر والتوزيع ، بيروت ، سبتمبر 2000،العدد الرابع ، ص 14.

[3] ناصر الدين (سعيدوني) :المرجع السابق ..، ص 119.

مما سبق يمكن القول :

1- انتشرت العلوم والمعارف المختلفة في أوساط المجتمع البليدي ، من علوم عقلية ونقلية ، حيث كانت الكتاتيب والزوايا والمساجد المنارات الأساسـية للطلبة والمتعلمين ، سواء من أبناء المدينة أو أبناء القبائـل ، والمنـاطق المجاورة لها ، ونتيجة لذلك تخرج عدد كبير من المتعلمـين مـن هـذه المدارس ، غير أن المصادر والمراجع التي عدنا إليها لم تسعفنا إلا بالقليل منهم .

2- كما أن الثقافة بالبليدة ميزتها الموسيقى والموشحات الأندلسية ، التي جـاء بها المهاجرون والمهجرون من مواطنهم الأصلية بالأندلس ، فكانت البليدة ملتقى للعلوم والمعارف والثقافات المختلفة .

خلاصة الفصل الثالث:

1- اتصف الوضع الاجتماعي بمدينة البليدة بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم ، و أسلوب حياتهم و اختلاف مصادر رزقهم و طبيعة علاقتهم بالحكام .

2- تألف سكان البليدة من أصول مختلفة و هم يتـألفون مـن خمـس فئـات اجتماعية و هـي الحـضر، و الاقليـة التركيـة، وجماعـة الكراغلـة، و الميزابيون، و الطائفة اليهودية ، و قد تميزت كل فئـة عـن الأخـرى بخصائص و ميزات .

3- سكن البليدة منذ نشأتها العنصر الاندلسي ، و مع تطور المدينة و استقرار المتقاعـدين مـن الجنـد الانكـشاري بهـا ظهـرت جماعـة المولدين - الكراغلة - ، كما قصدها جمع من اليهود و البرانيـة ، مـن التجار ، و الميزابيين ، و رجال القبائل الجبلية المجاورة للمدينة، و بعضا من أفراد أهالي سهل متيجة ، هذا الأمر جعل البليدة تفقد طابعها الأندلسي بالتدريج ، و تصبح مدينة منفتحة تتميز بتنوع أصول سكانها .

4- كان المجتمع البليدي خلال العهد العثماني متماسكا ، ومتآلفا ، لا مكان فيه للعصبية الدينية أو العرقية ، بل عاش الكل في سلام ووئام ، تحت حمايـة الأتراك ، ومراقبة رجال الدين من المرابطين ، والأئمة والعلمـاء الـذين كانوا ينبهون السكان من مخاطر الانحراف في العقيدة والأخلاق .

5- برز التضامن الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية المؤلفة لسكان البليدة بوجه خاص ، خلال النكبات و الأزمات الكثيرة التي عانت من ويلاتها المدينـة، فخلال سنوات القحط و الجفاف و انتشار المجاعة و الأوبئة ، ساهم أهـل البر و الإحسان في التخفيف من حدة ألم الجوع و الفقر الذي عم المنطقة، من خلال إعطاء الصدقات ، و تحبـيس الـسواقي و العيـون فـي ري المحاصيل الزراعية ، و لم يقتصر الأمر على الرجال دون النساء ، أو فئة دون أخرى ، بل ساهم الجميع كل قدر استطاعته و قدرته .

6- انتشرت في أوساط المجتمع البليدي عادات وتقاليد ، منها ما هو صـحي،

كالتعاون والتآزر ، ومنها ما هو مرضـي ، كـالتبرك بقبـور الأوليـاء الصالحين.

7- انتشرت العلوم والمعارف المختلفة في أوساط المجتمع البليدي ، من علـوم عقلية ونقلية ، حيث كانت الكتاتيب ، والزوايـا ، والمـساجد ، المنـارات الأساسية للطلبة والمتعلمين ، سواء من أبناء المدينـة ، أو أبنـاء القبائـل والمناطق المجاورة لها ، ونتيجة لذلك تخرج عدد كبير من المتعلمين مـن هذه المدارس ، غير أن المصادر والمراجع التي عدنا إليها لم تـسعفنا إلا بالقليل منهم .

8- كما أن الثقافة بالبليدة ميزتها الموسيقى والموشحات الأندلسية ، التي جـاء بها المهاجرون والمهجرون من مواطنهم الأصلية بالأندلس ، فكانت البليدة ملتقى للعلوم والمعارف والثقافات المختلفة .

الــخاتمــــــة:

بعد هذا المسار الطويل ، يمكن القول :

1- أن مدينة البليدة تأسست من رحم الألم و الصراع، من طرف الأندلسي سيدي أحمد الكبير، الذي وفد إلى المنطقة عام 1519 م، و بدعم مادي و معنوي قوي من طرف حاكم الجزائر التركي خير الدين بربروس، بعد زيارة هذا الأخير للولي الصالح سيدي أحمد الكبير عام 1535 م .

2- أن المدينة شهدت بعد تأسيسها نموا سريعا و متزايدا، سواءا من حيث التعداد السكاني، أو الاتساع العمراني، أو النشاط الاقتصادي و الثقافي، فقد كانت البليدة آنذاك إحدى أهم مدن الايالة الجزائرية، لحسن موقعها، و غناها.

3- أولى حكام الجزائر عناية كبيرة للمدينة، فنصبوا عليها حاكما لتنظيم و تسيير شؤونها، يساعده في ذلك جهاز إداري منظم و متكامل، كما أقاموا على ارض المدينة حامية عسكرية تركية، لعبت دورا هاما في الحفاظ على سؤدد السلطة التركية، ليس داخل المدينة فحسب، و إنما على كامل المنطقة المحيطة بها.

4- تميزت العلاقة بين السلطة السياسية التركية، و القوى الدينية بالبليدة و منطقتها بالتفاهم، و التعاون، و التآزر، وهذا منذ الأيام الأولى للتأسيس. فقد علم الأتراك مدى الحب و النفوذ الذي يحظى به رجال

الدين في الجزائر، من مرابطين، و شيوخ زوايا، فاحترموهم، و قربوهم، و أوسعوا لهم العطايا و الامتيازات. أما العلاقة بين السلطة السياسية التركية، و القوى القبلية بالمنطقة، فإنها كانت متميزة و خاصة، و هذا نظرا لأهمية موقع المنطقة في إقليم متيجة الخصيب، و القريب من عاصمة الايالة – مدينة الجزائر-، فعمدت الدولة إلى فرض نظام رقابة صارم على القوى القبلية، مما أدى إلى تفتيتها، حتى لا تشكل قوة تهدد مركز الحكم و الإدارة.

5- شهدت مدينة البليدة طيلة العهد العثماني عدة نشاطات اقتصادية، كان أبرزها النشاط الفلاحي، و هذا راجع إلى موقع المدينة في الجزء الجنوبي لسهل متيجة الخصيب، و بفضل الاهتمام و الرعاية للنشاط الفلاحي أصبحت البليدة (مدينة – واحة)، حيث تنوعت المحاصيل الزراعية فيها، كان اشهرها البرتقال، حيث أحيطت بغابة من أشجار البرتقال، امتدت على مساحة كبيرة بلغت 400 هكتار، كما أقيمت على ارض البليدة و المناطق المجاورة لها، عدة صناعات تقليدية، منها النسيج، و الجلود، و الفخار، و غيرها .و قد ساهم موقع المدينة في تنشيط حركة التجارة فيها، فقد كانت حلقة وصل بين المنتجات الفلاحية، و الحرفية، لسكان المدينة، و السهل، و الجبل، كما كانت حلقة وصل لتبادل منتجات إقليم دار السلطان في الشمال، و منتجات بايليك التيطري في الجنوب، كما كانت

أرضها ممرا أساسيا للوصول من مناطق الجنوب، نحو الساحل الأوسط، و مدينة الجزائر، كما كانت معبرا رئيسيا نحو الغرب و الشرق.

6- أما في الناحية العمرانية ، فقد اتسعت رقعة المدينة منذ الأيام الأولى للتأسيس ، من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، و قد أثر ميل موقع المدينة، و وادي سيدي الكبير على، الشكل العام للمدينة، التي انحصرت داخل السور، مما جعلها تتخذ شكل مروحي . و قد تميزت مباني المدينة بالجمال، و التناسق، و كانت في مجملها ذات نمط أندلسي أصيل، كما أن سكان المدينة و حكامها أولوا عناية كبيرة للمباني الدينية، حيث أنشأت عدة مساجد، و أماكن للصلاة فيها، كما عرفت وجود هيكل عمرانية أخرى كالمقاهي، و الدكاكين، و الحمامات. و رغم تعرض البليدة إلى زلزال مدمر عام 1825 م، إلا أنها استطاعت أن تسترجع الكثير من حيويتها العمرانية، و الاجتماعية، إلا أن الغزو الفرنسي المتكرر للمدينة من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية، بدد كل نمو و انتعاش.

7- وبخصوص الحياة الاجتماعية، شهدت البليدة نموا كبيرا في عدد سكانها، ففي القرن السادس عشر لم يكن عدد السكان يتجاوز الخمسمائة ساكن، غير أن هذا العدد تضاعف تضاعفا مذهلا، أوصل عدد السكان إلى عشرة آلاف نسمة، و هذا بالرغم من تعرضها إلى كوارث طبيعية قاتلة، كوباء الطاعون، و التيفوس، و زلزال 1825 م المدمر. و يرجع النمو المتزايد

في عدد السكان إلى الموقع الممتاز للمدينة، و وفرة المياه فيها، و خصوبة إقليمها، و اعتدال مناخها، و تبعيتها للحكومة المركزية، مما جعلها مركز جذب لطوائف متنوعة من الناس، حيث تالف سكانها من طوائف مختلفة (أندلسيون- عرب- أتراك- كراغلة- يهود- ميزابيون- و بعض الأفراد من القبائل المجاورة).

و قد كان المجتمع البليدي محافظا و متماسكا، سادت بين أوساطه مجموعة من العادات و التقاليد، لعل أبرزها عادة زيارة قبور الأولياء الصالحين، كقبر سيدي احمد الكبير، و قبر سيدي احمد بن يوسف الملياني، و قبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

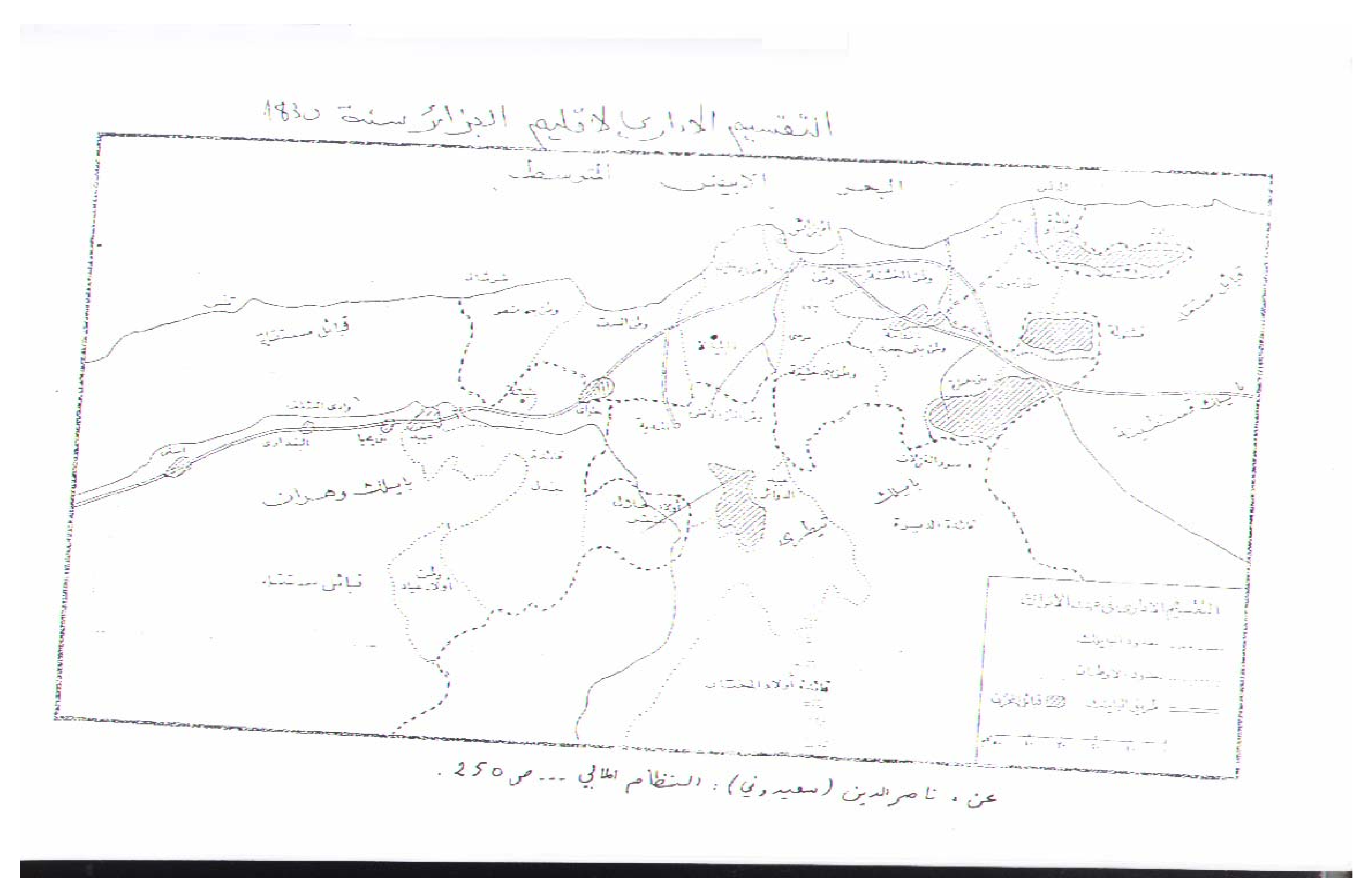
8- أما في الحياة الثقافية فقد عرفت المدينة تواجد مدارس كثيرة، تفرعت مراكزها على الكتاتيب، و الزوايا، و المساجد، و التي كانت متوفرة بكثرة داخل المدينة، و كذا في المناطق المجاورة لها، و قد كانت هذه المراكز مصدرا لتخريج العشرات من المتعلمين، الذين واصل عدد منهم تعليمهم العالي، في مراكز علمية كبيرة، داخل الوطن و خارجه، و قد أنجبت أرض البليدة عددا من العلماء، كان منهم سيدي أحمد الكبير عالم الدين، و الري، و الفلسفة، و الشيخ محمد الحسني البليدي عالم الدين، و المنطق، و غيرهما كثيرون. كما اشتهرت المدينة بالموسيقى، و الغناء الأندلسيين، فلقد مهرت بعض الأسر البليدية بالعزف على مختلف الآلات

الموسيقية، كما شاع بينها نظم الموشحات.

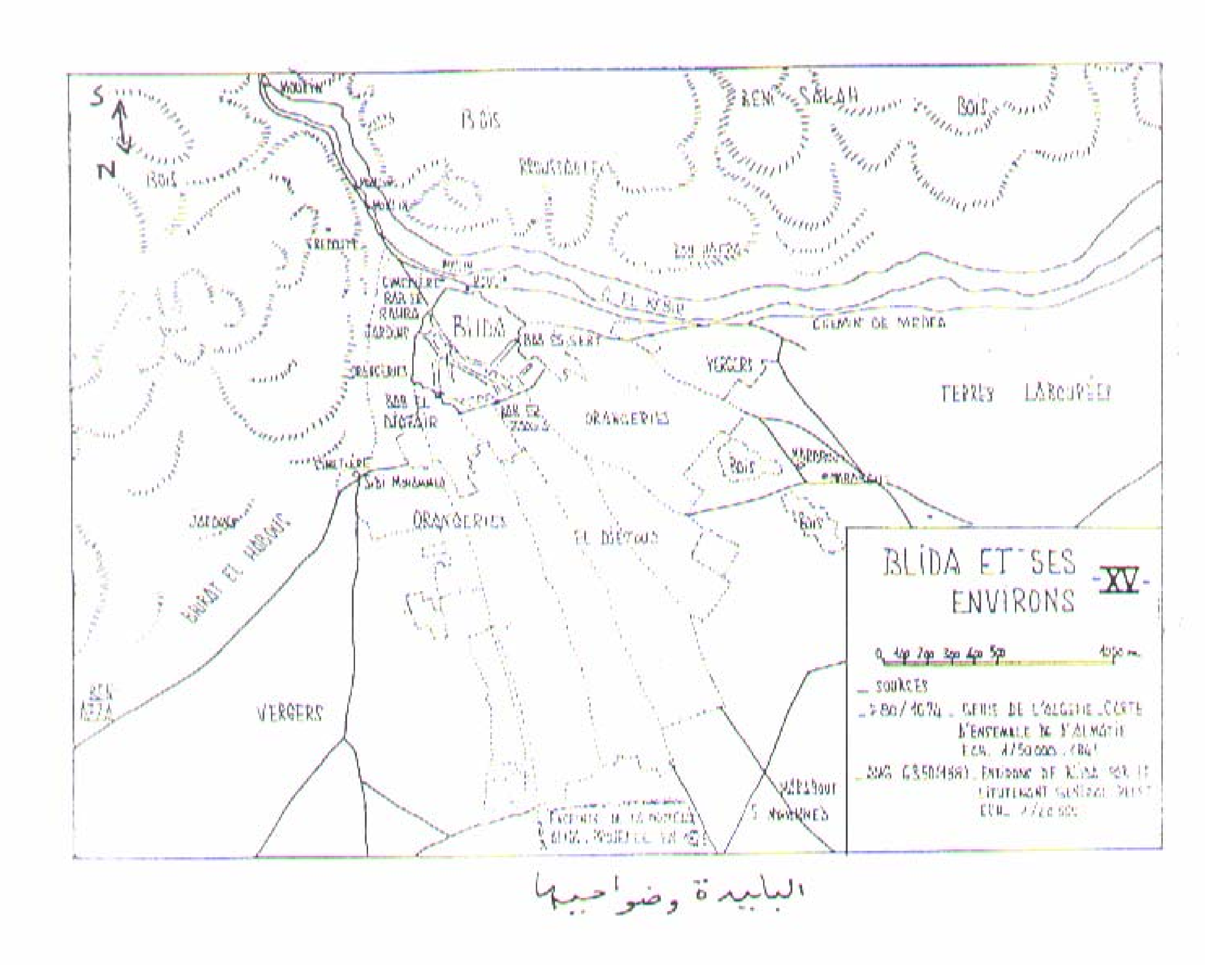
و خلاصة القول أن العهد العثماني في البليدة كان زاهرا و منيرا في شتى الميادين و المجالات، غير أن عهد النور و الزهور أبيد من طرف الفرنسيين، الذين حطموا و دمروا كل شيء جميل في المدينة، و أبدلوه بما يناسب مزاجهم و أفكارهم.

قائمة الملاحق

التقسيم الاداري للاقليم الجزائري سنة 1830

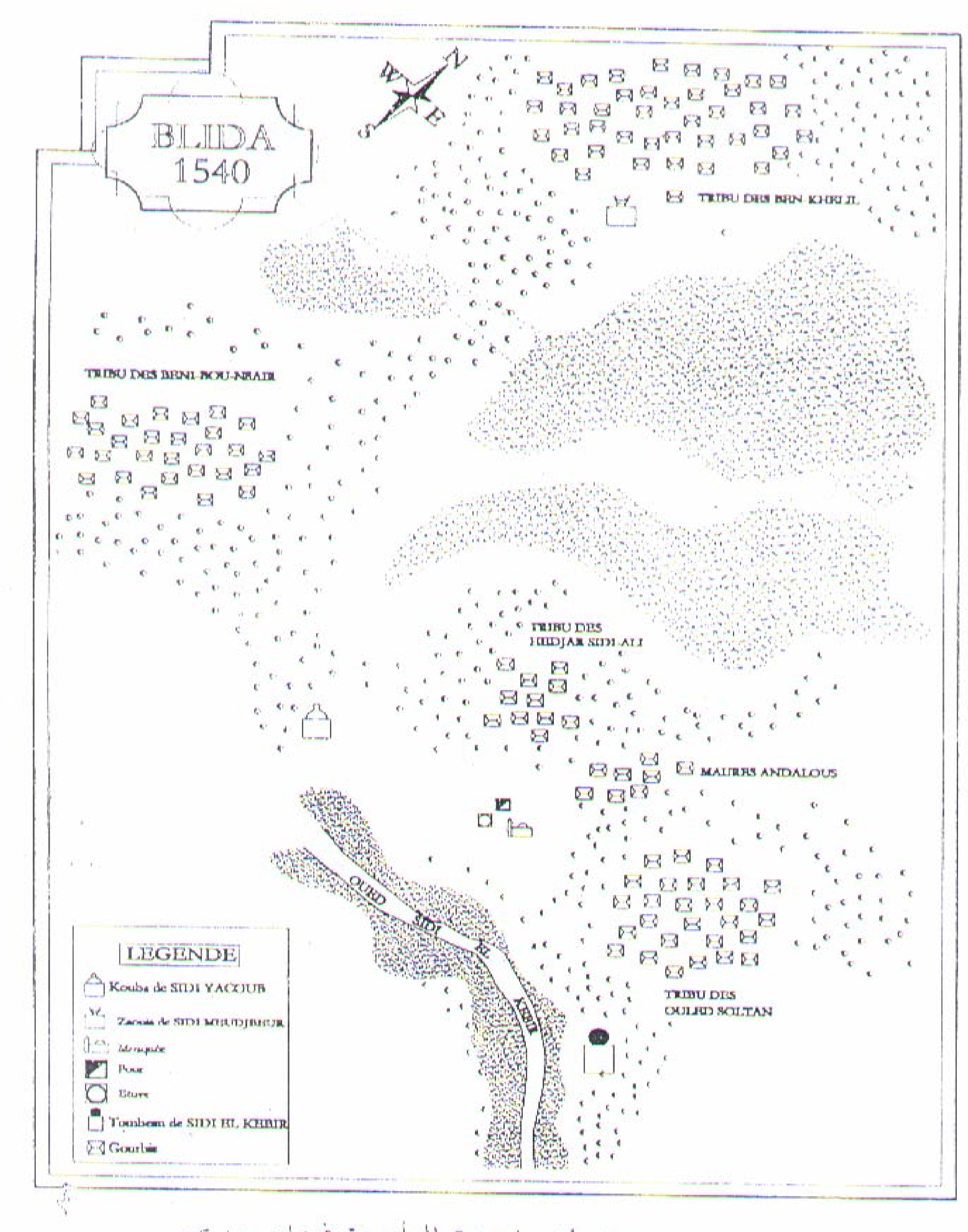


عن، ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي ... ص 250.



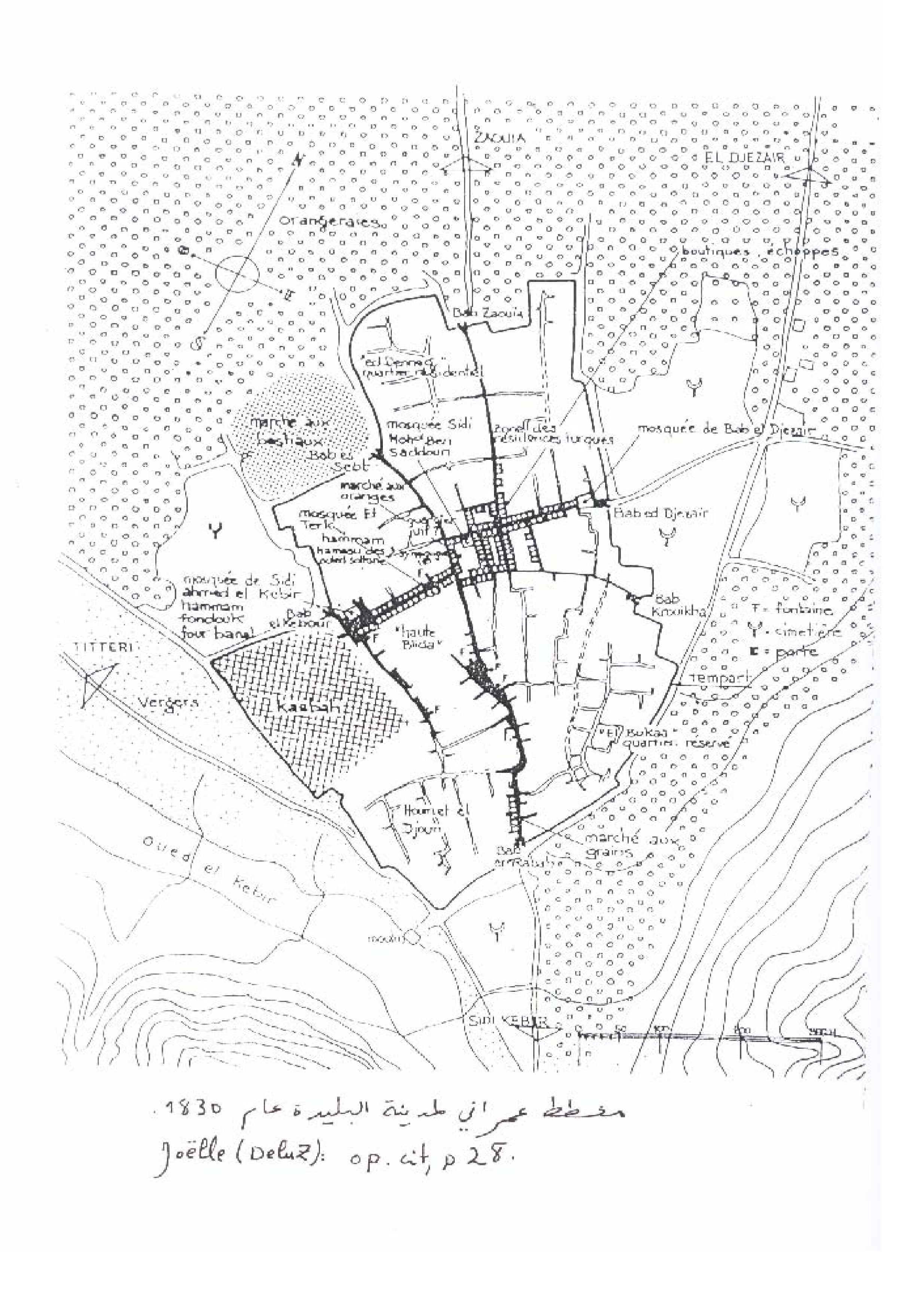
البليدة وضواحيها

Nacer eddine (saidouni) : op.cit, p 547



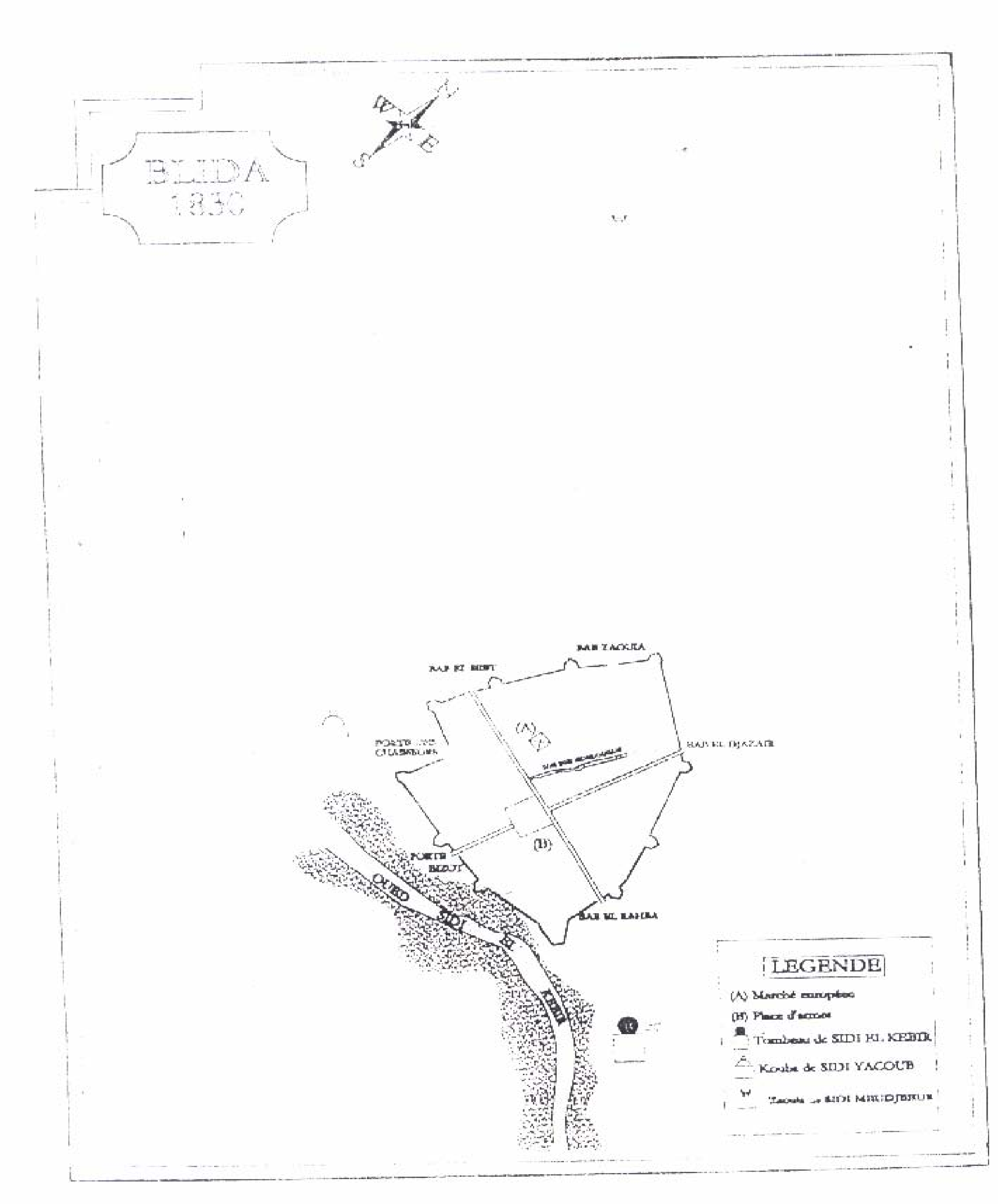
مخطط لمدينة البليدة في عام 1540.

المصدر: Djamel (Melouh) et autres: op. cit



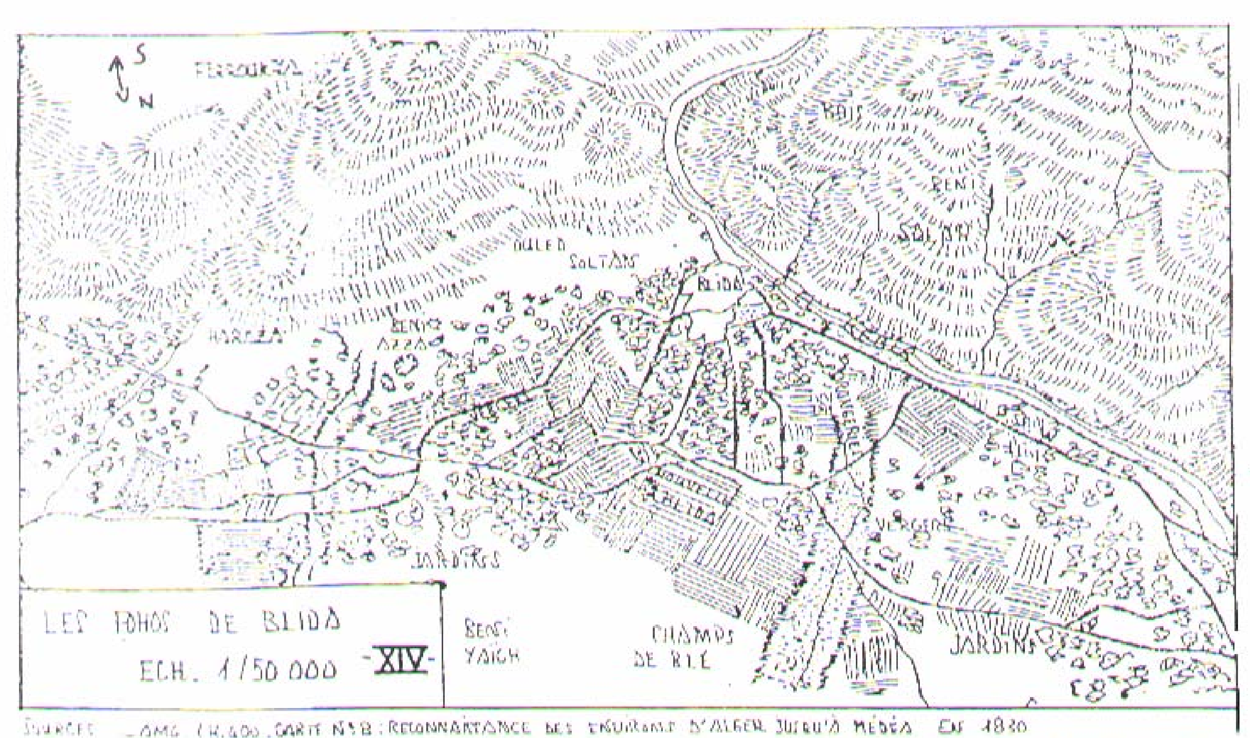
مخطط عمراني لمدينة البليدة عام 1830.

Joëlle (Deluz): op. cit, p 28.



مخطط مدينة البليدة في عام 1830.

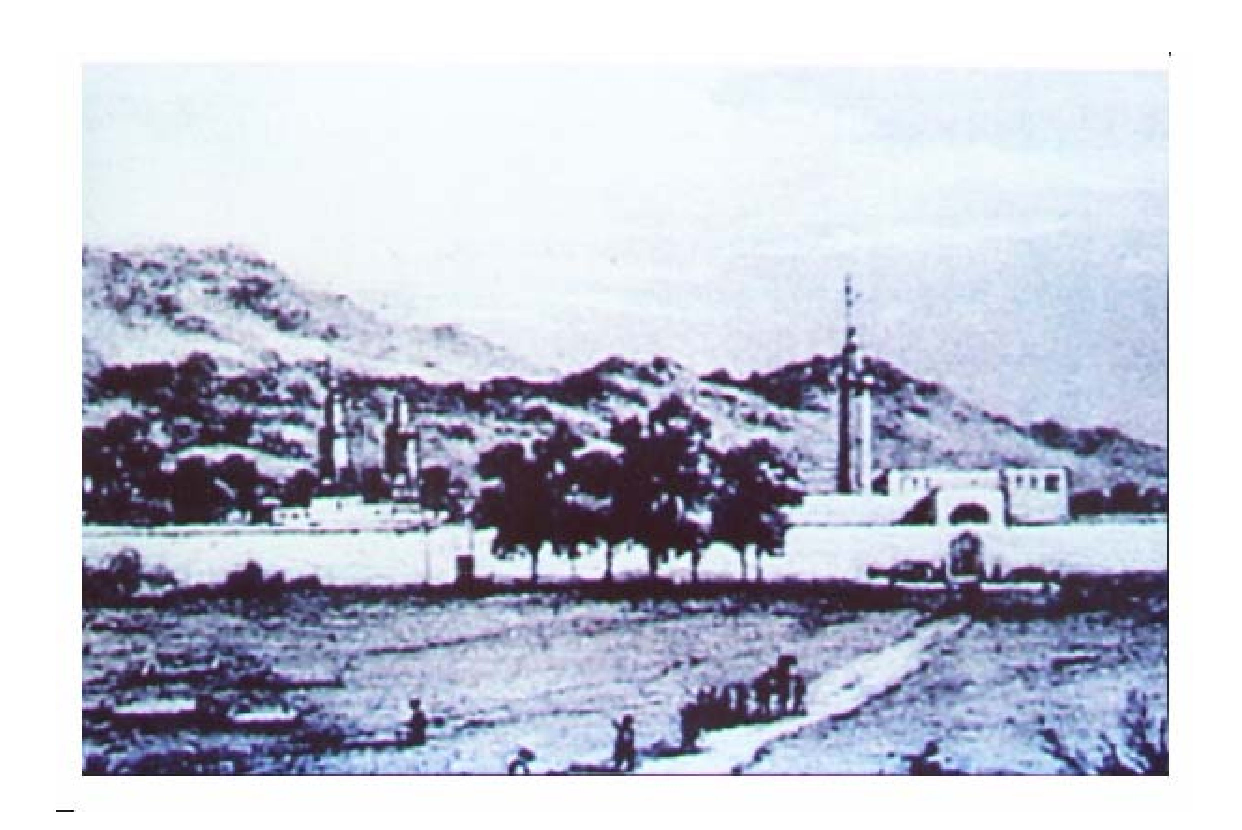
المصدر: Djamel (Melouh) et autres : op. cit



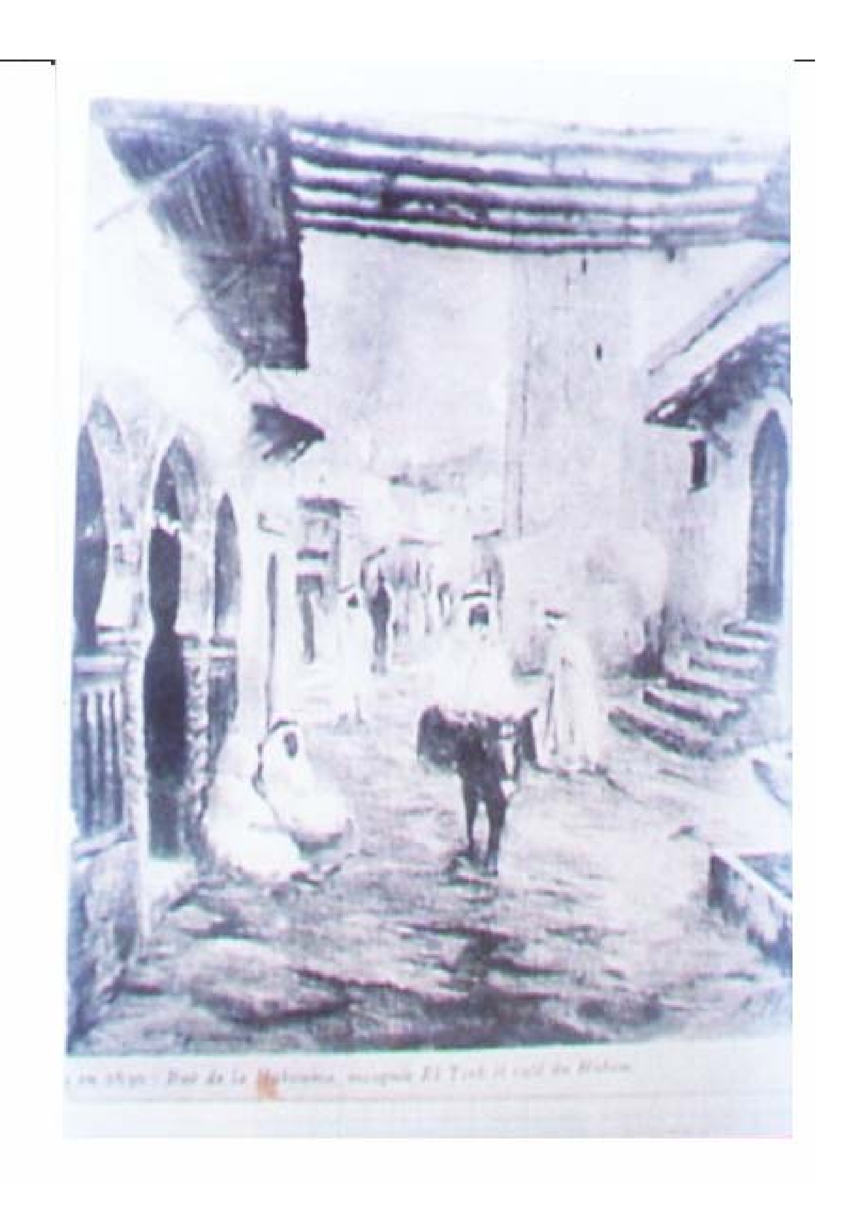
SOURCES _AMG CH.400 .CARTE N°8 : RECONNAISSANCE DES ENVIRONS D'ALGER JUSQU'À MÉDÉA EN 1830
_AOM. ALGÉRIE DÉPARTEMENT D'ALGER _CARTE DU SAHEL ET DE LA PLAINE DE LA MITIDJA SOUS LA DIRECTION DE M. DAUMAS 1850

فحوص البليدة

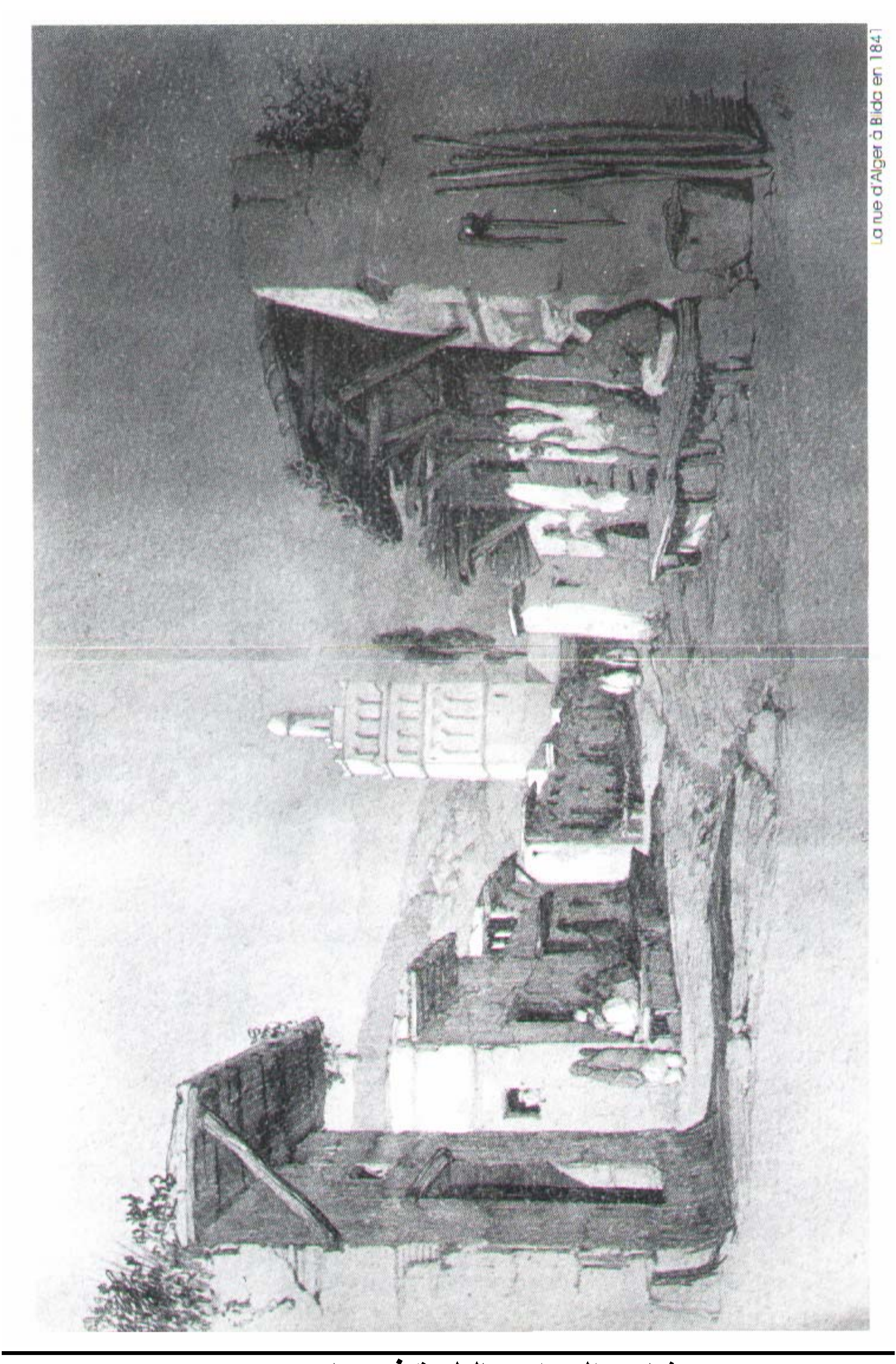
Naceveddine (saidouni): op. cit, p546.



مدينة البليدة في العهد العثماني محاطة بسور
عن : ألبوم صور للسيد يوسف أوراغي.



زنقة الحكومة بالبليدة، و يظهر بالصورة المقهى الكبير (مقهى الجامع)، و الجامع الحنفي (التركي).
عن : ألبوم صور للسيد يوسف أوراغي.



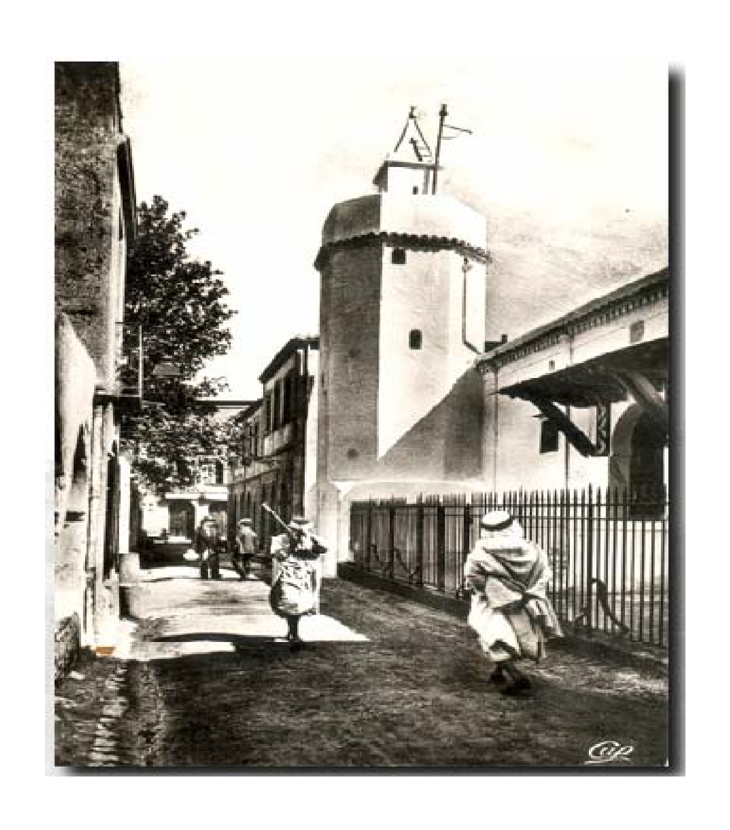
شارع الجزائر بالبليدة في عام 1841م

عن : DJAMEL(melouh) et autre op.cit.





مسجد بن سعدون بالبليدة .
عن : ألبوم صور ببلدية البليدة.





المسجد الحنفي بالبليدة.
عن : ألبوم صور ببلدية البليدة.



كتابة رخامية باللغة التركية القديمة ، تمجد أعمال الداي حسين في إعادة ترميم مساجد البليدة ،بعد زلزال 1825 المدمر ، و الكتابة موجودة على جدار مسجد بن سعدون بالبليدة .

عن : ألبوم صور ببلدية البليدة.

الديار للرجال خاصة

تحبيس الحاج [illegible] بن [illegible] جميع دار [illegible] [illegible]

تحبيس الحاج محمد [illegible] وصفه جميع الدار [illegible] المسجد الأعظم [illegible]

تحبيس الحاج عبد [illegible] جميع الدار التي على ملكه على نفسه ثم على أولاده وأعقابهم ما تناسلوا ثم [illegible] [illegible]

تحبيس الحاج [illegible] جميع دار على نفسه ثم على [illegible] وأعقابهم [illegible] [illegible]

تحبيس الحاج [illegible] جميع الدار التي على ملكه على نفسه ثم على أولاده [illegible] [illegible] [illegible]

تحبيس الحاج [illegible] جميع الدار التي على ملكه [illegible] على نفسه ثم على أولاده وأعقابهم ثم [illegible]

تحبيس [illegible] جميع دار على نفسه ثم على أولاده [illegible] [illegible] [illegible] سنة [illegible]

عن: الأرشيف الوطني الجزائري
"سجلات البايلك"
علبة 7 الوثيقة (104-183)
"أوقاف البليدة".

الحبايس للترجمة

تحبيس الشيخ محمد الحاشي البليدي جميع الحانوت الجوامع المذكورين في الى ...

تحبيس الحاج محمد الصباغ بن عبد القادر جميع الجنة الكاينة في ... بعفون خارج البليدة المحمية بالله تعالى

تحبيس محمد المستغانمي الحوكي بن عمر وجميع الجنة المجاورة لوادي سيدي احمد الكبير نفعنا الله به الكاينة خارج البليدة

تحبيس احمد اغة ... ابن ... جميع الجنة ... بعفون ... وقفه في ... خارج ... وسنة ... البليدة

تحبيس الحاج محمد ... جميع ... وقفه في ... خارج البليدة ١١٩٣

تحبيس ... جميع ... الكاينة ... خارج ... وسنة البليدة

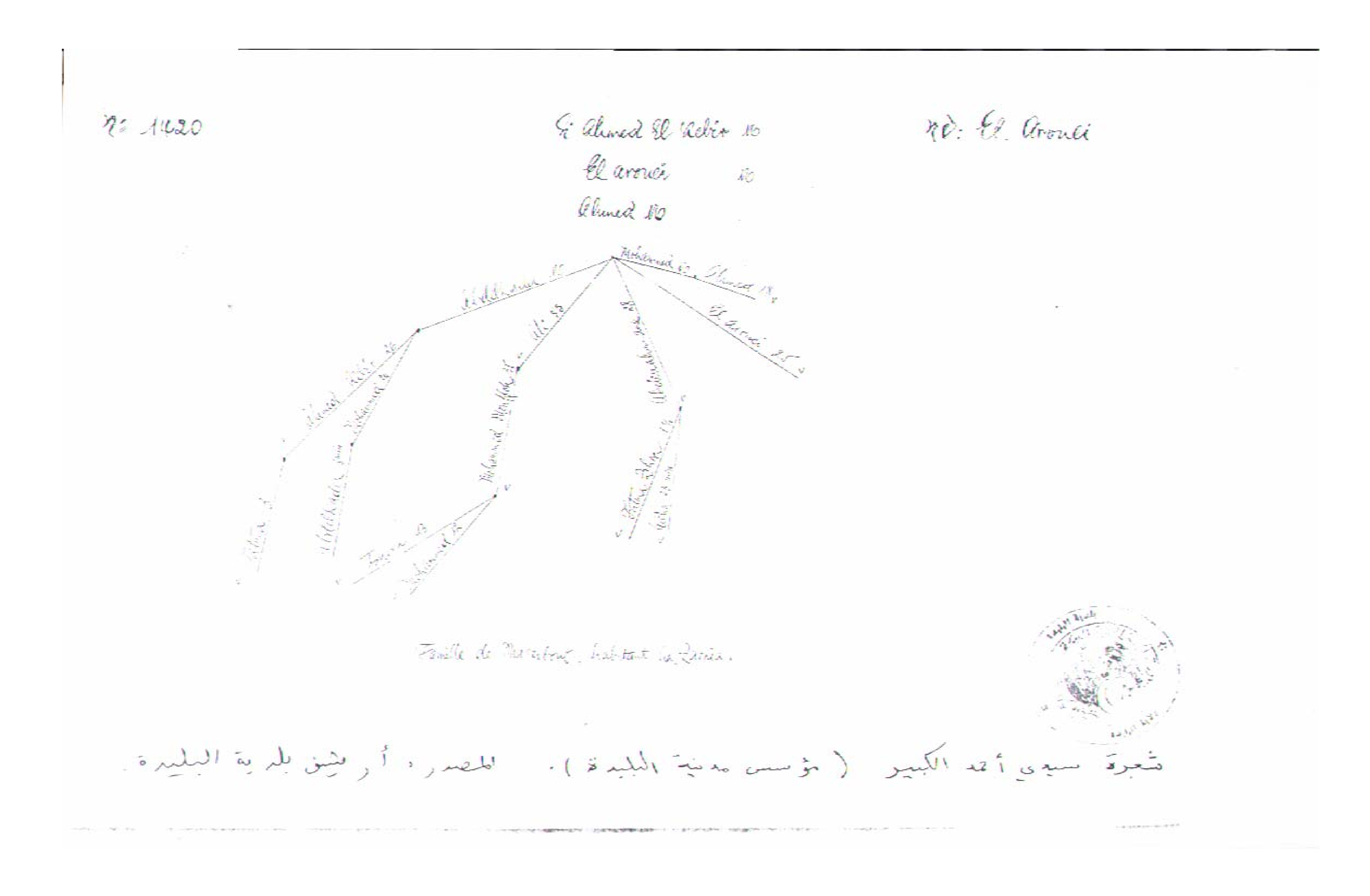
تحبيس احمد بن ... جميع الجنة ... من اجل خارج البليدة.

عن الأرشيف الوطني الجزائري، سجلات البايلك، علبة 7، الوثيقة (82-167) - أوقاف البليدة".

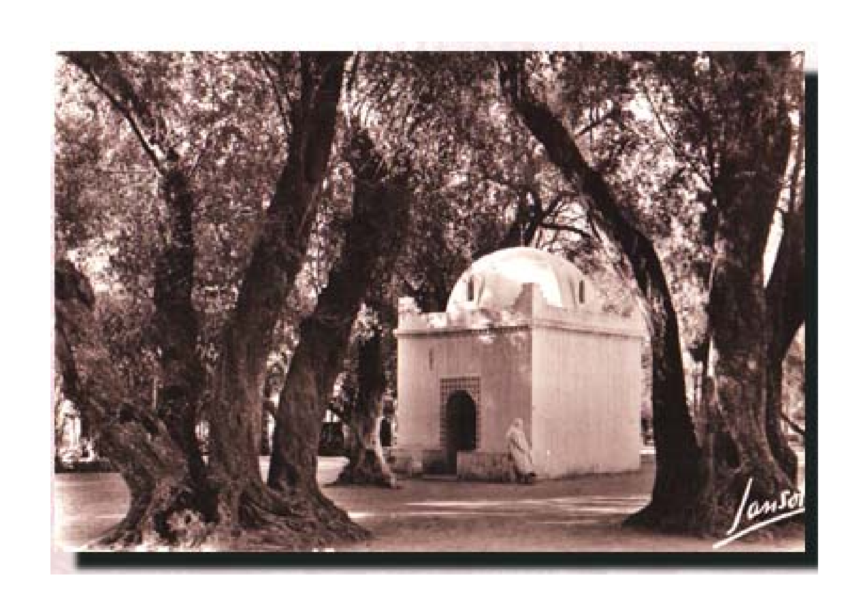




ضريح سيدي أحمد الكبير ، و هو موجود على بعد ثلاث كيلومترات جنوب البليدة ، بمرتفعات الأطلس البليدي.
المصدر: ألبوم صور ببلدية البليدة.



شجرة سيدي أحمد الكبير (مؤسس مدينة البليدة). المصدر: أرشيف بلدية البليدة.





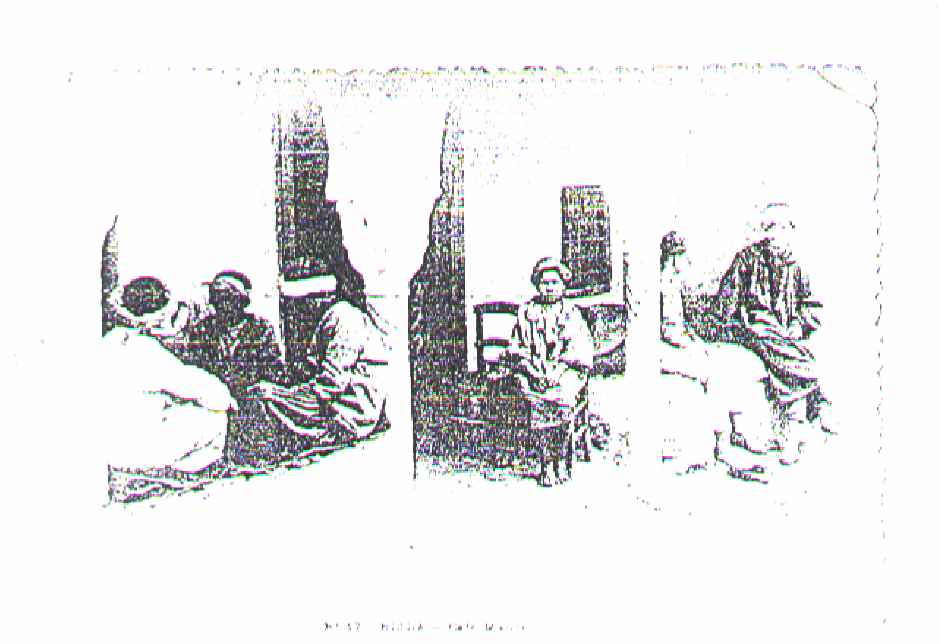
ضريح سيدي يعقوب، أو ما يعرف باسم "القبة المقدسة"بمدينة البليدة.
المصدر: ألبوم صور ببلدية البليدة.



ضريح سيدي موسى بن ناصر ، و يوجد في الجنوب الغربي لمدينة البليدة ، عند مرتفعات الأطلس البليدي .
المصدر: ألبوم صور ببلدية البليدة.



الشجرة التي كان ينفذ عليها الأتراك أحكام الشنق و الإعدام في حق المجرمين ، و كانت توجد مقابل باب الجزائر بالبليدة .
عن : ألبوم صور للسيد يوسف أوراغي.



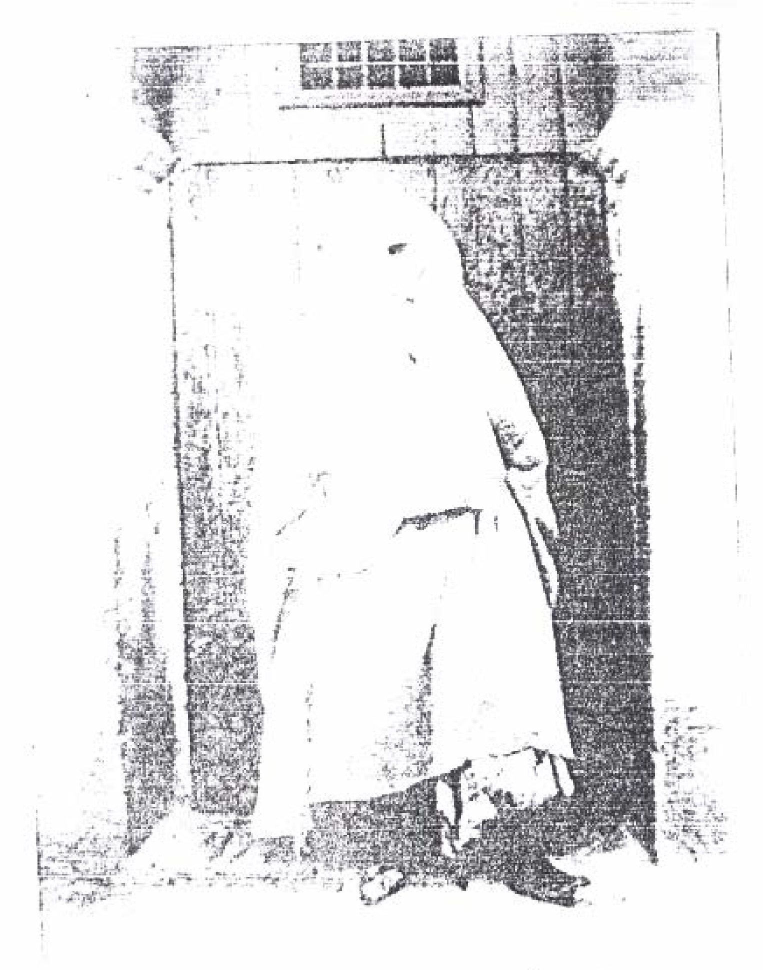
مقهى الحاكم بالبليدة بزنقة الحكومة.

المصدر: من ألبوم صور للسيد يوسف أوراغي



داخل إحدى الحمامات التركية بمدينة البليدة.

عن: ألبوم صور للسيد أحمد بوخاتم.



إمرأة بليدية متحجبة بالحايك.

المصدر: من ألبوم صور للسيد يوسف أورابي.





داخل إحدى الدور الأندلسية بالبليدة .
عن : ألبوم صور ببلدية البليدة.



طفل بليدي يحمل بيده إكليل
من أزهار الياسمين.

المصدر: من ألبوم صور للسيد يوسف أورامي



حلاق من عهد الأتراك بالبليدة .

عن : ألبوم صور للسيد أحمد بوخاتم .


قائمة المصادر و المراجع

1. وثائق الأرشيف الوطني الجزائري:

أ- سجلات المحاكم الشرعية :علبة 104-105، وثائق رقم: 93-97 / 11-36 / 164/140-16/ 195 /173./ 171./ 164/ 51-189/196/37/ بدون رقم.

علبة 106 وثيقة 59- 126.

علبة 34، وثيقة(6-27) ، و الوثيقة(29-42)

علبة 58، وثيقة(30-97) ، (123-83)، (171-136)

علبة 84، وثيقة(85-86).

.

ب- سجلات البايليـ ـك:

علبة 19، السجل 102(187).

علبة 20 السجل 111(196) و السجل 122(207).

علبة 7، وثيقة 107.

علبة 7، وثيقة 107.

علبة 7، وثيقة 108.

2. المصادر و المراجع العربية و المترجمة:

01- ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

02- ابن خلدون(عبد الرحمن): **تاريخ ابن خلدون**، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، 1968.

03- أبو راس الجزائري (محمد) :**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** " حياة أبي راس الذاتية والعلمية " ،حققه وعلق عليه :محمد بن عبد الكريم الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1990 .

04-الأعرج(عبد العزيز محمود): **الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي**، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

05- البكري(أبو عبد ا): **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب**، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، طبعة باريس، أدريان ميزوفوف، 1965.

06- البكري الاندلسي(عبد ا بن عبد العزيز): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع**، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983.

07-التميمي (عبد الجليل): **الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين الأندلسيين**، الطبعة الأولى، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان، تونس 1989.

08-التميمي(عبد الجليل): **الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، مركز الدراسات و البحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، زغوان، 1990.

09-الجزائري(محمد بن عبد القادر): **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبـد القـادر**، الطبعة الثانية، شرح و تعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النـشر، 1964.

10 - الجزائري (محمد بن سيمون) :**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ،الطبعة الثانية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1981.

11-الجيلالي (عبد الرحمن): **تاريخ الجزائر العام**، الطبعـة الـسابعة، ديـوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر، 1994.

12-الجيلالي(عبد الرحمن): **تاريخ المدن الثلاث(الجزائر، المدية، مليانة)،** الطبعة الثانيـة، مطبعة صاري بدر الدين و أبنائه، الجزائر، 1972.

13-الحفناوي(أبو القاسم محمد): **تعريف الخلق برجال السلف**، تقديم محمد رؤوف القاسـمي الحسني، موفم للنشر، الجزائر، 1991.

14-الزبيري(محمد العربي**): التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،** دون تاريخ.

15- الزحيلي (وهبة) : **الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي** ؛العادة الأولى 1419 هـ، 1998م ، المطابقة الطبعة الثانية المزيدة 1417ه/ 1996م ،دار الفكر ، دمشق ،سورية.

16-الزهار(الحاج أحمد الشريف): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تحقيـق أحمـد توفيـق المدني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و للتوزيع، الجزائر، 1980.

17-الزياني(محمد بن يوسف): **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبـار مدينـة وهـران**، تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1978.

18-الشناوي (محمد عبد العزيز): **الدولة العثمانية دولة إسـلامية مفتـرى عليهـا**، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1980 .

19- العطار (حسن):**الحاشية الكبرى على مقولات البليدي وحشيتاه الكبـرى والـصغرى على مقولات السجاعي**، مطبعة الخيرية ،مصر ،1328هـ -1910م .

20- العنتري (صالح): **سنين القحط والمسبغة ببلاد قسنطينة** (أو **مجاعات قسنطينة**)، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1974.

21-المحامي (فريد بك): **تاريخ الدولة العلية العثمانيـة**، الطبعة الثانية، تحقيق احسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1983.

22-المزاري(بن عودة): **طلوع سعد السعود في اخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر** ، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز، الطبعة الاولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

23- المغيلي التلمساني (محمد بن عبد الكريم) :**مصباح الأرواح في أصول الفلاح حول يهود توات** ،تقديم وتحقيق رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968 .

24-المقديسي (أبو عبد ا محمد بن أحمد): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الجزائر، 1950.

25-المقري(احمد بن محمد): **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

26-المقري التلمساني (أحمد بن محمد): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968.

27-الوزان (الحسن بن محمد): المعروف ب (ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، الطبعة الثانية، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

28- الونشريسي(أحمد بن يحيى): **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

29- بلحميسي(مولاي): **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

30-بفايفر(سيمون): **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

31-بن أرزقي (أربيح محند): **انجراف التربة وحمايتها في التل الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 .

32- بن العنتري(محمد الصالح): **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها(المعروف ب: تاريخ قسنطينة)**، مراجعة و تقديم و تعليق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

33- بهلول (حسن): **الغزو الرأسمالي الزراعي للجزائر و مبادئ إعادة تنظيم الاقتصاد الوطني بعد الاستقلال**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1984.

34-بوعزيز (يحيى): **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1999، الجزء الثاني -الجزائر الحديثة- .

35-تشرشل(شارل هنري): **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد ا ، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.

36-جوليان (شارل أندري): **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر تونس، و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1978، الجزء الثاني.

37-حاج الصادق(محمد): **مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

38-حقي (إحسان): **الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد**، المكتب التجاري، بيروت،1961 .

39-خواجه(حمدان) :**إتحاف المنصفين والأدباء في لاحتراس عن الوباء** ، تقديم وتحقيق :محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1968.

40-خوجة (حمدان بن عثمان): **المرآة**، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربـي الزبيـري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

41- خوجة الجزائري (حمدان بن عثمان): **المرآة(لمحة تاريخية و إحـصائية علـى إيالـة الجزائر)،** ترجمة و تقديم و تعليق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1972.

42-دودو(أبو العيد): **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1850)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

43- سبنسر (وليم): **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب و تعليق: عبد القـادر زباديـة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1980.

44-سعد ا (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

45-سعد ا (أبو القاسم): **الحركة الوطنية الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائـر، 1992، الجزء الأول، القسم الأول.

46-سعد ا (أبو القاسم): **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال –** ، الطبعة الثالثة ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 .

47-سعيدوني (ناصر الدين): **دراسات و أبحاث في تـاريخ الجزائـر (العهـد العثمـاني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

48-سعيدوني (ناصر الدين): **مدونة المدن الجزائرية**، في طريقه للنشر، الجزء الأول.

49- سعيد وني (ناصر الدين) :**من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي** ،الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1999.

50-سعيدوني(ناصر الدين): **موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، منشورات ووزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، دون تاريخ.

51-سعيدوني (ناصر الدين): **ورقات جزائرية(دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائـر أثنـاء العهد العثماني)**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

52-شالر (وليام): **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكـا فـي الجزائـر (1816 – 1824)** ، تعريب و تعليق و تقديم إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنـشر و التوزيـع ، الجزائـر ، 1982 .

53-عبد القادر(نور الدين): **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهـاء العهد التركي**، نشر كلية الاداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

54-عنان (محمد عبد ا): **نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين**، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1966.

55- فركوس (صالح) :**الحاج احمد باي قسنطينة (1826-1850م)**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1993.

56-فلنزي (لوسات): **المغرب العربي قبل احتلال الجزائـر (1770 – 1830)**،نقلـه إلـى العربية لادي الساحلي، سواس للنشر، تونس، 1994.

57-فون مالستان(هاينريش): **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ .

58-قداش(محفوظ): **الجزائر في العصور القديمة**، ترجمة صالح عباد، المؤسـسة الوطنيـة للكتاب، الجزائر، 1993.

59-قنان (جمال): **قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 1994.

60- كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

61-كحالة (عمر خالد) : **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ،الطبعة الثانية ،دار العلم للملايين ،بيروت 1968.

62-مؤنس (حسين): **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، الطبعة الأولى، دار و مطابع المستقبل بالفجالة بالقاهرة، و صفية زغلول بالإسكندرية، 1980.

63-ممفورد(لويس): **المدينة على مر العصور(أصلها و تطورهـا و مـستقبلها)**، ترجمـة و تعليق: إبراهيم نصحي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1964.

64-وولف(جون بابتست): **الجزائر و أوربا** ، ترجمة و تعليق أبوالقاسم سعد ا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

3. المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

1- Benachenhou(a): **L'ETAT ALGERIEN EN 1830**، E.P.A.، ALGER، SANS ANNEE.

2-Berard (Victor): **indicateur général de l'Algérie, description géographique, historique et statistique**, bastide, Alger, 1867.

3-BERTRAND (louis): **Blida**, imp:HORIZONS de France, PARIS، sans année.

4-CHAULET (CLAUDINE) **la Mitidja autogérée** Altamira – rotopress، Madrid 1971

5-Deluz (joelle): **urbanisation en Algérie Blida, processus et formes**, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988.

6 - FRANC (jules) :**la colonisation de la Mitidja** paris champion 1928

7-GAID (MOULOUD): **L'ALGERIE sous les turcs** 2éme Editions

2éme Editions; Edition MIMOUNI, ALGER, ALGERIE, 1991،

8- GAILLAD (M): **sur Alger, observations physiques**, paris, chalon - sur- Marne, BDE Boniez Lambert, 1837,

9- HABART (MICHEL) **: HISTOIRE D'UN PARJURE** ، LES EDITIONS DE MINUIT PARIS ، 1960 .

ISNARD (H): **La réorganisation de la propriété rurale dans la** 10- **Mitidja, ses conséquences sur la vie indigène**, A- joyeux, Alger, 1950,

11-Laroui (Addi): **"l'histoire du Maghreb" un essai de synthèse**, Maspero, Paris, 1970

12-MONLAU (jean): **les ètats barbaresques, que-sais-je?** N° 109, paris, P-U-F, sans année.

13-Melouh (Djamel) et autres: **Blida entre réalités et légende (1519/1540),** imp:A- Mauguin, Blida, Algérie, 2001

14 - Shaler (William) : **Esquisse de l'ETAT d'Alger**, présentation de Claude Bontems,.Edition Bouchene ,Saint Denis,France 2001.

4. **الدوريات و المقالات:**

1-الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخيـة: **استمارة تصنيف المبـاني والمناظر التاريخية والطبيعية (مادة مسجد سيدي محمد بن سعدون بن بابا محمد)**.

2-الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والمناظر التاريخية: **استمارة تصنيف المباني والمناظر التاريخية والطبيعية (مادة المسجد الحنفي)**.

3- الحسني (محمد الهادي) :**الشيخ محمد الحسني البليدي** ، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الأول " متيجة عبر العصور (مابين 19الى 24 مايو 2001) بقاعة محمد التوري بالبليدة .

4-الدوري (عبد العزيز) :**دور الوقف في التنمية**، المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،1998، العدد 7 .

5- سعيدوني (ناصر الدين): **الاوقاف بفحص مدينة الجزائر دلالات اجتماعية ومؤشرات اقتصادية** ،مجلة دراسات انسانية ،مجلة دورية محكمة تصدرها كلية العلوم الانسانية والاجتماعية -جامعة الجزائر ،دار الحكمة ،الجزائر ، دون تاريخ ،عدد خاص "الوقف في الجزائر اثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" .

6- كنتور(رابح): **الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني**، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الثاني لمتيجة عبر العصور (من 4 إلى 9 ماي 2002) بقاعة محمد توري بالبليدة.

7- مجلة الحدث الدولي والعربي (مجلة سياسية وثقافية) ، مؤسسة النشر والتوزيع ، بيروت ، سبتمبر 2000، العدد الرابع.

8- de paradis (venture): **Alger AU XIIIe siécle**, Revue africaine, N° 39, Année 1895.

-9 Yacono(X): **peut-on évaluer la population de l'Algerie vers 1830**, revue Africaine, N° 98, ANNE 1954, P 321.

10- Dermeng hem (F) : **sidi 10- Ahmed elKèbir patron de Blida** ”Documents Algériens “ n =° 65 du 25 novmbre1952.

11- Secrétariat social d’Alger**. Information rapide, monde raral et monde urbain,** Alger, S.N.E.D, 1969, n°4.

الفهـــــــــــــــــــــــــارس:

فهرس الأعلام:

- ي -

فهرس الأماكن :

- أ-

- ت -

- ج -

-ح-

- ش-

- ض -

- ط -

- ن -

- ي -

فهرس الموضوعات :